مذكرات مجاهد من بغداد إلى الجزائر

و للأوطـان على المواطنيـن ديـن
فـإن سـددوه صـاروا مـواطـنينـا
وللسـابقيـن بـالنفـس والمـال أجـر
عنـد اللـــه و النـاس أجمعيـن.

بقلم الأستاذ: جودي لخضر بوالطمين

ضابط 1 بالولاية 2

القسم الأول:

من ص1-39

ويتضمن اندلاع الثورة وصداها عند الطلاب
الجزائريين ووسط العراق طلبة وحكومة وشعبا
والإيمان بالمشاركة في الثورة وكيفية السبيل
إلى ذلك والسفر من بغداد إلى القاهرة ثم طرابلس
فتونس،
و الأمل في الدخول إلى الجزائر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

إلى كل الذين جاهدوا
واستشهدوا من أجل الجزائر
وإلى كل الأوفياء للشهداء
من مجاهدين ومواطنين.

ج / ل / بوالطمين

مذكرات مجاهد

من بغداد إلى الجزائر

– البشرى -

عندما انطلقت أول رصاصة في قلب الاحتلال الفرنسي بالجزائر في أول نوفمبر1954، كنت إذ ذاك طالبا في بغداد بدار المعلمين العالية، في قسم العلوم الاجتماعية " الجغرافيا والتاريخ" وكنت قد ذهبت لهذا البلد الحبيب في بعثة أولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي أول بعثة تذهب إلى العراق، ولا أذكر الصعوبات التي واجهتني في الوصول إلى أن أكون أحد أفرادها فليس هنا مجال الحديث عنها.

كانت فرحتي عظيمة جدا، بهذه البشرى، بهذا النبأ التاريخي الجبار، نبأ اندلاع الثورة الجزائرية، هذا النبأ الذي كان أعز نبأ سمعته في الإذاعات على الإطلاق، وقد هزني هزا عنيفا بحيث صممت منذ سماعه على الالتحاق بالثورة في بلادي العزيزة، وكان سرور الطلبة الجزائريين ببغداد إذ ذاك بهذا النبأ عظيم جدا بحيث أننا قمنا نعانق بعضنا البعض ويقبل بعضنا الآخر، وما دقت ساعة صوت العرب الرنانة حتى اتجهنا جميعا إلى غرفة أحد الأصدقاء العراقيين بالقسم الداخلي بنفس الكلية لسماع زيادة الإيضاح والتفصيل واليقين من المذيع الذي كان إذ ذاك في القمة الأخ أحمد سعيد.

وخصصنا دفترا لتسجيل العمليات الحربية والفدائية يوميا، كما تابعنا كتابة المقالات في الصحافة العراقية التي كانت مفتوحة أمامنا عن الجزائر، إنها ليست فرنسية ولن تكون فرنسية وستستقل إن عاجلا أو آجلا، كما كنا نكتب ملخصات عن النشاط السياسي ثم العسكري في الجزائر وعن إمكانياتها الاقتصادية الضخمة وعن البؤس و الحرمان الذي يعيش فيه سكان الجزائر بينما تتمتع شرذمة من الاستعماريين بهذه الخيرات و الإمكانيات وكانت بلادنا مجهولة لدى الرأي العام العراقي بل العربي على العموم، كما كانت لفرنسا سمعة محمودة لدى الشرقيين بل إن الكثير منهم لا يصدقوننا عندما نكلمهم بصراحة عما يفعله الفرنسيون ببلادنا من تعد وظلم واستبداد وطغيان بل إنهم كانوا يعتقدون كل الاعتقاد

بأن فرنسا بلد الحرية والأخوة والمساواة الفعلية وكم كان هذا الاعتقاد يحز في نفسي ويجعلني أعمل بكل جهدي لإحباط هذا الاعتقاد، على الأقل بالنسبة للفرنسيين الموجودين ببلادنا حتى اندلعت الثورة فكشفت للرأي العام العربي والعالمي مدى أخوة الفرنسيين !

صدى نبأ الثورة:

– كان صدى نبأ الثورة لدى إخواننا الطلبة العراقيين كبير الأثر وذلك على اختلاف ميولهم السياسي وخاصة البعثيين منهم، فقد استدعانا البعض منهم في الحين لعقد جلسة صغيرة في نادي الكلية لنزودهم ببعض الأخبار و المعلومات عن الجزائر، وهل ستستمر الثورة بها وستنجح؟ وهل هي شعبية أم حزبية وكنا في الحقيقة نجهل أيضا من القائم بها إلا أننا كنا نرجح أن يكون حزب الشعب الجزائري أو حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية كما صار يسمى في الأخير هو القائم بها لأنه الحزب الواحد الأوحد في الجزائر الذي يؤمن بأن الاستقلال يكون إلا بواسطة الكفاح المسلح خاصة وأننا كنا نعلم بوجود الانشقاق الذي حدث في وسط حزب الشعب، كما كنا مؤمنين بأن الشعب سيكون سائرا مع الثورة لأن 95 % من الشعب الجزائري يحيا في حالة بؤس وشقاء في الثالوث الجهنمي الذي هو الفقر والجهل والمرض يضاف له الاحتقار و التسخير من طرف الاستعماريين، وأكدنا لهم بأن الثورة ستستمر ولن تكون هذه المرة كما كانت في 8 ماي 1945، وأذكر أن الداعي لهذه الجلسة الصغيرة هو الأخ العربي البعثي "حكمت عبد الله البزاز" وكان طالبا إذ ذاك بنفس الكلية وهو من الموصل بشمال العراق، وذلك نيابة عن زملائه في الحزب.

صدى الثورة في الرأي العام العراقي:

– منذ إندلاع الثورة الجزائرية و الرأي العام العراقي على أشد الاهتمام بها بما في ذلك إتحاد الطلبة العراقيين و الصحافة و الإذاعة و الأحزاب السياسية، و أصبح إسم الجزائر يذكر في كل مناسبة و كل إحتفال سواء في المدرسة أو في النوادي السياسية بل وحتى في المقاهي و البيوت الشعبية، وكان كل طالب جزائري عبارة عن جريدة ناطقة بفضائح الإستعمار في الجزائر، و التأكيد بالقول بأن الثورة مواصلة سيرها من أجل الحرية و الإستقلال، و بأنها ليست شرقية ولا غربية بل هي جزائرية صحيحة خاصة بعد أن وصلنا البيان الأول لجبهة التحرير الوطني، تلك الوثيقة التاريخية التي تدعو الشعب كله لإعلان

ثورته، ليثور كتلة واحدة ضد الإستعمار، و التي تبين بوضوح مبادئ ورسائل وأهداف جبهة التحرير الوطني، وأن لا توقف للحرب، حتى تتحقق تلك الأهداف.

في بلاد إيران:

– كان هذا عند إندلاع الثورة و إستمرارها ودخولها في سنة 1955 وكنت إذ ذاك في السنة الثالثة من دراستي وفكرت وفكر بعض الطلبة الجزائريين في الإنقطاع عن التعليم و الإلتحاق بالثورة ولكننا لم نوفق و السبب هو أن الأفكار القائلة بأن من الأحسن لمصلحة بلادنا أن نواصل تعليمنا خاصة وأنه لم يبق لنا إلا عام واحد لنكمل مرحلتنا التعليمية حيث سنحصل على شهادة الليسانس، كما أن هيئة الكلية لم تقبل منا أن نقاطع تعليمنا، وتابعنا الدراسة ونحن على أحر من الجمر، ونحن في شوق وحنين إلى الجزائر الثائرة.

ووصلت عطلة صيف 1955 فذهبت إلى إيران وكان معي صديق عزيز علي هو الطالب عبد العزيز خليفة – من تازولت– وفي طهران الجميلة المضيافة إلتقينا بطالب مغربي هو"التهامي أبركان". الذي كان طالبا بالكويت فمكثنا هناك شهر جويلية وأوت وقد إتصلنا بالصحافة الإيرانية فأحسنت إستقبالنا وكتبنا فيها مقالات عن جرائم الإستعمار الفرنسي في الجزائر والمغرب وخاصة عن 20 أوت ولم نكن نعرف عنه هناك إلا أنه يوم قامت فيه فرنسا بجريمة كبرى إقترفتها في ملعب سكيكدة حيث قامت بمجزرة هناك وقتلت حوالي1500 جزائري، وأذكر أن مشكلة وقعت لي في إدارة الأمن العام (الشهرباني) بطهران وذلك عندما ذهبنا لطلب الإقامة بها، فقد قدموا لنا الأوراق اللازمة لملئها، وعندما كتبتها لم أكتب جنسيتي كما كانت في جواز سفري وهي – وهذه من خساسة الإستعمار ببلادنا وتعسفه بقيمنا وتزويره لشخصيتنا – فرنسي مسلم، بل كتبت أمام كلمة الجنسية "جزائري" وعندما فحص الضابط الأوراق وقارنها بجواز السفر وجد الفرق الذي هو طبعا التزوير لم يقع مني بل من الإستعمار الفرنسي، فضحك وقبل عذري وتمكنت معرفتي به فإذا به من أنصار الزعيم المغلوب على أمره، البطل "محمد مصدق" وقد طاف بنا في طهران و أظهر لنا دار "مصدق" التي هدم مدخلها يوم إسترجع شاه إيران ملكه بمعاونة أعداء الشرق "الأمريكان".

وإتصلنا كذلك ببعض الروسيين في مدينة "بندر شاه" الواقعة شمال إيران على بحر قزوين وقد تناقشنا في مشكلة الحرب بيننا وبين الإستعمار الفرنسي فوجدنا منهم كل تفهم

لقضيتنا ووعدونا بالكتابة عن ثورتنا في صحفهم وإستدعونا لزيارة بلادهم، كما زرنا سفارتهم في طهران وقدموا لنا عروضا سخية للذهاب لبلادهم و الدراسة بها.

رسائل من الجزائر:

– في سنتي الدراسية الأخيرة 55–1956، كانت الثورة قد زادت إتساعا وعنفا، وتضاعفت إنتصارات جيش التحرير الوطني وإزداد صدى الثورة في الخارج إتساعا وشمولا، وبالطبع إرتفع عدد الضحايا و الشهداء والمسجونين والمعتقلين والمبعدين والمراقبين والمشبوهين، وتضخم الدفتر الذي كنت أسجل فيه يوميات الثورة، وكنت أحصل عليها من الإذاعات العراقية و السورية وصوت العرب وكنت لا أملك جهازا إذاعيا بل كنت أسمع الأخبار من جهاز نادي الطلبة ومن أجهزة الإخوة العراقيين ومن مذياع أخ من جزيرة "زنجبار" التي كانت تحت سيطرة الإنجليز أيضا، غير أنه كان لا يقبل ولا يسمح لي أن أسمع من مذياعه إذاعة صوت العرب دون أن يذكر لي سبب ذلك، وكان لا يقبل النقاش في هذه المسألة بل إنه رغم صداقته لي ولكامل الطلبة ورغم أنه كان محبوبا جدا من الجميع فإنه أبدا لا يقبل أن يسمع صوت العرب من جهازه وإسمه "سعيد الحاتمي" وأرجو أن يكون سعيدا جدا وخاصة بعد إستقلال بلاده وأملي أن يكون سعيدا جدا وأن يكون قد حقق مشاريعه ومنها تطهير بلاده من (الإنجليز) الخادعين وإبراز الشخصية الإفريقية إلى الوجود، بحضارتها وعزها وإثبات وجودها في الوجود.

وكنت أيضا أحصل على الأخبار من رسائل كان يكتبها لي أخي علي – وسأحدثكم عنه في فصل قادم وكذلك من رسائل ابن عمي صالح وسأحدثكم عنه أيضا وكان كلاهما يرمز لي في رسالته رموزا فقط فيقولا بأن الثلوج قد هطلت عندنا كثيرا وأن الزرع في جهة الطاهير جيد للغاية هذه السنة و أن الفاكهة موجودة بكثرة عندنا وفي كل جهات الوطن..... و الفهيم يفهم، وآخر مصدر لي كان جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين وكانت تكتب عن عمليات الفدائيين ونشاط جيش التحرير الوطني وجرائم الإستعمار الفرنسي تحت عنوان ((يوميات الأزمة الجزائرية)) وكان هذا العنوان لا يعجبني ولو أنه كان معقولا بالنسبة للأوضاع التي كانت سائدة إذ ذاك في البلاد، ولم تنقطع عني إلا بعد توقيفها من طرف الإستعمار لأن أخي كان قد جعل لي بها إشتراكا.

أول لقاء مع شخصيات جزائرية:

– في ربيع 1956 أَمَتْ شخصيات جزائرية، سياسية وثقافية، الشرق العربي زيادة على من كان بها قبل الفاتح نوفمبر 1954 مثل السادة محمد خيضر، وتوفيق المدني، ومحمد البشير الإبراهيمي، والفضيل الورتلاني، وعبد الحميد مهري، و الشاذلي المكي، وأحمد بودة. وغيرهم ولم يقتصروا هذه المرة على مصر بل إتجهوا إلى سوريا والعراق، فقد وصل وفد كان متكونا من السادة أحمد بوده، و الشيخ عباس بن الشيخ الحسين، وكان هذا الأخير مدرسا بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة وكنت تلميذا عنده وكان من أنشط مدرسي هذا المعهد، وكان سروري عظيما جدا عندما رأيته في بغداد ووجدت فيه النشاط الذي عهدته فيه. وكانت هذه الفرصة عظيمة جدا حيث سمعت كبقية زملائي الطلبة الجزائريين والتونسيين والمغاربة ما حدثونا به عن الثورة وعن مدى إنتشارها ونجاحها وشمولها كامل الوطن عدى منطقة وهران ولكنهم أكدوا لنا بأن الثورة ستعم كامل الوطن لأن القيادة الثورية عاقدة العزم على ذلك كما كانت زيارتهم هذه عظيمة لنا حيث أننا وجدنا فرصة للإستفسار عن مصيرنا وكنا نضن أننا سنجد الجواب اليقين بكلمة صريحة لا لبس فيها و لا إلتواء عن سؤالنا الذي كان كما يلي: – هل نلتحق بالثورة فور إنتهائنا من دراستنا هذا العام 1956 وندخل الجزائر أم كيف العمل؟ وكان جوابهم غريبا جدا بالنسبة لي إذ لم يكن فيه أي توجيه واضح وصريح بل كان موقفهم مائعا جدا، إنهم لم يقولوا إلتحقوا بالثورة كما لم يقولوا لا تلتحقوا بها ولم يستطيعوا أن يتحملوا مسؤولية هذا الحل أو ذاك ولعل السبب في ذلك أنهم كانوا يريدون إختبارنا أو ترك الحرية لنا في تقرير مصائرنا، ولكن كان يفهم منهم أن متابعة الدروس أو مزاولة حرفة التعليم في مدارس البلاد العربية أفضل من الإلتحاق بالثورة لأن الجزائر ستكون غداة إستقلالها في حاجة ماسة إلى رجال مثقفين، ورأيهم هذا كان مغايرا ومعاكسا تمام لشعوري وإحساسي ورغبتي وإرادتي إذ كنت أؤمن بأن الجزائر إذا لم تجد رجالا مثقفين لتحريرها فكيف ستتحرر؟ أبالأميين فقط، ثم لنفرض أن الحرب التحريرية إستمرت سنوات طوالا، أفلا نكون قد خنا وطننا؟ إذن لابد من الإلتحاق بالثورة، وإن الجزائر وثورتها في حاجة أكيدة لشبابها المثقف اليوم وهي في حالة حرب وإن مشاركة الشباب اليوم أجدى وأنفع للوطن من الغد وعلى هذه الفكرة قررت مصيري وعقدت العزم على الإلتحاق بالثورة فور تخرجي من مدرسة ترشيح المعلمين ببغداد وسواء وجدت رفيقا من زملائي المتخرجين أم لم أجد وسواء إلتحقت ودخلت الوطن أو قضيت نحبي وسط الطريق، أما أن

أبقى بعيدا عن الثورة وعن الجزائر، وأتلذذ بسماع الأخبار عن العمليات العسكرية و الفدائية والتصريحات السياسية، و الافتخار أمام الأصدقاء و المعارف بأن بلادي في ثورة، فإن كل هذا لم أكن على إستعداد لتفهمه وقبوله، وإعتقدت بأن المسؤولية مسؤولية المشاركة في الحرب تقع على المثقف بالدرجة الأولى لا على الفلاح والأجير والأمي فقط.

قصة إلتحاقي بالثورة:

– لم يكن أمر الثورة بسهل ولم يكن الإلتحاق بها بأسهل، بل كان الغموض يسود كل الطرق التي يمكن إتخاذها لمعرفتها ومعرفة الممثلين لها في الخارج، وكل ما يحاول الإنسان ذلك فإنه لا يجد إلا هالة من التخوفات وأنسجة من الخيال الذي يحاول تصوير المستحيل، والمستحيل منطقيا لا يدرك مهما بذل الإنسان من جهد. وهذا ما وقع لي في بغداد ودمشق وبيروت. إلا أنه لحسن ظني وصدق نيتي أخذت الهالة المذكورة المعقدة تخرج عن دائرة المستحيل وأخذت أقترب من تحقيق أمنيتي بعد أن قطعت آلاف الكيلومترات إتجاه الغرب نحو بلاد الثورة وتحقيقي لأمنيتي.

آخر شهر في بلد الرشيد:

– في 18 من حزيران – جوان 1956 غادرت موطني الثاني، العراق، شاكرا فضله علي وعلى كل طالب جزائري أمَّ العراق، حيث زودنا بسلاح المعرفة، سلاح الحياة مدة أربع سنوات، في كلية من كلياته العظيمة، "دار المعلمين العالية" وفي هذا الشهر وزعت علينا الشهادات، شهادة الليسانس في مختلف العلوم وكنا 12 طالباً جزائرياً منهما إثنان في كلية الحقوق سيأتي الحديث عن أحدهما في الفصول القادمة، ولابد أن أذكر هنا أن الشهادات وزعت بيد ملك العراق فيصل الثاني، الذي قضي عليه وعلى حكمه الملكي وعلى ولي عهده وصاحب الإنحراف الخطير نوري السعيد وقد أخذت لكل طالب عراقي وجزائري صورة تذكارية مع الملك فيصل، وكان أول ملك أصافحه وتؤخذ لي صورة معه ولا داعي لذكر سياسة هذا الملك وحكمه في العراق الحبيب، و التعليق عليها فقد كانت ثورة 14 تموز خير تعريف له وخير تعليق عليه، فقط أذكر أنني عرفت التوقيف أو السجن ولو لمدة قليلة – عدة ساعات – لأول مرة في حياتي في بغداد يوم كان نوري السعيد يناصب العداء لكل العراقيين وخاصة الطلبة منهم وكانت التهمة الخطيرة التي توجه لكل وطني هي " الشيوعية " وبهذه التهمة أوقفوني ذات ليلة ومعي طلبة جزائريون آخرون إلا أن عمادة كليتنا تدخلت في الحين

فأطلق سراحنا صاحب مركز الشرطة الموجود بضاحية الوزيرية ببغداد. وأعود فأذكر بأني قضيت أياماً من هذا الشهر شهر جوان مع إخواني الجزائريين و العراقيين في فرح كبير بنتائج إمتحاننا ونجاحنا الكامل، وفي18 منه ودعت بغداد الحبيبة. وودعت بها أساتذتي الذين أفتخر بهم و أصدقائي العراقيين و الجزائريين الذين كانوا يزاولون دراستهم هنالك كما ودعت أصدقائي الطلبة من تونس و المغرب وفلسطين والأردن وحضرموت وزنجبار وأندونيسيا. وقصدت دمشق بواسطة السيارة بعد أن زودتني وزملائي الحكومة العراقية بثمن السفر من بغداد حتى الجزائر.

وحين وصلت دمشق مكثت بها 35 يوما كانت كلها إطلاعا وإتصالا ولقاء بالطلبة الجزائريين والسوريين وبعض أفراد الجبهة ومنهم السيد عبد الحميد مهري وذلك في دار الجزائر بدمشق كما إلتقيت بالسيد محمد الغسيري وكان قد وصل من الجزائر عن طريق أوروبا فارا من الإستعمار الفرنسي كما إتصلنا ذات يوم ببعض زعماء حزب البعث العربي الإشتراكي في نادي الحزب وأذكر منهم السيد صلاح الدين البيطار و السيد أكرم الحوراني وقد إستقبلونا (طلبة جزائريون) بحماس بالغ في مكتب الحزب وطبعا كان الجدال و النقاش و الحديث حول ثورة الجزائر وإمكانيات نجاحها، وحول الكفاح العربي الموحد، وتحقيق الوحدة العربية. وأذكر جيدا الحماس المنقطع النظير الذي كانت تعيشه سوريا العزيزة بشعبها وفتوتها وبعثها لا بسبب الجزائر فقط بل بسبب سياسة الرئيس جمال عبد الناصر التي كانت إذ ذاك في نمو مطرد وفي نجاح منقطع النظير، ولازلت أذكر فرحتي بخطابه التاريخي وحماسة السوريين و البعثيين خاصة بذلك الخطاب الذي تضمن تأميم مصر لقناتها وما تبع ذلك من إخراج أعداء مصر والعرب "الإنجليز" من قاعدة الإسماعيلية و إتمام تطهير أرض مصر الخالدة من رجسهم، وقد كان جمال عبد الناصر في تلك الفترة في أعلى قمة المجد، لا في نظر أبناء مصر بل في نظر العالم العربي كله، ولا أذكر إعجاب الأعداء به لأنني لا أؤمن بإعجابهم وأعتبره حقدا عليه وغيرة منه. والشيء الذي أحببني في جمال بصورة خاصة يرجع إلى سببين رئيسيين هما:

1- سياسته الوطنية
2- تحطيمه للستار الحديدي الذي كان مضروبا من طرف الإستعمار الغربي على العالم الشرقي أمام العالم العربي وفتحه لهذا الطريق المسدود و النجاة من

الإحتكار الغربي للأمة العربية و القضاء على التخوف من الشيوعيين، هذا التخوف الذي أملاه الإستعماريون الغربيون على بعض الحكام العرب، وبأن الشيوعيين أعداء للدين وكأن الغربيين عباد للدين وكأنهم يقومون بقواعد الإسلام الخمس أو أسس دين المسيح الذي لا يعيرونه أي اهتمام.

وفي هذا الجو المليء بالحماس و التفاؤل سمعت ذات يوم بأن الشخص الذي كتبت عنه إحدى المجلات المصرية ونسبت إليه زعامة الثورة الجزائرية موجود بدمشق وحاولت مع. زملائي الجزائريين الإتصال به ولكننا لم نعثر له على أثر وكان هذا المنسوب له زعامة الثورة هو السيد "بن بله أحمد" وذات يوم كنت أتجول مع بعض الأصدقاء وكان من بيننا الأخ "سيسبان الشريف". وهو جزائري كان طالبا بدمشق، وبينما نحن نتجول إذا به قال: هاهو عبد الحميد مهري ومعه بن بله فاتجهنا نحوهما وحاولنا الإتصال بهما ولكنهما خرجا بسرعة من عند مصرف للنقود و أردنا الإتصال به في دار الجزائر ولكننا لم نستطع، فدائما نجد الجواب، إنه غير موجود.

الفراق:

– ما أجمل الحياة الجامعية وما أعظم الصداقة صداقة العلم و المعرفة وما أمر الفراق بعد طول مدة الصداقة، وفي هذا الصيف صيف 1956 عرفت فراقين أحدهما في بغداد وثانيهما في دمشق، ففي بغداد فارقت أحد أفراد البعثة التي كنت أحد أفرادها، فارقته وهو مريض في إحدى مستشفيات بغداد وهو "رابح منصر" الذي صار بعد غياب طويل أول محام بالعربية في الجزائر، ولا تسلني كم تألمت لهذا الفراق. وفي دمشق فارقت زملائي أيضا وقرر كل مصيره وعين كل واحد الجهة التي يذهب إليها ووجدت نفسي وحيدا في قراري، وجدت نفسي أفتش عن الضوء الذي أهتدي به وأحقق أمنيتي وأصير جنديا في جيش التحرير الوطني، وهكذا قررت السفر، نحو مصر، وحزمت أمتعتي وأوصاني الشيخ محمد الغسيري وحملني بحقيبتين كبيرتين كي أحملهما من دمشق إلى القاهرة كي أسلمهما للشيخ عباس بن الشيخ حسين.

إلى اللاذقية:

– غادرت دمشق منفردا وكأني لم يكن لي صديق من قبل وإتجهت إلى مدينة اللاذقية لغرض الإطلاع أو المتعة بل لزيارة أصدقاء لي كانوا يدرسون هناك ومن بينهم أحد

أقاربي وهو "علي لعور" وصديق لي منذ كنت في معهد ابن باديس بقسنطينة وهو "الأزعر بن عبد الرحمن" ومكثت هناك مدة قليلة ثم اتجهت في أواخر شهر جويلية1956 إلى بيروت ومكثت بها يومين فقط ثم إتجهت بواسطة الباخرة إلى بورسعيد وركبت الباخرة في ضحى إحدى الأيام، وصلت بور سعيد غداة ذلك اليوم حوالي الثامنة صباحا وما أن وصلت "بور سعيد" حتى تصورت جمال يخاطب الدنيا قائلا: إن القناة مصرية ولن تكون إلا مصرية وهزني شعور قوي يتعرض لكل أجنبي. والحق يقال أنني لم أتعرض للتحقيق من جنسيتي وأن تكون مطابقة لما في جواز سفري كما حدث لي في طهران عام 1955 كما أن تفتيش حقائبي كان بسيطا وسهلا للغاية، وعندما تمت الإجراءات إتجهت رأسا إلى محطة السكك الحديدية وإنتظرت ساعة إنطلاقها نحو القاهرة، ولم أشعر بأي ضيق رغم أني كنت أحمل أمتعة كثيرة متكونة من أربع حقائب، إثنتان لي، إحداهما مملؤة كتبا و الأخرى تحمل ملابسي أما الحقيبتان الأخريتان فكانتا للشيخ عباس الموجود بالقاهرة. وبينما كنت في الإنتظار إذا بأصحاب السيارات يأتون نحوي ويطلبون من أن أسافر معهم إلى القاهرة، إلى مصر حسب تعبيرهم ولم أكن منفردا في إنتظار القطار بل كان عدد كبير من المسافرين في الإنتظار ومنهم كويتيان وآنسة من الدانمارك فإتفقنا على أخذ سيارة أجرة وإتجهنا معا إلى القاهرة.

في القاهرة:

– سارت بنا سيارة الأجرة بسرعة من بور سعيد إلى القاهرة وما شاهدناها حتى نطق السائق قائلا هاهي مصر، ومصر بالتعبير المصري أو بتعبير المواطنين المصريين هي القاهرة، ومنذ هذه اللحظة وأنا أفكر أين أنزل وكيف يمكن لي الإتصال بالشيخ عباس وهل سأجد بغيتي في القاهرة، أم الدنيا؟ وعدت بذاكرتي إلى الماضي وتذكرت أنني أعرف القاهرة بعض المعرفة، وأعرف بها فندقا كنت نزلت به وأقمت فيه مدة أسبوع في تاريخ مضى. وبالضبط في عام 1952 حينما كنت متجها إلى العراق مع بعثة الطلاب التابعة لجمعية العلماء وكانت البعثة برئاسة الصديق "بن محمد مسعود" الذي تخرج هو الآخر من كلية الحقوق في هذا العام.

وصلت القاهرة في فاتح أوت 1956، وطلبت من صاحب السيارة أن يذهب بي إلى الفندق الذي أعرفه، إلى الفندق المسمى "لوكندة بور فؤاد" وهو فندق متواضع ويقع في حي

من أحياء القاهرة الشعبية وذلك بالقرب من ساحة "العتبة الخضراء"، وأوصلني السائق في جو من المرح الشعبي الذي يمتاز به الإنسان المصري الإجتماعي بطبعه، وأنقدته حقه وودعني شاكرا باسما وودعته أنا الآخر شاكرا على لطفه ومرحه وحسن معاملته. وفي الحين كانت حقائبي بغرفة بالطابق الثاني وبعد الإستراحة هبطت من غرفتي وقدمت أوراقي لصاحب الفندق للقيام بالإجراءات الضرورية وكان في غاية اللطف والوداع، وبعد ذلك خرجت من الفندق وكان الوقت وقت مساء، خرجت أتجول في القاهرة، مستعينا بذاكرتي التي تعودت أن لا تخونني وهكذا وصلت إلى شارع 23 يوليو، وإستطعت أن أعرف المكان الموجود به "مكتب المغرب العربي" ومكتب جمعية العلماء، وبار المريكان وإحتسيت بها عدة مرات "شكلاطة باللبن"، وحوالي منتصف الليل ذهبت إلى الفندق، وسطرت ما أقوم به في الغد، وغداة هذا اليوم نهضت مبكرا وإتجهت إلى "حي العجوزة" حيث يقيم الطلبة الجزائريون، وأعرف هذا من الرسائل التي كانت تصلني من صديقين لي هما: زعرور محمد وبودن عبد الحميد وكلاهما كانت معرفتي به منذ معهد عبد الحميد بن باديس أول وآخر معهد من نوعه في الجزائر ما قبل التحرير. ولكن للأسف الشديد فعندما وصلت حي العجوزة لم أجد أي واحد منهما ولا أي خبر عنهما، وبجهد إستطعت أن أستقبل أحد الطلبة الجزائريين وهو الأخ عبد الرحمن مهري ففرح فرحا كبيرا بي ولكنه لم يفدني فيما كنت أسأل عنه بالضبط ولكنه أفادني من ناحية أخرى إذ أعلمني بالسياسيين المقيمين بالقاهرة وبحالة الطلبة الجزائريين في القاهرة، فودعته بسرعة وإنصرفت نحو شارع 23 يوليو من جديد وهناك تجولت كثيرا ثم إتجهت إلى مكتب المغرب العربي و سألت عن الشيخ عباس فقيل لي بأنه لا يأتي هنا دائما ولكنك تستطيع أن تجده في هذا الحي، وبقيت أروح وأجيء. في ذلك الحي حتى شاهدته سائرا في الشارع، فإتجهت نحوه وأخذت أسرع الخطا حتى وصلته فكلمته وسلمت عليه، ففرح بي كثيرا وأخبرته بأن لديه عندي حقيبتين حملتهما له من دمشق، من طرف الشيخ الغسيري فإزداد فرحه بي ونادى سيارة أجرة وإتجهنا معا إلى فندقي وهناك سلمته حقيبتاه وعدت معه بطلب منه حتى داره التي كان يسكنها هو وسياسيون جزائريون آخرون وأذكر منهم الفيلسوف مالك ابن نبي و الشيخ دردود والسيد إسماعيل بوارغيدة، وعرض علي الشيخ عباس أن أسكن معهم ولكني رفضت وفضلت البقاء في الفندق وحيدا كما أتيت من دمشق وحيدا، وحتى أستطيع أن أعتقد على نفسي في تحقيق بغيتي. ولم أقطع صلتي بشيخي الشيخ

عباس، بل بقيت أذهب وأتصل به بين حين وآخر، وأستشيره في بعض الأمور أحيانا وذات يوم عرفني بالسيد آيت أحمد حسين كما عرفني بالأخ الأحول حسين وذهبت معه مرة إلى مكتب جمعية العلماء وسيأتي الحديث عن هذه الزيارة، أما السيد إسماعيل بوارغيدة فقد كنت أعرفه سابقا في قسنطينة وكان من محبي جمعية العلماء. وأغلب ظني أنه كان من حزب البيان، وكان حديث عهد بالقاهرة وكلمني كثيراً عن سير الثورة بقسنطينة خاصةً وعن الحالة المرعبة التي تركها في البلاد وكيف يتعسف الإستعماريين ما تنفك تزداد إتساعاً وتأزماً. وكان الحديث حول وصف الثورة هو الحديث الوحيد الذي كنت أجد لذة عظمى في سماعه. وأفضله عن سواه.

أين مكتب الثورة؟ و التجنيد، وأين المسؤول؟

– هذه هي الأسئلة التي دوختني فترة ولو قصيرة من الزمن، في القاهرة، في أم الدنيا، سألت الشيخ عباس فناقشني في موقفي ووجهني إلى مكتب المغرب العربي، ومكتب جمعية العلماء علني أجد الأجوبة الكافية لأسئلتي. وأوصاني أن لا أدخل الجزائر بوسائلي الخاصة بل على أن أدخل عن طريق النظام الثوري. ذهبت إلى مكتب المغرب العربي وسألت عن السيد محمد خيضر فأجابني البواب بالإنتظار أولا ثم أخبرني بأنه غير موجود وعندما يأتي يقدمني له. وبعد حوالي نصف ساعة على إنتظاري سمح لي بالدخول؟ دخلت فوجدت السيد محمد خيضر في مكتبه وفور دخولي قال لي ماذا تريد؟ قلت كنت طالباً بالعراق وأريد الإلتحاق بالثورة، فقال: يا أخي لأني لا أستطيع إلحاقك بالثورة لأن هذا العمل ليس من إختصاصي. وإن أردت متابعة دراستك فإني مستعد أن أزودك برسالة تذهب بها لمكتب الجامعة العربي كي تسهل لك الدخول لجامعة القاهرة فتضايقت من كلامه هذا وخرجت كافراً برأيه وإقتراحه.

وذهبت لمكتب جمعية العلماء ودخلت عند السيد توفيق المدني مع الشيخ عباس الذي قدمني له بأني من المتخرجين من العراق وأني أريد الإلتحاق بالثورة. ولكن السيد توفيق كان في شغل بين الأوراق والهاتف ثم قال لنا إسمحوا لي الآن لأن لي عملا خارج المكتب وخرج بسلام دون أن يقول كلمة في الموضوع. وتضايقت أكثر وطلبت من الشيخ عباس السماح لي بالخروج وودعته وخرجت في أشد الإغتياظ. مفكرا دائما في كيفية الإلتحاق بالثورة وتحقيق هذه الأمنية الغالية وسرت في شمس القاهرة وفي شوارعها... بلا هدف وإتجهت إلى

الفندق وإسترحت قليلا ثم خرجت قلقا وصوت حالي يقول: ماذا يعمل هؤلاء السياسيون هنا؟ إنهم عاجزون عن كل شيء. إنهم لا يعرفون حتى مركز الثورة وحتى القائمون بها. إنهم ليسوا بثوار، إنهم هنا بلا هدف. ثم سمعت من الإذاعة بأن السيد توفيق المدني قد طار إلى السودان في وفد هام لجبهة التحرير الوطني. فإزددت حيرة. كيف لايجيبني عن سؤالي وهو عضو عامل في الجبهة؟ لماذا؟ لست أدري ولكن علي أن أدري. وعلي أن أحقق بغيتي هنا أو في طرابلس أو تونس وأدخل للجزائر وهنالك أصير واحداً من الثوار.

حيرة وحل:

– جزائري يريد الإلتحاق بثورة بلاده فلم يجد الطريق. هذا ما حيرني حقاً وجعلني أشك وأقول: هل أن هؤلاء السياسيين يعملون حقاً بإخلاص للجزائر؟ ووجدت الحل الصحيح و الجواب النهائي وهو "إعتمد على نفسك" وإتجهت رأسا إلى شرطي كان واقفاً أمامي وسألته: من فضلك سفارة ليبيا فين؟ وأجابني فسألته. فين السكة اللي بتودي إليها؟ فقال لي السكة دغره كذا. وإتجهت لسفارة ليبيا وكان الوقت مساء يوم الخميس فوصلتها وطلبت تأشيرة الدخول إلى الأراضي الليبية ولكن الكاتب بها أجابني بأن العمل قد إنتهى اليوم وغداً الجمعة لا نعمل؟ دع جواز سفركم هنا ويوم السبت تعال إليه وخذ التأشيرة. فشكرته وإحتفظت بجواز سفري وقلت له سأعود يوم السبت. وحييته وإنصرفت، مغتاظا أيضاً ولكن على الحظ هذه المرة. ورجعت إلى الفندق وفتحت محفظتي وأخرجت منها حافظة الصور وأخذت أشاهد صوراً من بلادي ومن بلد الرشيد، بغداد.

وإنقضى الليل بعد أن تجولت جله علني ألتقي بطالب من الطلبة الذين أعرفهم وعدت آخره للفندق وإستيقضت مبكراً وذهبت إلى شارع 23 يوليو وبقيت أتجول فيه علني أعثر على من أعرف وقرب "بار الأمريكان " تقاطعت أربعة شبان كل منا شك أنه يعرف الآخر، ثم إلتفت خلفي فرأيتهم قد إلتفتوا خلفهم ولكن لم يمش أي منا نحو الآخر وسار كل في طريقه. وبقيت أفكر في هؤلاء من يكونون يا ترى؟ لقد شبهتهم "إنهم طلبة" وجزائريون بلا شك. ومع ذلك لم أعرفهم ولم يعرفونني. لا.لا. غير معقول. فكل من أتى من معهد عبد الحميد لم يأت إلا بعد 1952. إن ذاكرتي لا زالت مخلصة فكيف تخونني هذه المرة. لا. لن تخونني.

كان هذا حوار مع نفسي وعدت لمكان المقاطعة وإتجهت نحو المقهى. وكان جميلاً جداً وصعدت لسدته وإتجهت لزاوية من زواياها وطلبت شكلاته باللبن وشاهدت الإخوان هناك في زاوية أخرى وصوت حالي يقول: "لا شك أن هؤلاء جزائريون. سأكلمهم سأقدم لهم نفسي.

سيطلعوني على ما يعلمون. وربما أجد بغيتي لديهم. وربما يكونون قد إنخرطوا في الثورة، هنا في القاهرة. القاهرة التي كنت أسمع أنها محور رجال الحركات الوطنية التحريرية في العالم العربي وفي غيره. وأنها معقل "لمركز المنظمات الوطنية و المضطهدين السياسيين في المغرب من طرف المستعمر أو في المشرق من طرف الصهاينة والملوك وأشباه الملوك. وكنت أعلم بالعديد من المفكرين العراقيين و السياسيين المنفيين من طرف نوري السعيد وعبد الإله وفيصل الصغير، هذا الثالوث الأسود الذي كبل العراق بقيود ملكية رجعية لمدة طويلة، وسارت أفكاري داخل الجزائر وخارجها. ونظري مشترك بين شكلاتتي والإخوة الجالسين بالقرب مني".

النجاح الأول في اللقاء الأول:

– ما زلت منزويا في "بار الأمريكان" أمامي سيجارة وينقز وصحيفة الشعب وكأس شكلاته باللبن، وإذا بشاب يتقدم نحوي ويسألني ألست الأخ بوالطمين؟ فقلت بإبتهاج نعم. فإبتسم وقال ألم تعرفني؟ فقلت عرفتك بأنك جزائري ولكن للأسف إني أحاول إسترجاع إسمك ولا شك أنك من تلاميذ المعهد. ولم يطل علي بل قال لا بأس. ستعرف إسمي بعد حين وتفضل بالجلوس معنا فالإخوان بإنتظارك، ومنهم الأخ زعرور وما إن نطق بهذا الإسم حتى طرت فرحا لأن زعرور كان ومازال من أعز أصدقائي الطموحين منذ كنا سويا في معهد بن باديس. وإتجهنا نحوهم وتبادلنا التحية بالعناق والإستغراب و التعجب لهذا اللقاء الغير المنتظر. وكان معهم أيضا الأخوين عبد الحميد بودن ورشيد نجار.

هنا إنشرح صدري وزالت الكآبة و القلق الذي كان مخيما علي لأن هؤلاء الأصدقاء وخاصة محمد زعرور تربطني وإياهم صداقة قديمة حيث كنا في قسنطينة ندرس ونطالع معا وخاصة أيام الإمتحانات وكانت حياتنا وحياة كل طالب يتعلم؛ مريرة وقاسية جدا، فهي محاربة من طرف الإستعمار ومحتقرة من أكثرية الناس وكانوا يسمونها "لغة الجنة" وكان الطالب يتحمل نفقات تعليمه لأن اللغة العربية إذ ذاك لا يتعلمها إلا الذين لم ينغمسوا في

الحضارة الأوربية ومعظمهم من أبناء البوادي والقرى. ولا أطيل الحديث في هذه المأساة التي خلقت جيلا من المعذبين في الأرض لا زمن الإحتلال فقط بل وحتى بعد الإستقلال..

بدأت الحديث مع "زعرور محمد" وقلت أين أنتم فلي أسبوع كامل هنا. لم أر واحداً منكم فإبتسم وقال إننا في خدمة الواجب، فضحكت وقلت أي واجب؟ فقال: ضاحكاً الواجب الذي كنا نتمنى الوصول إليه ثم سكت ملياً وطلب مني أن أكف عن الأسئلة من هذا النوع فإبتسمت وقلت فهمت ثم بدأ هو الآخر في الأسئلة. إلى أين سائر أنت وكيف أتيت وماهو مشروعك؟ فقلت بإختصار أني ذاهب إلى الجزائر. وسأل هل وجدت الطريق الأسلم. فقلت مع الأسف لا. ومنذ أسبوع وأنا أفتش على الطريق ولم أهتد إليه ولم أجد من يساعدني في الوصول إليه حتى هذه اللحظة. ولذا فإني ذاهب على الطريق العادي. فسكت قليلاً ثم قال: لعنة الله على السياسيين فإنهم لا يحسنون إلا الأقوال. فقلت هذه صفة معهودة فيهم. ولذا فلا داعي للتعب. وسرنا في هذا الحديث حتى وصلنا حديقة الأزبكية فجلسنا هناك وأتممنا الحديث ووجدنا الطريق وأطلعني على ما كنت في شوق إليه.

إلى مكتب الثورة والمسؤول بها وبالتجنيد:

– عرفت والحمد لله والصدفة من صديقي هذا "محمد زعرور" الذي سأخصص موضوعاً للقارئ الكريم عن حياته ومصيره، أنه مجند في الثورة هو وجماعات أخرى من الطلبة الجزائريين، وأنهم جميعهم في دورة تدريبية بالمعسكرات المصرية على إتلاف أنواعها وهو الآن وآخرون معه يتدربون في مدرسة الإشارة وبعد الإنتهاء من هذه الدورة سيسفرون عن طريق الثورة إلى أرض الثورة الحبيبة وسألته عن شروط الإلتحاق فكان جوابه كالآتي:

إن أسباب الإلتحاق بالثورة من طلبة وغير طلبة وحتى العساكر الجزائريين الفارين من جيش فرنسا العائدة بهم بعد معركة " ديان بيان فو" في القنال، ومرسى بور السعيد، قلت أن أسباب إلتحاقهم بالثورة كثيرة، منها الفقر، ومنها التطوع المخلص، ومنها الخيانة، أي أن سفارة فرنسا بمصر تبعث بعض عناصرها للتجنيد بقصد الجوسسة لذلك على الملتحق أن يثبت بأن حب الوطن وحده هو الذي دفعه للإلتحاق. وهناك إستمارة على الراغب أن يجيب عن كل ما فيها. ثم تدرس. وبعد ذلك يقبل أو يرفض. وأخبرني بأنهم لا يخرجون من المعسكر إلا يوم الجمعة من كل أسبوع.

ولذلك فإني أغتنم هذه الفرصة لأقدمك للمسؤوليين قبل رجوعي للمعسكر. وودعني على أن ألتقي به مساءً في نفس المكان. وطالت علي المدة ورجع حسب الإتفاق وسرنا معاً إلى العمارة التي يوجد بها مركز الثورة ودخلنا فوجدت هناك عدداً من الطلبة. وفي الحين إنزوينا ثم دخلنا غرفةً فإذا به يقول لي هذا هو الأخ بن بلة وهذا هو الدكتور الهدام. وتصافحنا ثم قدم لي الإستمارة وأجبت عن أسئلتها وفحصني الدكتور الهدام وبعد هنيهة أجابوني بالقبول وهنا دخل أخ آخر فقدم لي وهو الهاشمي الطود وكان في الكلية الحربية ببغداد سابقا وهو من المغرب الشقيق. وبعد مدة خرجنا وأنا في فرحة عظمى لدرجة أني أخذت أسير وأغني بصوت عال: – أيها السائل عن رايتنا – لم تزل خفاقة في الشعب – تشعل الماضي وتذكي ناره – عزة الشرق وبأس العرب. حتى قال لي زعرور ما بك فقلت إني في فرحة كبيرة يا صديقي فقال: إن الإنسان إذا أراد فلابد أن يصل. فقلت هذا صحيح. وبعد قليل إفترقنا على أن نلتقي في الأسبوع القادم. وأخبرني بأن أعود غداً صباحاً لمقر الثورة لأعرف اليوم الذي ألتحق وأودع نوعاً معهوداً من الحياة لأدخل عليه نوعاً ثورياً جديداً.

وعدت في اليوم التالي فوجدت الأخ الهاشمي وكاتب المقر وهو تلميذ معهدي قديم، هو الأخ سعدي عثمان، وأخبرني بأن أسلم كل ما لدي من أمتعة إلى مكتب الثورة لألتحق بإخواني ولأمر بدوري على مرحلة التدريب، وكانت أمتعتي تتكون من جنطتين، أحداهما مملوؤة كتباً والأخرى كتباً وملابس، وأودعتها بالمقر على أمل اللقاء بها. وبعد الإستقلال طالبت ولكني لم أعثر لها على أثر حتى أني طلبت من سفارة العراق بالجزائر ومن الدكتور عبد الستار الذي كان أستاذاً بدار المعلمين العالية الذي إلتقيت به في زيارة له للجزائر، أن يبعث لي بنسخة من شهادتي في ليسانس، فإستجاب لي الدكتور المحترم بسرعة وإستجابت لي السفارة العراقية وذكراني بكرم العراق المحبوب. سلمت أمتعتي وقادني الإخوان إلى مدرسة الإشارة بمصر الجديدة وهناك وجدت إخواناً من الطلبة الجزائريين فتدربت معهم المدة المقررة ودخلت في الأسبوع الثاني من شهر أوت عام 1956.

في مدرسة الإشارة

أوت – أكتوبر 1956 :

– قضيت هذه المدة في هذه المدرسة متدرباً على أجهزة الإرسال و الإستقبال وعلى إدراك فن الإشارة، وكان التعليم يومياً ويستمر كل النهار تقريباً وينقسم إلى قسمين نظري

وعملي، وما نجده من أوقات الراحة نقضيه في لعب كرة القدم وكان المكلف بتعليمنا هو الرائد وحيد واليوز باشيِ حاج وثالث لا أذكر إسمه، وكلهم من الذين حضروا في حرب فلسطين عام 1948 وكانوا يعطفون علينا بكثرة وكان أملهم هو أن يروا نجاح الثورة الجزائرية كما كانوا يقولون لنا بأنهم على إستعداد تام للذاهب معنا إلى الجزائر لخوض معركة التحرير معنا جنبا لجنب، وإستمرت حالتنا على هذه الحال، وكانوا معجبين بنا أشد الإعجاب، ومجتهدون كل الإجتهاد، حتى أن اليوزباش حاج كان يبكي عندما يحكي لنا مواقفه في حرب فلسطين. أما الرائد وحيد فكان ثائراً جداً ويعيش على أعصابه ويقول بأن لا راحة له حتى يكرر الحرب في فلسطين ويهزم العدو بها وكان فطناً جداً ومجتهداً وطموحاً.

وفي كل يوم جمعة كنا نذهب إلى القاهرة ونتجه رأسا إلى المكتب ليزودنا بأخبار وتوجيهات وكانت كلها عن الثورة وعن اليوم السعيد الذي سنكون فيه بين صفوف جيش التحرير الوطني وكان يصعب علينا تصور كيفية الحياة الثورية التي يحياها المجاهدون وكيف يستطيعون مواجهة جيش دولة تعد من الدول الكبرى في العالم. وكنا مؤمنين بأن الثورة ستطول لأن فرنسا عنيدة بل وزعيمة الإستعماريين.

وكانت فكرتنا إذ ذاك عربية خالصة أي أن وطنيتنا كانت عربية شاملة ولم تكن جزائرية فقط وكنا مؤمنين بفكرة الوحدة العربية ودفعنا لذلك الواقع الذي عشناه ونحن في وسط الجموع العربية و العطف الشديد على الثورة الجزائرية.

وهكذا وبهذه الروح عشنا في مصر الخالدة مع عظمة المصريين ومع تكوينهم لنا في كل ما طلبناه منهم ثقافياً وسياسياً وعسكرياً، وإنتهت أيامنا بمصر الجديدة ويوم الإمتحان أدركنا بأننا نحو الجزائر سائرون ولمصر مودعون شاكرون.

الإستعداد للسفر نحو الجزائر:

– وصل بنا الوقت إلى 20 أكتوبر 1956 حيث أنهينا دورتنا التدريبية على إستعمال الأجهزة السلكية واللاسلكية وكنا25 طالباً متدرباً، وذهبنا إلى فندق بباب الحديد بالقاهرة وكنا على إتصال بالدكتور الهدام، وكان بن بلة في هذا الوقت قد ذهب إلى المغرب للإتصال بجماعة أخرى من السياسيين الجزائريين للقيام بإتصال أولي مع الفرنسيين محاولين بذلك بداية المفاوضات، وفي أوائل هذا الشهر وقعت خيبة لممثلي الثورة في الخارج تمثلت في إرسال أسلحة بواسطة باخرة أتوس والتي تم حجزها وأسر من فيها قرب وهران من طرف

العدو ومن الذين أسروا فيها إخوة كانوا يتدربون في القاهرة ومنهم حمداد والهادي وهو طالب معهدي سابق.

مكثنا في الفندق المذكور إلى يوم 23 أكتوبر وعلى إتصال دائم بالدكتور هدام وكاتبه سعدي عثمان، وفي صبيحة 23 أكتوبر خرجنا من الفندق ولم نبتعد عنه بل مكثنا في أسفل العمارة بمقهى، وإشتريت جريدة فإذا بي أجد خبراً في إطار مربع صغير في الصفحة الأولى: إلقاء القبض على زعماء جزائريين في طائرة كانت في طريقها بهم من المغرب إلى تونس،، ولم أصدق النبأ أول الأمر حتى سمعت الأخبار في المقهى على الساعة الثامنة صباحاً، فتأكدت من النبأ وتأكد الإخوة الذين كانوا معي. وفي هذه الأثناء وصل الدكتور هدام ومعه سعدي عثمان في تأثر واضح وعندما سألنا الدكتور هدام أجاب:

هذه ضربة ثانية من طرف الإستعمار، آطوس وبن بلة ورفاقه الأربعة. ثم ودعنا قائلا إنكم مسافرون اليوم وعلامات التأثر والحزن بادية على محياه. أما سعدي عثمان فقال لنا: لا تتحركوا من هنا وسأعود لكم بجوازات السفر والسيارات وبعد مدة قليلة رجع سعدي عثمان ومعه الجوازات فسلمنا إياها ثم ناداني وقال لي "إنك مسؤول عن إخوانك حتى تصلوا إلى طرابلس ويجب أن تذهبوا حينا لتصلوا بسرعة حيث الإخوان في إنتظاركم هناك. ثم دفع لي 70 جنيها وقدم لي المسؤول عن السيارات وودعنا وإنصرف.

ركبنا السيارات وإتجهت بنا نحو الغرب وإسترحنا قليلاً بالإسكندرية ثم تابعنا السفر إلى مرسى مطروح فإسترحنا بها وبتنا وغداً صباحاً تابعنا سفرنا إلى السلوم حيث الحدود المصرية – الليبية، وبعد الترتيبات الإدارية بها دخلنا الأراضي الليبية، وكانت المعاملة من كلا الطرفين سهلة للغاية بل كانت رمزية فقط وتابعنا السير حتى وصلنا مدينة "درنة" فإسترحنا بها قليلاً ثم تابعنا السفر إلى بنغازي وبها قضينا الليل. ومساء اليوم التالي أقلعنا من بنغازي نحو طرابلس لأن السفر بها نهاراً غير ممكن بسبب كثرة الحرارة نهاراً ولأن مناخ المنطقة صحراوي.

وفي صبيحة 26 أكتوبر كنا في طرابلس ووجدنا إخوانا من الثوار في إنتظارنا وكان هذا اليوم يوم إضراب في كامل البلاد العربية إحتجاجا على اختطاف الزعماء الخمسة ولم نجد حتى المطعم الذي نتغذى به فقد صمنا النهار كله إجبارياً وفي الغد ذهبنا إلى مركز الثورة بطرابلس وكان المسؤول به شاب فقال له سي البشير ومعه آخرين منهم سي محمد

الطاهر فمكثنا بذلك المركز خمسة أيام ثم ذهبوا بنا إلى مكتب آخر يقع خارج المدينة وقالوا لنا في هذه الفيلا كان يسكن "رومل" في الحرب العالمية الثانية. ووجدنا بها جنوداً كانوا داخل الوطن فيهم الصحيح وفيهم المريض وهنا وجدت أحد زملائي في معهد ابن باديس وهو محمد علاق يرحب بي بكلمات قليلة وكان في حالة مرض وقد أثر في نفسي أشد الأثر تمنيت أن أقاسمه مرضه وكان لهذا الدار كهف كبير جداً مملوء بالأسلحة ولا تسل أيها القارئ الكريم عن نشوتي وفرحتي بإنتصاري وبإلتقائي بمجاهدين كانوا داخل الوطن يقارعون العدو ويخطون طريق الحرية والخلاص. كانت فرحتي عظيمة لأني تركت القاهرة وناصرها العظيم يزأر جباراً ضد الجبابرة ويصرخ بإسم مصر والعرب بأنه سيحارب عن وطنه وحقه في السيادة على القناة المصرية. تركت القاهرة وهي بركان سيكون ناراً وجحيماً على المعتدي على الغاصبين الطامعين، على أولئك الذين إعتادوا إمتصاص دم الشعب المصري و العربي وإغتصاب خيراته.

تركت الشعب المصري الجديد تحت قيادة البطل الجديد الذي أطاح بنظام الخونة وقال للإستعمار لا. لن تكون هذه الأرض بعد اليوم مقبرة لأبنائها وحياة لأعدائها ولن يكون هذا الشعب بعد اليوم عبداً خادماً للإستعمار. تركت مصر القنال ترد المعتدين على أعقابهم خاسئين.

تركت كل هذا لألتقي بأبناء وطني عائدين من أرض النار ومستعدين للعودة لأرض النار،، فلا عشت ولا عاش من يرضى بالثورة بديلاً وبغير الكفاح والجهاد سبيلاً.

نصف شهر في طرابلس من أواخر أكتوبر إلى 13-11-56:

– هنا في هذه العاصمة العربية – طرابلس– لمست أشياء كثيرة وشاهدت أشياء كثيرة عن عرب الشرق في نظرتهم للثورة الجزائرية، في عطفهم عن كل ثائر وعن كل جزائري وفي مساعدتهم لهم وفي كتاباتهم وصحافتهم المكتوبة و الناطقة، وسمعت حديث الشعب الليبي عن الجزائر عن ثورتها العارمة الساحقة السائرة دوماً إلى الأمام، ولمست الإيمان بإنتصار الثورة الجزائرية.

كما لاحظت السخط و التذمر من الأجانب وخاصة المعتدين على مصر إذ في 29 أكتوبر 1956 بدأ العدوان الثلاثي على مصر وكان سكان طرابلس يريدون أن يكونوا جنوداً جنباً لجنب مع المصريين ولكن للأسف لم يكن بإستطاعتهم ذلك فجنود الأعداء متمركزون

في بلادهم من فرنسيين وإنجليز وأمريكان ومع ذلك فإنهم خلقوا مشاكل لفرنسا وأرغموها على سحب قواتها من بلادهم. كما فتحوا بلادهم على مصراعيها للمصريين كي يخدموا قضية بلادهم بكل حرية.

أما في مركز الثورة الجزائرية فقد شاهدت العجب بالنسبة لي، شاهدت صفة المناضل في جبهة التحرير الوطني وواجبات الجندي في جيش التحرير الوطني مما جعلني أزداد إعجاباً وفرحاً بإنتصار الثورة الجزائرية على المحتلين الآثمين، وجدت في مقر الثورة هنا، قلة الكلام وكثرة العمل، وتوسط العيش، فالمكلفون بالمكتب في نشاط دائم وكل واحد يجري و العرق يتصبب منه، و الكاتب في عزم أكيد لا تكاد عيناه ترى شيئاً آخر غير أوراقه الموضوعة أمامه والإستجابة السريعة لكل أمر يصدر إليه من مسؤوله. أما الحياة في المركز فقد كانت تشبه إلى حد كبير حياة المجاهدين في الجبل كما وجدتها بعد وصولي إليه وخاصة الطاعة والإحترام المتبادل و المساواة التامة و المفاجآت وكثرة العمل وقلة الكلام، و الإستعداد التام لأي عمل من الأعمال، و التعاون المطلق و الإيمان و الصدق وكتمان الأسرار و البساطة في المعيشة.

وفي هذا المركز بدأ الإخوان في تعليمنا على إستعمال كل أنواع الأسلحة الموجودة لديهم. تارة في الصباح وتارة في المساء. وأحياناً في الليل. وهنا لا أخفي على القارئ الكريم أنني كسرت ذراع رشاشة من نوع 43 وهي من صنع تشيكي. وقد حييت كثيراً وكنت مستعداً للعقاب وكنت أجهل مصير من يرتكب هذا الخطأ عن غير عمد. وقد ذهبت بها بسرعة إلى أخ إسمه سي علاوة وقال لي بهدوء وبساطة. أتكسرت، فقلت نعم عندما أردت فتح ذراعها الذي كان مطبقا تكسر. فقال : أن لها يايا وعليك بالضغط على هذا الزر الجانبي فينفتح ذراعها. ولكن لا عليك سنصلحها في الحين، وهاك واحدة أخرى وإفتحها الآن أمامي. ففتحتها بسهولة كما بين لي سابقاً، ومرت المشكلة بسلام.

وكنا نقوم بالحراسة ليلاً ونهاراً وكانت التوصية هي: إن رأيت أو شعرت بأي كان يريد الدخول إلى المركز في أي وقت كان أو يقف بجوار المركز فعليك بإيقافه وإبعاده.، وإعطائه الإنذار ثلاث مرات، فإن لم يستجب فعليك بإطلاق النار عليه. وعليك بإخبار مسؤول الحراسة قبل التنفيذ فإن لم تجده فنفذ.

وفي بعض الأحيان نؤمر بالإستعداد لمغادرة المكان بسرعة ولا نعلم إلا أين نصل إلى المكان المقرر، وقد كان سروري عظيماً عندما وجدت نفسي ليلة في دار على شاطئ البحر وقريبة من الأراضي التونسية، وكانت مملوءة بالعتاد الحربي الخفيف منه والثقيل، وقد وصلنا هذا المركز على متن سيارة "جيب" من نوع لندروف. فماذا كنا نعمل في هذا المركز الذي تكررت زياراتنا المفاجئة إليه؟

لقد كنا نذهب إليه ونصله دائما في المساء لنغادره كل فجر، وفيه نقوم بفرز الأسلحة والخرطوش والقنابل و الأجهزة السلكية و اللاسلكية ونضع كل نوع على حدة ثم نبدأ بشحن سيارة النقل المعدة لنقل الأسلحة و الذهاب بها نحو الجزائر، وكنا نغطي تلك الأسلحة بعد شحنها بأكياس من الكاوكاو وتدخل إلى الأراضي التونسية على أنها بضاعة كاوكاو ونوصلها إلى الحدود وهناك نجد إخواناً آخرين فنسلم لهم البضاعة ونعود نحن إلى طرابلس وكانت التعليمات الصادرة إلينا هي أن لا نتكلم أبداً حتى لإخواننا بالمركز إلى أي مكان نذهب-. ولا أخفي على القارئ الكريم أن قسماً من الذين كانوا معي كانوا يشحنون زوارق بالأسلحة ولم أكن أعلم بذلك إلا يوم أمروني بأن أقوم بالعمل في الغرف المواجهة للبحر. ولم أكن أسمع إلا كلمة "أسرع أخي أسرع فكل شيء للوطن"، هذه الجملة التي كانت ترن في أذني رنة الحياة ولحن الوجود وكانت تبعث في نفسي أملاً عظيماً بمستقبل بلادي و أمتي.

في طرابلس وفي مركزنا نظمنا حفلة الذكرى الثانية لفاتح نوفمبر فإجتمعنا كلنا في غرفة واحدة على فراش بسيط وكان كلامنا كله يدور عن الأسلحة و الثورة ثم أخذ مسؤول المركز وهو سي البشير الكلمة وتحدث عن مغزى هذه الذكرى ثم ذكر المراحل المهمة التي قطعتها الثورة خلال عامين في أسلوب مؤثر، ثم طلب من الحاضرين، وكان الجميع يبدأون كلامهم بالخشوع أمام أرواح الشهداء ثم يزأر في حزم أنه قد وهب نفسه لبلاده ولن يتراجع حتى تحرير بلاده.

وفي هذه المناسبة عرفت أول نشيد رسمي للثورة الجزائرية وهو: إخواني لا تنسوا شهداءكم، قد ضحوا لحياة البلاد، وعرفت أيضاً أحد ضباط الثورة وهو بن عودة وقد أتى من نواحي عنابة وتكلم كلمات قصيرة عن حياة المجاهدين في الداخل وعن المعارك التي يخوضونها ضد العدو، وعن الإنتصارات التي يحققونها رغم قلة السلاح لديهم ورغم كثرة عدد الأعداء وكثرة وسائلهم الحربية من طيران ومدافع.

وعلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل إنتهت حفلة الذكرى وإنصرف كل واحد منا لمكانه متأملاً في عزم وإباء وتشوق إلى أرض المعركة، إلى الجزائر العزيزة.

من طرابلس إلى تونس:

– في صبيحة يوم 15 نوفمبر 1956، كنت جالساً في حديقة المركز تحت شجرة برتقال أطالع في كتاب (حرب العصابات) وهو الكتاب الوحيد الذي بقي معي في حقيبة صغيرة بها ملابس قليلة هي كل ما بقي لي من كل أمتعتي، وفي هذا الوقت أتاني مسؤول المركز وأمرني بأن أستعد للسفر أنا وجماعتي، فقلت حاضر وأسرعت للبيت وأخبرت جماعتي وأتانا الأمر السار والبشع في آن واحد، فقد كان ساراً لأننا سنتوجه نحو بلادنا وشعبِنا، وبشعا لأنهم طلبوا منا بل أمرونا بترك ما لدينا من جواز سفر وصور تذكارية وألبسة زائدة وقالوا بأننا لن نحتاج إليها بعد الآن لأننا متوجهون نحو أرض المعركة وقد عز علي والله أن أسلمهم حافظة الصور التي كنت أعزها أشد الإعتزاز لأنها تحمل ذكريات عديدة إمتدت من قسنطينة إلى بحر قزوين، وتحمل جل أفراد عائلتي ومعظم أصدقائي بالزمالة والمراسلة وقد حاولت أن أقنعهم بالإكتفاء بالملابس وجواز السفر وأن يتركوا لي صوري ولكنهم أبوا ذلك سلمتهم وكلي حسرة على ذلك الكنز الذي لن يعوض، وزادوا فأخذوا مني محفظة نقودي، فألقيت عليها النظرة الأخيرة وأنا محتار في شيء واحد فقط هو ماذا يعملون بها؟ إنهم سيتفرجون عليها ثم ماذا؟ ثم يحرقونها أو يرمونها ويرموني وأصدقائي وذكرياتي في سلة المهملات.

وإمتطينا سيارات نقل ومشت بنا سراعاً نحو الحدود التونسية وكل الطريق وتفكيري محصور في حافظة صوري، ثم صبرت نفسي بأنها الحرب، والإحتياط مطلوب وهب أني قتلت وسقطت محفظتي في يد الأعداء وإتجه تفكيري نحو الأمام، نحو ما نجده أمامنا في الحدود التونسية لقد كنا مسلحين وعلى تفاهم مع الحرس الوطني التونسي مسبقا وبما أن الأعداء لا يزالون يزاولون المشاركة في الحكم مع التونسيين طبقاً للإتفاقيات المبرمة بينهما إذ ذاك فإننا كنا محتاطين لذلك، ودخلنا تونس الخضراء، ولم يحدث أي حادث وسار بنا إخواننا التونسيون إلى إحدى إدارات الحزب الدستوري التونسي في مدينة مدنين وإستقبلونا بحفاوة بالغة ومن هذه المدينة عادت السيارات التي نقلتنا من ليبيا وتابعنا سفرنا نحو تونس العاصمة في سيارات عمومية يرافقنا جماعة من الحزب الدستوري ومن الحرس التونسي،

وعند وصولنا وجدنا إخواناً من الجزائريين قادونا إلى إحدى مراكز الثورة في ناحية دندان ومكثنا بها عدة أيام وفي إنقطاع كلي عن العاصمة ودب في نفوسنا القلق وكثر تساؤلنا عن مغزى بقائنا بهذا المركز في إنعزال ودون عمل. وكثر المتمردون عن المركز وتبين لنا أننا في مركز راحة وإستجمام مفروض.

في تونس عجائب وغرائب

من16 نوفمبر1956 إلى 20 فيفري 1957:

– بعد غياب طويل وجدت نفسي بتونس التي يقال عنها: – تبكي عللي ما شافهاش وأما اللي شافها هو اللي يبكي عليها– وتونس أعرفها كما يعرفها جل الطلبة الجزائريين الذين إختاروا وإختار لهم أولياؤهم قراءة اللغة العربية فهي العاصمة العربية الأولى التي كان الطلبة الجزائريون يقصدونها لمتابعة دراستهم، بجامع الزيتونة الذي كان يوصف بالمعمور، ولتونس فضل كبير على الطلبة الجزائريين بالعربية، وكنت واحداً منهم في السنة الدراسية1951– 1952 وهي سنتي الأولى والأخيرة بمكتب بن عبد الله التابع لجامع الزيتونة، وقد دفعني التعليم الذي وجدته بتونس ولو بصورة مباشرة إلى العزم على الذهاب إلى الشرق لمتابعة دراستي ذلك أنني كنت قد مللت من دراسة الألفية والفقه والتوحيد في معهد بن باديس وكنت أظن أنني عندما أذهب لتونس سأجد التعليم أرقى ولكن صدمة عندما وجدت نفسي في معمعة لا نهاية لها مع أقرب المسالك و الأصول والمحشي وأفعال وافعنلل ومن هنا قررت أن أذهب إلى الشرق أو أنقطع عن التعليم العربي نهائيا ورجعت لقسنطينة ونجحت في الذهاب إلى الشرق في أول بعثة لجمعية العلماء، وبعد أربع سنوات وجدت نفسي في تونس من جديد ولكن لا كطالب – بل كجندي في جيش التحرير الوطني وسأغادرها – ربما للأبد– قاصداً أرض الكفاح التحرري الجيد.

نعم في هذه العاصمة العربية التي أجلها؛ وجدت عجائب وغرائب وذلك في الوسط الجزائري الذي كان هناك وهو عبارة عن مزيج من المسؤوليين عن الثورة بعضهم بعث من داخل الوطن وبعضهم وصلت لهم المسؤولية بحكم معرفتهم للأوضاع بتونس وبعضهم وصلوا من الداخل فراراً من قمع العدو وبعضهم تجار وبعضهم شعب بسيط فر بشرفه وشرف عائلته من وحشية العدو والمسلطة عليهم في منطقة الحدود، وكل هذا المزيج في أمره حائر، فالمسؤول يريد أن يكون ظل الله في الأرض وغير المسؤول يريد أن يكون

مسؤولاً، والفقير يريد أن يعمل ويحصل على الخبز لعائلته وبنيه و الطالب متردد بين الإستجابة لنداء الوطن أو مواصلة التعليم أو معجزة الثورة حسب المسؤولين بها بتونس، والكل يغني غناؤه، و الخلافات بين الكثير من المسؤولين حديث هذا وذاك.

والأتعس من هذا أني وجدت خبر طالب جزائري سافر قبلي من بغداد قد قتل في خلاف أخبروني أن صاحب الخلاف هو سيد إسمه "عبد الحي" والزميل القتيل هو "عمر الشكيري" وهو من أشد الطلبة الجزائريين تحمسا للقضية وقد تخرج من كلية الحقوق ببغداد عام 1956 وقد سافر قبلي ووصل تونس ولم يحقق هدفه للأسف الشديد ومات قبل أن يقاتل عدوه داخل أرض الوطن.

وإلتقيت بالإخوة الذين سافروا قبلي من القاهرة وكان مسؤولهم هو الصديق العزيز محمد زعرور، وقد أخبروني بأنه كلف بالذهاب للأوراس مع لجنة لتقوم بدراسة رفض الخلاف الذي نشب بين الثوار في ولاية الأوراس و الذي أدى إلى إغتيال قائد عظيم من قادة الثورة الأوائل وهو مصطفى بن بوالعيد.(تبين فيما بعد أنه قتل من طرف العدو) وأتذكر أني كنت معارضاً له في الذهاب وسط هذه اللجنة بحجة أنه حديث عهد بالثورة ومن الأجدى أن يقوم بحسم هذا الخلاف الخطير من لهم أسبقية وأقدمية في الجهاد ولكنه كان مصراً على رأيه ويظهر لي أن المسؤولين بتونس هم الذين شجعوه على الذهاب للأوراس وأدركوا طموحه الذي لا حدود له فزجوا به في خلاف كان بعيداً كل البعد عن أسبابه وأهدافه، وإلتقيت به عدة مرات بتونس بعد ذهابه للأوراس ورجوعه منها وكان متفائلاً إلى حد كبير في فض تلك الخلافات الخطيرة وكان مندفعاً أشد الإندفاع في هذا السبيل الذي تطور وطال أمده وذهب ضحيته المئات.

ولم أكن مسروراً بما شاهدت بتونس وكنت وإخواني في قلق شديد بمركز "دندان" وكل يوم أقول ربما يكون هذا آخر يوم لنا في هذا المركز.

إلى، وفي سوق الأربعاء:

– ذات يوم من أيام نوفمبر 1956 فوجئنا بالإستعداد للرحيل وتم الإستعداد بسرعة وسرنا بواسطة السيارات إلى سوق الأربعاء الواقعة غرب تونس وقرب الحدود الشرقية للجزائر وقالوا لنا هل تعرفون إستعمال اللاسلكي فقلنا نعم ولكن بالعربية فقالوا لا بأس بذلك ووصلنا إلى سوق الأربعاء و أدخلنا لثكنة مشتركة مع إخواننا التونسيين، هم في جناح وهنا وجدنا

المجاهدين "الجنود الحقيقيون" الذين كانوا بالفعل في ميدان القتال في الجزائر الحبيبة وأصبحنا نسمع دوي المدافع وقنابل الطائرات صباحاً ومساءً، وكنا نتأثر أشد التأثر عندما نسمع ذلك وكان المجاهدون يضحكون أحياناً ويتألمون أحياناً أخرى، وكنا نتعجب لهذا التناقض وتطفلت يوماً وسألت أحدهم وكان جريحاً من ساقه اليمنى فقال مبتسما: نعم يا أخي إننا هكذا في الجبل تارة نضحك وتارة نتألم وأحياناً نرقص وننشد حسب ظروف ربح أو خسارة المعركة وأخذ يصف لي بإسهاب معارك المجاهدين وحالة الشعب بعد نهاية المعركة وما يصله من المحتلين ثم قال: الشعب يا خوي الشعب المسكين إنه يعاني الكثير.

أثر كلامه ووصفه الواقعي للمعارك تأثيراً عميقاً في نفسي كما زادني شوقاً إلى الدخول إلى الوطن ومشاهدة ما يجري بعيني وقتال الأعداء بسلاحي.

كانت المنادات تقع صباحاً ومساءاً وكانوا ينادون كل واحد بإسمه الحقيقي وكان الضابط ينادينا أحياناً ويبين لنا أشياءً عن ولاية سوق أهراس مثل تقسيم الولاية إلى مناطق ونواحي وأقسام كما كان يبين لنا نماذج من التقارير ومن رسائل الأخبار.

وذات يوم ذهبوا بنا إلى غرفة به أجهزة لاسلكية فرنسية الصنع، عدا واحداً فقط إنجليزي الصنع وهو الوحيد الذي نعرف العمل به، فجربناه وقمنا بتجربة فعجبوا بنا وفرحوا ثم سألونا عن إختصاصاتنا الدراسية وبما أني متخرج ومتخصص في الإجتماعيات فقد عينني مسؤول ذلك الجيش محاضراً لهم وهكذا صرت أحاضر لهم كل ليلة وإسم ذلك الضابط "ليوطنان سي رابح" وكان يقول لي: علمهم الدين وتكلم لهم عن حروب الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يحضر كل هذه المحاضرات أو الدروس بنفسه وكان لا يسمح لأحد بالتغيب عنها كما كان لا يسمح لأحد بالتغيب ولو وقتاً واحداً عن الصلاة.

وكنا عندما نسألهم عن وقت الدخول للجزائر يقولون لنا عن قريب إن شاء الله وفي هذه الثكنة ولأول مرة في حياتي شاهدت أسيرين فرنسيين أسرهما جيش التحرير الوطني في إحدى معاركه مع العدو وكانا في سجن تحت الأرض وكل يوم أطلب الإذن وأذهب عند الحارس عنهما كي أراهما وكنت أحس بسعادة منقطعة النظير بمجرد رؤيتهما، سألت أحدهما كيف ترى نفسك الآن؟ فنظر إلي في مسكنة وذل وقال: ها نحن بين أيديكم ونرجو عفوكم لأننا لم نعمل شيئاً إننا مطبقين الأمر فقط، فقلت له نعم تطبقون أمر قتل العرب مائة

وثلاثون سنة وأنتم تقتلون لكن هذه المرة تدفعون ثمن كل هذه السنوات فنظر إلي ثم ألقى عينيه في الأرض.

مكثنا في سوق الأربعاء مدة حوالي أسبوعين ثم ودعناها إذ إتجه بنا المسؤولون إلى مكان آخر من أرض تونس الخضراء المضيافة وبه عرفنا الكثير عن الثورة و الثوار.

إلى باجة العجيبة:

– تقع بلدة باجة إلى الشرق من سوق الأربعاء وفي الإتجاه الجنوبي الغربي من تونس العاصمة وإليها ذهبوا بنا ولم نمكث بها إلا حوالي ساعتين تناولنا فيها طعام الغذاء ثم أركبونا سيارة شحن وإتجهوا بنا نحو مزرعة بالقرب منها وهي ملك أحد الجزائريين وهو السيد مزيان إن لم تخن الذاكرة وكان بها معسكر للتدريب وفي هذا المعسكر سمعت عجائب أيضا ووقعت لي أول صدمة وهي حرماننا من الدخول لأرض الجزائر لماذا ؟ وكيف؟ شيء عجيب سأقصه عليك وأقوله لك بصراحة تامة:

كان المسؤول في ذلك المعسكر رجل كبير السن كان بالجيش الفرنسي ثم فر منه وإلتحق بجيش التحرير الوطني وإسمه ليوطنان سي رابح، وقد عمل بعض الوقت في الجزائر ثم بعثوا به إلى تونس وكان مسؤولا بنا في سوق الأربعاء، وبهذا المركز كلفنا بمسؤولية تدريب العديد من الجنود منهم من عاد من الجزائر ومنهم من لم يدخل بعد لها.

وكنا نجهل الأسلحة الفرنسية فكلف آخرين بتدريبنا عليها وكلفنا بتدريب الآخرين على الأسلحة الإنجليزية وكذلك التدريب على بعض أعمال التمريض وهكذا صار كل منا يعرف كل أنواع الأسلحة المتوفرة بالمعسكر ويعرف كل أنواع الأمراض وأنواع الأدوية وكيف تداوى بإختصار، وكانت هذه التدريبات لا نهاية لها حتى أعمالنا تكرار في تكرار، وفي هذه الأثناء طلبنا بصفة جماعية من ليوطنان "سي رابح" بالسماح لنا بالدخول إلى الجزائر، فأجابنا بأننا لاحق لنا في الكلام هنا بصفة جماعية بل كل المطالب يجب أن تقدم بصفة فردية فقدمنا له مطالبنا حسب أمره فأجابنا كل على حدة وفي أوقات متفرقة بأن وقت الذهاب إلى الجزائر لم يحن بعد، وكرر كل منا طلبه وكرر لكل منا رفضه وذات يوم جمعنا وقال يظهر لي أنكم تعتبرون أنفسكم وطنيين أكثر مني ومخلصين أكثر مني وتحبون وطنكم أكثر مني وإذن فنحن خونة في نظركم وأجبناه بأن هذا القول لا محل له بيننا بل إننا أتينا من الشرق العربي بنية الدخول للجزائر لا البقاء في تونس فقال إنكم لستم في تونس بل إنكم في معسكر

جزائري وتحت أوامر جيش التحرير الوطني ولا أسمح لكم أبدا بأن تقلقوني بمثل هذه الطلبات، ومرت أيام ونحن في تأثر وإنزعاج من هذه التصرفات من مسؤولينا وذات يوم ناداني إلى مكتبه وقال لي: لماذا تريد الذهاب إلى للجزائر، لتكافح أليس كذلك؟ وهذا العمل الذي تقوم به أليس كفاحا فقلت يا سيدي لقد أتيت من بغداد وتحملت صعوبات كبيرة في الإلتحاق بالثورة وعندما نجحت في الإلتحاق بها لم يبق لي إلا الدخول لبلادي هذا هو هدفي ولو أردت العمل مع الجبهة خارج الجزائر لكنت بقيت في الشرق أما عملي هذا في هذا المعسكر فإني أراه لا يلبي رغبتي ولا يتلاءم مع هدفي وزيادة على هذا فقد قلتم لنا أننا سنتدرب هنا بعض الوقت ثم تبعثوا بنا إلى الجزائر وهنا قاطعني وقال: إسمع إنك لا تعرف الحالة بالجزائر إنها صعبة جدا ليس فيها غير الموت والجوع والحرمان وإنك لا تستطيع أن تكافح في الجزائر فقلت كل ما فيها فمرحبا به إني لست بأحسن من الذين يموتون صباحاً ومساءاً وسكت فنظر إلي وهو صامت ثم قال : أخرج الآن ودعني أفكر في الأمر.

خرجت من مكتبه فإلتف حولي بعد قليل من الوقت، الكثير من الإخوة، فيهم المجاهد القادم من الداخل وفيهم من أتى معي من الشرق وفيهم من أتى من فرنسا وقلة من تونس سألوني عن فحوى موضوع إستدعائي من طرف مسؤولنا ولخصت لهم ما قال لي وأن الدخول للجزائر لا يمكن أن يكون فقالوا ضاحكين أنه مهبول، وإتجهنا جميعاً للعمل وجميعنا مصمم على الدخول لأرض الوطن بأي صفة كانت خاصة وأن المجاهدين الذين أتوا من الداخل يعرفون الطريق وأكدوا لنا أن المجاهدين بالداخل يستقبلوننا بكل فرح وسرور وأذكر هنا أن أسوأ ما سمعت في هذا المركز وأغرب هو أن العديد من الطلبة الذين سبقونا من فرنسا ومن الشرق لقوا حتفهم عندما وصلوا إلى ولاية الأوراس (الولاية الأولى) كيف كان هذا ومن قال لي الخبر؟ إن القائل لي هو سيد إسمه "لاجودان محمد الصالح" وهو أخ "لمحمود الشريف". قال لي كل مرة يأمرني النظام بنقل جماعة من أصحاب إستلوات (الطلبة) إلى جبال الأوراس يموت منهم 90 بالمئة: لأنهم مثل الكباش . على حد تعبيره . لا يعرفون شيئا عن الحرب فقلت له لماذا لا تدربونهم قبل الذهاب بهم إلى أرض المعركة فقال: إن الوقت لا يكفي لذلك فقلت له: إذن إنك أنت الذي تتحمل مسؤولية إستشهادهم فقال لي: لا. ولماذا أنا قابض الأرواح، الموت بالعمر يا أوخي فقلت له وهل تسلحونهم قبل الذهاب بهم؟ لست أنا الذي أسلحهم ولكن أحياناً يكون أكثرهم مسلحا وأحياناً بالعكس فقلت له عندك الحق كل

شيء بالعمر ... فضحك وقال أنت لا تعرف شيئاً عن الثورة ولكنك ستعرف عنها الشيء الكثير إذا طولك ربي عمرك، وأطال الله عمري وفعلا عرفت الشيء الكثير بحلاوته ومرارته قبل الإستقلال وبعده أيضاً للأسف الشديد ... ومن أسوأ ما علمت أن الكثير من الطلبة حوكموا من طرف الثورة ونفذ فيهم حكم الإعدام وصدق محدثي الأجودان "محمد الصالح".

بريق أمـل

فيفري1957:

– مازلت كبقية المجاهدين ومن هم في طريقهم نحو أرض الجهاد في مزرعة باجة، أحياناً في التدريب على الأسلحة وأحياناً في المناورات وأحياناً أخرى في دروس الطب وتارةً في إلقاء الدروس التاريخية وجهاد الرسول الأعظم، وجيوشه، وتارةً في تلقين المجاهدين الأناشيد الوطنية والقيام بالنشاط الرياضي الخشن، وكل النشاطات لم تمنعنا ولم تشغلنا عن تكرار الطلب بالدخول إلى أرض الوطن.

وذات يوم من الأيام الأولى لهذا الشهر وفي غفلة منا وفجأة وصلت لجنة تحقيق من تونس العاصمة تضم عدة ضباط من بينهم "محمود الشريف" الذي صار وزيراً فيما بعد في حكومة الجزائر الأولى والتي تكونت في 1958/09/19 برئاسة فرحات عباس، وإتجهت هذه اللجنة رأساً إلى إدارة المعسكر ونادت ليوطنان "سي رابح" ومعاونه السيد "قاسي" (كان يلقب بضيقة الروح) وتحادثت معهما ثم تركتهما بعيدين عنا وأخذت تنادي كل واحد منا على حدة بالدخول إلى المكتب وتطرح عليه الأسئلة التالية: – أين كنت قبل مجيئك لهذا المعسكر؟ وكان الجواب بالطبع يلخص في حقيقة كل منا، مجموعة قدمت من الداخل، معظمهم جرحى ومرضى، مجموعة قدمت من الشرق العربي، أقلية من التلاميذ الجزائريين بتونس وأقلية من عمالنا بفرنسا.

وسؤال عن العمل بالمعسكر وهل هو مرض وهل كل منا قابل به؟

وسؤال عن كتاب التدريب ونوع الأسلحة ومن يعلمنا في الطب؟

وهل نحن الذين طلبنا البقاء في المعسكر وهل طلبنا الدخول للجزائر ورفض طلبنا وهل نحن على إستعداد للدخول، ووجد كل منا الجو الملائم للتعبير بحرية عما يختلج في ضميره، ومر جميع المجاهدين أمام اللجنة وكان عددهم حوالي 40 مجاهداً، وبعد هذا التحقيق ذهبت اللجنة في مساء اليوم الذي وصلت فيه للمعسكر وبعد يومين من ذهابها نادى ليوطنان "سي رابح" جميع الإطارات وأبعدهم عن المعسكر في عمل تحضير ساحة الرياضة ونصب الأعمدة فيها وكنت واحداً منهم، وبعد ذلك نادى الجنود للتجمع وقام بالمنادات وقال لهم كل من يريد الذهاب إلى الجزائر عليه أن يتجه إلى المكتب ويسجل إسمه هناك ويدفع سلاحه وملابسه العسكرية إلى مخزن الملابس، ويرتدي لباسه المدني

ويستعد للسفر، كل هذا حدث بعد إرسالنا، وعند رجوعنا وكانت الساعة حوالي الرابعة بعد الزوال فوجئنا بما وجدنا إذ شاهدنا أكثر المجاهدين باللباس المدني.

ولم يتخلف منهم إلا عدد قليل كلهم مرضى وجرحى وكان أكثرهم في فرح ومرح وسألناهم عن السبب فأجابونا بالخبر، فاتجهنا فوراً إلى المكتب ووجدنا به ليوطنان "سي رابح" في إنزعاج، حييناه وقلنا له هل نحن أحرار في العمل مثل إخواننا فقال في إنزعاج أيضا، نعم، نعم، فعملنا مثل ما عملوا وبقينا في الإنتظار.

وحوالي الساعة السادسة مساءً، وصلت للمعسكر عربتا شحن وأمرنا ليوطنان "سي رابح" بالركوب مودعاً إيانا قائلاً، أرجو أن تجدوا ما تتمنون ثم ناداني وسلمني رسالة مغلقة معنونة إلى "سي علي محساس" الذي أسندت له مسؤولية الثورة في تونس بعد ذهاب بن بلة أحمد إلى المغرب، – الذهاب الذي أوصله في طريق عودته لتونس إلى يد الأعداء – وهكذا سارت بنا الشاحنتان نحو تونس على أمل اللقاء بإخواننا المجاهدين في الجزائر.

ودعنا معسكر باجه غير آسفين وقبل الإنتقال إلى الفصل التالي أقول بأن بلدة باجة كانت محرمة علينا ولا يصل إليها أي مجاهد إلا إذا كان مريضاً وأذكر أن أسوأ الأمراض التي كانت تصيبنا عدى الجروح هي مرض الأسنان وقد رافقت عدة مرات مرضانا على متن الجرارات فازدادوا مرضا على مرض خاصة ونحن ندخل القرية وجيوبنا خاوية من رائحة الدراهم، الدرهم الذي كان لابد منه ولو لتناول قهوة سوداء مع سيجارة أرتي أو حلوزي:

في تونس فيفري 1957:

– آه من تونس ومن الثوار في تونس، ومن وعودهم المملة وتصرفاتهم المضطربة ومن نظامهم الهزيل، يحيا الجبل مهد الثورة الجبلية. وصلنا تونس العاصمة ليلاً من باجه وقصدنا رأساً إدارة "سي علي محساس" مسؤول الثورة بتونس، إذ ذاك وكان في الحلفاوين ولكننا لم نجده بل وجدنا كاتباً مكانه ولم نستطع الوصول إلى هذا الكاتب إلا بعد مناقشة طويلة مع حارس الباب إذ تشبث بهذه الكلمات (سي علي مكانش هنا) والدخول للإدارة ممنوع وغدوة إرجعوا ولكننا لم نبارح المكان وفي عناد كبير عقدنا العزم على أن نصل إلى الكاتب على الأقل وكانت عدة عوامل حتمت علينا ذلك وعلي بالذات تحتم علينا الوصول عند "سي علي محساس" أو نائبه أو كاتبه لأن أكثر الإخوة الذين كانوا معي لا يملكون شيئاً من المادة الضرورية للحياة وهي الدراهم، فماذا يأكلون؟ وأين ينامون؟ وبم يشربون القهوة كل

هذه الأسباب الملخصة أو المختصرة في الإستقبال وضمان العيش جعلتني أتعصب أتعصب وأعاند الحارس حتى دخلت الإدارة ووصلت عند سيادة كاتب "سي محساس" وبعد أن حييته أجاب بالتحية وقال ماذا تريد؟ وهل معك بيان أو رسالة؟ فقلت نعم وقدمت له الرسالة ففتحها وقرأها وأجابني: "أن "سي علي" غير موجود هنا وأنا لا أستطيع أن أعمل شيئاً وعليكم بالإنصراف وغداً إئت فقط بصفتك مسؤولاً لأنه من الواجب علينا أن نحافظ على السر ولا نريد أبداً أن يكون المركز معروفاً من طرف الجميع فقلت له ليكن في علمك أننا لا نملك فرنكاً واحداً ولا نعرف أحداً هنا، فإبعث بنا إلى أي مطعم لكم معه معرفة وإلى أي فندق تريدون وغداً أعود لك، فإبتسم بمرارة وقال والله يا أخي إنها مشكلة كبيرة وزاد فقال ألم يزودكم "سي رابح" بالمصروف فقلت لا لم يدفع أي شيء غير هذه الرسالة التي قدمتها لك، فهز رأسه وأخذ يلعب أصابعه بمجموعة مفاتيح وأنا أنظر إليه بقلق وإخواني ينتظرون الجواب خارج المكتب وفي الشارع، وبعد مدة مد يده إلى قجر "درج" المكتب فتحه وجذب منه "قرطاس" من المال وقال: رغم أنه لا يحق لي أن أمس في الفلوس إلا أنني أدفع لكم شيئاً قليلاً لهذه الليلة وغداً عندما ترجع يتفاهم معك الأخ "سي علي" وقلت له شكراً جزيلاً، وكانت قيمة ما قدم لي 250فرنك للفرد الواحد وإعترضت بأن هذا المبلغ لا يكفي وأن أسوأ فندق سيطلب على الأقل 300 فرنك للفرد الواحد فقال توجد حمامات إذهبوا إليها وإقضوا ليلتكم بها، فقلت والأكل وإلى نصوم حتى يحضر "سي علي" فنظر إلي وقال ها إني أزيد 50 فرنك للفرد الواحد، فقلت لا تكفي أيضاً فقال هذا ما أستطيع دفعه لك ولا أستطيع والله أن أزيد لك ولو فرنكاً واحداً ومد يده إلي مصافحاً وقائلاً مع السلامة وإلى اللقاء غداً ووقف فهززت رأسي وقلت له مع السلامة وخرجت متثاقلاً وإختطفني الإخوان في لهف ماذا جرى؟ لقد أبطأت كثيراً فأجبتهم بأن المسؤول غير موجود وكاتبه لم يستطع أن يدفع لي غير 300فرنك للفرد لهذه الليلة وغداً سأعود لأجده وأتفاهم على السفر للجزائر فهز كل واحد رأسه وأخذ كل يفوه بكلمة حتى قال أحدهم يخيل إلي أن كل مسؤول لثورتنا بتونس غير مخلص لها، فقلت له لا تقل مثل هذا الكلام بعد اليوم فسكت ثم قال إني أعرف الكثير منهم يا أخي أغنياء وكرماء مع أنفسهم وفقراء على غيرهم وبخلاء بأموال الثورة حتى على الثوار ولكنني حاولت إقناع الجميع فنجحت وإقتسمنا ثمن الليلة وتفرقنا مجموعات على موعد اللقاء، غداً قرب الإدارة؛ لا فيها تطبيقاً للأوامر.

وفي الغد أي في الأسبوع الأول من شهر فيفري 1957 قدمت للإدارة بالحلفاوين ولكن لم أجد "سي علي محساس" وكنت لا أعرفه؛ ووجدت كاتبه البارحة ولكن اليوم وجدت الجواب وهو: علينا أن نذهب إلى مطعم اللاجئين الجزائريين الموجود قرب السوق المركزي بتونس في فترتي الغداء والعشاء، وستجد هناك نظام المطعم والقائمين به أما المبيت فسيكون في فندق رخيص الثمن وكل مساء علي بالوقوف أمام مكتب الكاتب ليزودني بحق المبيت، وبعث معي شخص ليقودني إلى المطعم فذهبنا جميعا وعرف كل واحد منا المطعم ووجدناه إسما بلا مسمى فلا توجد به إلا المكرونة ممزوجة بالبطاطة وفاكهة معظمها فاسد، وهكذا لم يستطع معظمنا الأكل به وأخذ كل منا يفتش عله يجد معارف له بتونس، أما أنا ولحسن حظي فقد وجدت بسرعة طالبين من عائلتي . إنضما فيما بعد إلى صفوف الثورة . وهما "سي محمد" و"سي الطيب" وقد فرحا بي كثيراً وضيفاني أحسن ضيافة وصرت أنا معهم بإحدى وكالات تونس التي كانت تكري بيوتاً للطلبة الجزائريين وسمحت لي ظروف العيش معهما أن أبعث ببرقية لعائلتي بقسنطينة فبعثت لي 20.000 فرنك وقد فعل مثلي بعض إخواني، وهكذا تحسنت حالتنا المادية بعض الشيء، وإطلعنا على الشيء الكثير مما يجري في ثورتنا وبين ثوارنا في تونس.

وبقي السؤال متى نسافر للجزائر؟؟

– هذا هو السؤال وهو الشغل الشاغل لكل منا ونحن نسمع الإذاعات ونقرأ الصحف فنزداد شوقاً للجزائر وكراهية في الإستعمار وعندما نسأل عن وقت السفر للجزائر، نجاب من طرف المسؤولين وما أكثرهم ! كل ولاية لها مسؤول كبير ومسؤولين آخرين تبين لي فيما بعد أنهم كتاب وسواق، وحراس وهلم جراً، نجاب بأن السفر سيكون عن قريب والجواب على هذا السؤال يكون في مطعم اللاجئين، ونذهب إليه لرؤية المسؤولين واللقاء بهم والتحدث إليهم وهناك كان الجواب عن قريب، وكل مرة تسجل أسماؤنا ويتم توزيعنا على مختلف جهات الوطن بصورة سرية ولا حق لأحد منا في إختيار المنطقة التي يريد الذهاب إليها وكانت البلاد مقسمة إلى مناطق ثم قسمت إلى ولايات في مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 ولكن التسمية لم تستعمل في تونس في الحين، وكثر علينا القيل والقال ومر أسبوع على هذا المنوال وشاء الله جل جلاله ذات يوم وظن كل منا أنه خرج من زاوية الإنتظار حيث نودينا وقيل لنا: كل واحد عليه أن يطلب أية منطقة يريد الذهاب إليها وبالطبع كل منا طلب

المنطقة التي يسكن فيها فقسمنا إلى منطقة السمندو "زيغود يوسف حاليا" شمال قسنطينة ومنطقة الأوراس ومنطقة القبائل الكبرى أما أخ من ناحية وهران وهو صديق عزيز علي إسمه "قادري أحمد" من مغنية فقد طلب الذهاب معي إلى ناحية قسنطينة التي تسمى بالولاية الثانية.

وبعد هذا التقسيم والترتيب قالوا لنا: الآن كل فوج عليه أن يتصل بممثل الولاية التي سجلناه فيها وكلهم موجودون بتونس، وفوراً سألت عن ممثل ولاية قسنطينة إنه "محجوب" أي إسمه "محجوب" وسألت أين أستطيع الإتصال به فقالوا في الإدارة أي إدارة "سي محساس" بالحلفاوين أو في بلدة تاجروين إلى الجنوب الغربي من تونس، وإنتهى الإجتماع أو اللقاء بالمطعم وكان عدد الذين سجلوا للذهاب إلى شمال قسنطينة 18 فرداً وكلهم طلبة عدا ثلاثة عمال أتوا من فرنسا وقد إستشهد من هؤلاء 12 ورجع إثنان منهم إلى تونس زمن الحرب وبقي 4 حتى الإستقلال جرح منهم إثنان أحدهما كاتب هذه السطور.

المرحلة . العملية الأولى:

– في هذا اليوم 18 فيفري 1957 ذهبت إلى حي الحلفاوين بتونس حيث توجد إدارة "سي علي محساس" فسألت عن "سي محجوب" ممثل الولاية الثانية بتونس فأجابوني بأنه غير موجود وسألت هل يأتي هذا اليوم فقالوا ربما فبقيت أنتظر هناك أخرج وأدخل حتى كلمني الحارس قائلاً إبق في الداخل أو في الخارج فقلت له لك الحق ولكن قلقت من الإنتظار فأرجوا أن تخبروني بالسيد "محجوب" إن قدم، إني في هذه المقهى القريبة من هنا، وأخبرك بأني لا أعرفه، لذلك أطلب منك هذا الطلب، فقال لي كن متهني فقدمت له سيجارة وأشعلتها له وذهبت للمقهى وبعثت له بقهوة حلوة وحوالي الساعة 11 بعث لي الحارس شخصاً آخر طالباً مني الذهاب للإدارة فهرعت مسرعاً بعد أن دفعت ثمن القهوتين للأخ التونسي الظريف ووصلت فقال لي الحارس: هاهو "سي محجوب" فتقدمت منه وصافحته فإذا به شخص كامل الطول والعرض ومتعرب وقال لي أنت فلان فقلت نعم وسألني أين جماعتك فقلت أنهم يتجولون في المدينة فقال كم عددكم ؟ فقلت 18، فإبتسم وقال الآن ماعنديش وقت وغداً نلتقي على الساعة 10 صباحا، فقلت أين؟ فقال في مقهى الحاج وهي مقهى معروفة لكل الجزائريين وتوجد بباب منارة وإنصرف مودعاً إياي وإنصرفت مودعاً الحارس الأمين.

وفي الغد ذهبت لمقهى الحاج على الساعة 9 صباحاً وبقيت أنتظر سي محجوب ولكن سي محجوب لم يأت إلى الموعد في الساعة 10 وحوالي الساعة 11 قدم في سيارة وأوقفها أمامي وأشار إلي بإصبعه أن أتقدم نحوه، وتقدمت وفتح باب السيارة وقال إركب فركبت وسار بي مسرعاً إلى حمام الأنف ودخلت معه إلى حانوت بقال وكان صاحبه من وادي الزناتي وهي بلدة "سي محجوب" وفي الحانوت دخلنا بيتا خلفية وبها وجدت بعض المجاهدين يمسحون الخرطوش من الصدأ وهم في ضعف كبير، ووجوههم مصفرة فإندفعت وقلت ما بهم ؟ ألا يأكلون : فقال "سي محجوب" لا إنهم هكذا من كثرة العمل إنهم يعملون ليلاً ونهاراً، ثم خرج "سي محجوب" وإمتطيت معه السيارة وتحدث معي قليلاً ورغم قلة حديثه فقد كان بالنسبة لي مفاجأة أخرى أخرجتني من مرحلة أخرى فإليها ،،

المرحلة الثانية والحاسمة:

– عند إتصالي "بالسيد محجوب" كنت أضن أنني إنتهيت من اللف والدوران حول المسؤولين الأعزاء وكنت متأكداً من أني دخلت مرحلة حاسمة ستنتهي بذهابنا للجبل للجزائر ولكن "سي محجوب" كذب ظني وخيب وحطم تأكدي وفاجأني ومنذراً إياي ببعد يوم السفر للجزائر إذ قال لي من أين أنت من الجزائر؟ وأين كنت ؟ وماهي ثقافتك ؟ وماهو نوع تدريبك العسكري ؟ ومن جندك؟ وأين؟ ومتى وصلت لتونس ومتى ذهبت لسوق الأربعاء وباجة؟ ولماذا لم تأت رأساً عندي إلى "سي محجوب" وهل تعرف الجماعة الذين هم معك؟ ومن أين وكيف تجندوا ؟ وهكذا أسردت عليه حكايتي وحكاية جماعتي من بغداد، لسوريا للقاهرة وطرابلس وتونس فسوق الأربعاء فباجة، فتونس، وإنتقل بي إلى سؤال إمتعضت لسماعه وحرت في الإجابة عليه وهو: هل عندكم أسلحة ؟ وقلت في أسف وإستغراب وإندهاش وعدم ثقة، لا لقد كنا مسلحين ثم جردنا من السلاح وبعثنا إليك فقال ولماذا؟ قلت لا أعرف السبب. – منذ خروجنا من باجة–. فقال: إعلم جيداً وأخبر جماعتك بأنني لا أقبل أحداً ولا أبعث أحداً للجزائر إذا لم يكن معه سلاح. فقلت في جنون من أين نأتي بالسلاح؟ فقال: من الإدارة، فقلت كلمهم أنت إنك مسؤول، فقال لا دبر رأسك أنت فقلت ولكنهم سيرفضون طلبي فقال: إذهب لهم وقلقهم حتى يسلحونكم وهكذا ودعني "سي محجوب" في باب منارة وإنصرف قائلاً لي: تجدني في حمام الأنف، إرتبكت كثيراً وفكرت كثيراً وواصلت

سيري نحو الإدارة، نحو الحلفاوين وإبتدأت مرحلة جديدة بعد أن أنهيت المرحلة التي كنت أظن أنها حاسمة فكانت عكس ما أردت.

المرحلة الثالثة والإيجابية:

– على وجه ربي سلحوني يا ناس يا مسؤولين! بهذا الدعاء ذهبت للإدارة وبعد أن إلتقيت بجماعتي وأخبرتهم بما يقول "سي محجوب" وسمعت منهم الآهات والإنتقاد المر، ووصلت الإدارة ولم أجد "سي محساس" بل الكاتب فكلمته في الموضوع فأجابني بأن الذي له المسؤولية غير موجود وعندما يأتي أقدمك له وعليك بالتفاهم معه. وفي الإنتظار كلمني مجاهد كان هو الآخر في الإنتظار فقال: لا تصدقهم أن "سي علي محساس" كان هنا ولكنهم لا يريدون أن يتصل به أحد وهذه سيرتهم هنا ثم تنهد وقال الداخل يا خويا الداخل. فقلت: هل الحال في الداخل أحسن من هنا فقال: "الفرق قدّ من السماء للأرض". فحمدت الله على هذا الخبر الجميل ولسوء حظي أنني لا أعرف سي علي محساس، ولو كنت أعرفه لكنت كلمته سواء داخل الإدارة أو خارجها.

بعد مدة خرج الكاتب من غرفته وقال: هاهو السي رشيد المكلف بالسلاح فتقدمت نحوه وصافحته وكان رجلاً طويل القامه نحيفها. وأخذ الكاتب يوضح له سبب إنتظاري له، فإبتسم وقال لي من بعثك عندي؟ فقلت: في الحقيقة لم يرسلني أحد إليك بالذات بل أرسلني سي محجوب إلى الإدارة لأخذ السلاح وعندما أتيت هنا أجابوني بأن سي رشيد هو المكلف بتوزيع السلاح فإنتظرتك حتى إلتقيت بك–. فسكت قليلاً وقال: كم عددكم؟ فقلت 18، فقال: أأنتم الذين كنتم في باجة ؟ فقلت : نعم، فقال : ولماذا لم يسلحكم "سي محجوب" ؟ فقلت لا أعرف السبب فقال: لست أدري هل أستطيع أن أسلحكم أم لا؟ وعلى كل إرجع غداً، فقلت له من فضلك وأرجوك أن تهتم بتسليحنا لأننا قد مللنا المكوث هنا، فقال لي: في هدوء وجدية إن شاء الله، وإنصرف وإنصرفت وكلي أمل في الحصول غداً على السلاح وشجعني على هذا الإعتقاد بما لاحظته من هدوء وجدية وصبر وعدم تحمس "سي رشيد"، أنه يعي ما يقول ويسأل فيحسن ويجاب فيستحسن.

وفي الغد رجعت وإنتظرته من الصباح الباكر حتى منتصف النهار ولم أبارح المركز حتى أغلقت أبوابه وبينما أنا أغادر المركز فإذا به ماشي بالقرب مني فإتجهت نحوه وحييته فرد التحية وقال سامحني لقد تعطلت، فقلت: لا بأس، وهل السلاح موجود فقال إرجع لي

إلى هنا هذا المساء على الساعة الثالثة ورجعت له وإلتقيت به في نفس الموعد، وذهب بي إلى غرفة صغيرة بالمركز وأطلعني على كمية من السلاح وقال هذا هو السلاح الموجود عندي وكان معظمه قديماً وفي غمرة من فرحة المنتصر قلت له لعل هذا السلاح غير صالح للإستعمال وإذا كان كذلك فما الفائدة من الذهاب به للجزائر؟ ثم إن سي محجوب لن يقبلنا بهذا السلاح . فوضع رأسه بين يديه وفكر قليلا ثم قال: إنها مشكلة، لكن ماذا أعمل لكم ؟ خرجنا من تلك الغرفة وأغلق بابها وقال لي: إن هذا السلاح ليس كله فاسداً بل فيه الجيد وعلى كل سأعمل كل جهدي للحصول لكم على قطع أخرى لكن ليس الآن بل إرجع لي غداً.

غادرت الإدارة وإلتقيت بإخواني وحكيت لهم مجمل ما وقع وما وعدني به الأخ "سي رشيد" فرضي بعضهم بنشاطي ولامني بعضهم وإتهمني بعضهم بأن كل هذا نتيجة لتساهلي في الحوار مع المسؤولين ورجعت للمرة الثالثة إلى "سي رشيد" وإلتقيت به في الموعد والمكان المحددين وطمأنني هذه المرة ووضع حداً لضرب المواعيد وقال لي عليك أن تأتي بجماعتك لأخذ أسلحتكم فكلها موجودة هنا وإستبشرت وفرحت وقلت هل هي جديدة فقال إطمئن فإنها جميعاً صالحة للإستعمال. وطلبت منه أن يمهلني كي أخبر سي محجوب لأني وجماعتي إن أخذناها فإننا لا نجد أين نضعها فقبل مني ذلك وقال إذهب إليه وعد وستجدني في إنتظاركما هنا. فذهبت إلى حمام الأنف وكنت في فرح شديد ووصلت وإلتقيت "سي محجوب" وأخبرته بالنتيجة فإبتسم وقال: الآن إعتبروا أنفسكم في الجزائر وركب سيارته وبجانبه مساعداه وركبت خلفهما وإتجهنا نحو حلفاوين فوجدنا "سي الرشيد" في الإنتظار فتصافح مع سي محجوب وإنحاز به جانبا وتكلما قليلاً ثم رجع "سي محجوب" إلى السيارة وقال لي: الآن خبر جماعتك ليكونوا حاضرين جميعهم هنا هذا المساء كي تحملون سلاحكم وتذهبون إلى "تاجروين"، (بها مركز سي محجوب المسؤول عن مجاهدي ولاية السمندو أو شمال قسنطينة) فذهبت وأخبرت إخواني وفي المساء كنا جميعاً (18) أمام الإدارة بالحلفاوين وإذا "بسي محجوب" يصل في سيارته وخلفه سيارة شحن فأوقف سيارته وقال لي في سيارة الشحن هذه؛ وكل واحد يحمل سلاحه بيده فأخذت أدفع لكل واحد قطعة سلاح وكانت على ثلاثة أنواع:موسكوطو (فرنسية الصنع) و303 (إنجليزية الصنع) وموزير (ألمانية الصنع)

وكانت واحدة فقط وكانت من نصيبي وهكذا إنطلق "سي محجوب" وخلفه سيارة صغيرة بها مساعديه ثم تحركت بنا سيارة الشحن خلفهما ونحن في فرح وإستبشار.

القسم الثاني

من الصفحة 41 إلى 69

ويتضمن:

- قطع الحدود التونسية الجزائرية
- مميزات السير من تونس إلى
وادي الزهور شبه جزيرة القل
- العزل والمحاكمة
- التعيين في العمل

نحن الآن في تاجروين:

– ووصلنا ليلاً إلى تاجروين وهي المرحلة الأخيرة في طريقنا نحو الوطن المقدس، وتاجروين قرية صغيرة نحو الجنوب الغربي من تونس وقرب الحدود الجزائرية وكان فيها معسكر ولاية شمال قسنطينة تحت مسؤولية "سي محجوب" ومساعدين له هما "سي عيسى" و"سي محمد الطاهر" وثلاثتهم من وادي الزناتي وهذا المعسكر عبارة عن دار مبنية بالطوب تتكون من بيت كبيرة ننام بها وبيت مملوءة بالملابس العسكرية وبها جناح للأدوية ومطبخ وفناء واسع تقع فيه المنادات يومياً ويوجد لهذا المركز ملحق يبعد عنه بحوالي 200 متر. وكانت هذه الدار والمركز واقعان خارج القرية بقليل وعلى مقربة من إحدى الثكنات التابعة للمعسكر الفرنسي. دخلنا هذا المعسكر فوجدنا الحياة به بسيطة جداً وعلى نمط الحياة التي وجدناها في طرابلس إلا أن الدار ليست نظيفة كما هي الحال في طرابلس كما أن الفراش والغطاء والأكل غير جيد بالمرة والحياة بهذا المعسكر مملة فالخروج منه ممنوع بتاتاً والعمل به غير موجود ويظل الشخص فيه وكأنه في سجن لا يعرف غير مسح الأسلحة والحراسة والنوم والأكل كما أن الحمام أو الدوش غير موجود، ولا جرائد ولا مذياع ولا أغنية، وبقينا في هذا المعسكر الذي يشبه المعتقل أو السجن، بالخروج والإتجاه نحو الوطن الحبيب نحو تحقيق الأمل والهدف.

غرائب أخرى لابد من ذكرها وأختصرها فيما يلي:

– لسوء حظي وحظنا جميعاً نحن اللاحقين بالثورة إذ ذاك أننا كنا نعيش في عزلة مفروضة علينا وكنا نسمع من إخواننا كلمات نابية وإنتقاد مر وإستهزاء وضحك ولا يحب أحد منهم أن يفتح قلبه لنا حتى أننا أصبحنا نرى أنفسنا ملفوظين تماماً أو شبه خونة وأن إلتحاقنا بالثورة جاء متأخراً وغير معقول، وكل واحد منا كان يفوه بكلمة يعتبر مخطئاً يستحق عليها العقاب بالحراسة أو بغسل أواني الأكل وتنظيف الدار ونفض الحياك من الغبار، غبار أرضية الغرف التي لم تكن مبلطة، وأكثر من هذا أن الإخوان كانوا يصورون لنا الحياة بالجبل على أنها جحيم ولا يستطيع أي منا أن يعيش به أكثر من لحظات، وليس بالجبل إلا الجوع والموت.

وأكثر من هذا أن أي موضوع نتكلم فيه وما أكثر المواضيع عند الطلبة يصل إلى مسؤول المعسكر مباشرة وهو المدعو "عيسى" الذي يقيم معنا دائما ومنه إلى المسؤول

الأعلى وهو "سي محجوب" الذي لا نراه في هذا المعسكر إلا نادراً ولمدة دقائق فقط، والغريب في الأمر أن كلامنا لا يصل إليه كما نقوله بل يصل إليه مفسراً ومطبوخاً حسبما يفهمه السامع والراوي وكان لهذا الفهم والنقل نتائج سيأتي ذكرها في فصل لاحق.

24 فيفري 1957

بداية مرحلة السفر من " تاجروين"إلى وادي الزهور بشمال قسنطينة:

– كانت حياتنا في "تاجروين" مملة ومتعبة ومقلقة مما زادنا رغبةً وشوقاً وتحمساً إلى الدخول للجزائر، وكنت دائما أسأل "سي عيسى" نائب "سي محجوب" الذي يعرفهما كل مجاهد ذهب من الجزائر إلى تونس لحمل السلاح إلى الداخل أسأله عن موعد سفرنا للجزائر، فيقول عن قريب ويذكر دائماً أن "سي محجوب" هو الذي قال له عن قريب.

وذات يوم وصل عندنا سي محجوب وأخبرنا بأن فرقة من جيش التحرير قد وصلت من الداخل، من الجزائر، من ناحية السمندو ومن ناحية ميلة تحت قيادة الشاب "سي المحفوظ" وهو شاب ذو ثقافة عربية، هادئ الطبع، قوي الإرادة فإستبشرنا به خيراً وكلمناهم ورحبنا بهم، وكلمونا بحرية وصراحة عن الداخل، عن المعارك والإنتصارات فإزداد تحمسنا ورغبتنا في الدخول لأرض الوطن ولم يطل بنا الحال هذه المرة ولم يطل المقام بإخواننا القادمين من الجزائر (ميلة) _ في تونس بل زودوا بالسلاح ورجعوا من حيث أتوا. ومن حسن حظنا أن "سي محجوب" بعثنا معهم كان يقودنا جميعا ضابط هو المسمى "سي خليفة" وهو عضو في ناحية وادي الزناتي إذ ذاك. وقد قادنا بحكمة من تاجروين إلى جبل أدباغ بوادي الزناتي. ومعه ضابط آخر اسمه "سي محمود الحروشي" والضابط "سي المحفوظ"، أما "سي محمود الحروشي" فقد مكث بنواحي الصليب بين جبل أدباغ وعزابة، ولم أعرف لماذا لأنه ليس من حقي معرفته، أما "سي المحفوظ" فلم أره منذ وصولنا إلى وادي الزهور وقد سمعت بأنه إستشهد في نواحي ميلة.

أما سيرنا من تاجروين إلى وادي الزهور كان كما يلي:

– كان تجهيزنا العسكري غير كامل، فقد زودنا "سي الرشيد" بالأسلحة فقط وليس معها خرطوش وحاملات الخرطوش واللباس العسكري والخرطوش، وأعطى لكل واحد منا 200 خرطوشة أما محازم الخرطوش فقال لنا ليس لديه وسنجد أمامنا في الداخل ما ينقصنا، ورغم إلحاحنا في الطلب فإننا لم نظفر بها بل حملنا الخرطوش في جيوبنا.

على كل ودعنا "تاجروين" والبلاد التونسية الكريمة القاسية يوم: 1957/02/24 في حدود الساعة 5 مساءاً وإتجهنا نحو الغرب نحو الوطن العزيز، وكنا نسعى بكل جهدنا لنظهر قدرتنا على السير لأن معظم المجاهدين والمسؤولين خاصةً في تاجروين كانوا

يعتبروننا لا نستطيع تحمل مشاق الطريق والسير على الأقدام ولن نستطيع أن نتحمل الجوع والقتال ومختلف الصعوبات مثلهم وكانوا يطلقون علينا إسم "أصحاب لقلام والدواية" وأصحاب "إستيلوات" للأسف الشديد.

كان سيرنا منظماً تنظيماً عسكرياً محكماً، فهناك دورية تسبقنا دائماً وتتقدمنا بحوالي 100 متر فأكثر، ولها علم ومعروفة بالطريق، ولها خبرة بحيل العدو، وكنا نحن نسير في أثرها الواحد وراء الآخر، وكان معنا عدة بغال حملنا عليها السلاح الثقيل والذخائر الحربية وكل بغل كلف به إثنين من المجاهدين، أحدهما يجره والثاني خلفه، وكنا نأخذ فترات راحة تتراوح مدتها 10و 15دقيقة وذلك بين ساعتي سير إلى ثلاث ساعات.

وعندما قاربنا الحدود الجزائرية كان العدو جاهداً في إطلاق قنابل مضيئة كي يستطيع بواسطة نورها مراقبة الحدود ورؤية من يتعداها وبذلك يحاول منع أي داخل للجزائر أو خارج منها، وكنا ننبطح على الأرض كلما رمى قنابله المضيئة فإذا إنطفأ نورها نهضنا وتابعنا سيرنا ولكننا لم نستطع الدخول لوطننا هذه الليلة بل قصدنا آخر مزرعة تونسية مواجهة لحدود بلادنا وذلك حوالي الساعة الرابعة صباحاً ومكثنا بها طيلة يوم 25 من شهر فيفري حتى سقوط شمسه وعندها بدأنا السير من جديد وكانت القافلة لا تتحرك إلا ليلاً ولا تستطيع الحركة نهاراً لأن ذلك يعد تلاعباً بسلاح الثورة وبأرواح المجاهدين وكان الهدف هو الوصول إلى المكان المخصص والمقصود بسلامة تامة في الأرواح والسلاح لذلك كان التحرك ليلاً، وكان القائد وأعوانه يتجنبون الإشتباك مع العدو لنفس تحقيق الهدف.

قطع الحدود التونسية الجزائرية:

– في يوم 1957/02/25 وبعد غروب الشمس تحركت القافلة في نفس التنظيم وبنفس الروح المعنوية الجبارة والشجاعة المثالية والإحترام المتبادل وتطبيق الأوامر حرفياً وكأنها تنزيل من رب السماوات والأرض وهذا لعمري شيء يجعل حتى الحجارة لو نطقت تسبح بحسن تنظيم الثورة الجزائرية وبحب الوطن الجزائري.

وبعد مرور حوالي ساعتين من الزمن على تحرك قافلتنا كان أولنا قد قطع الحدود في هذه المنطقة هي وادي في أغلب الأحيان يكون جافاً وإسمه "وادي سراط" ويقع بين تاجروين المنطقة هي وادي في أغلب الأحيان يكون جافاً وإسمه "وادي سراط" ويقع بين تاجروين التونسية شرقاً والونزة الجزائرية غرباً. وهنا همس في أذني مجاهد من الداخل قائلا: هذه هي

الحدود، الوادي هو الحدود. وبعد قطعه إستنشقت هواء بلادي، بلد المجاهدين، وإبتسمت لنفسي وقلت لها: ها قد تحققت أمنيتي، ها أنذا الآن في الجزائر رغم أنف السياسيين من بغداد حتى تاجروين، الحمد لله الحمد لله ألف مرة.

إبتعدنا عن الحدود ونحن في سير حثيث والعرق يتصبب من أجسامنا والقادة يحرضوننا على السرعة في السير أكثر كي نبتعد عن الحدود أكثر ما يمكن وكي نصل إلى الجبل، الجبل الذي يقع شمال الونزة جبل بني صالح، لقد تعبنا كثيراً بحيث عجز أحدنا عن متابعة السير فأركبناه بغلاً وتابعنا المسير حتى وصلنا الجبل عند طلوع الفجر وحتى تبين لنا الخيط الأبيض من الأسود وأمرنا بالتوقف والإستراحة فإمتثلنا ونزعنا الأسلحة الثقيلة عن ظهور البغال دون إحداث أية أصوات أو كلام أو فوضى، فالأمر يأتي من المسؤول الأعلى إلى أول مجاهد في السلسلة أو الطابور وهو يبلغه لمن وراءه وهكذا حتى يعلم الجميع بالأمر، ثم أقمنا الحراسة وكانت بالدور والتسلسل وبصورة متساوية وكل واحد يحرس ساعتين، وكان كل جندي ينام يضع سلاحه أحياناً تحت رأسه وأخرى بين أحضانه وكانت كلمة السر أو الرمز توزع علينا بعد تحرك القافلة بعد دقائق وأحياناً تبدل عندما نصل إلى المكان الذي نستريح فيه والرمز يتكون عادة من كلمتين تؤخذان عادة من تقاليدنا الثورية الصبر والإيمان أو الجهاد والواجب أو أسماء المدن أو الشهداء، والرمز هو وسيلة التعارف بيننا وخاصة في الليل أو عند نشوب معركة بيننا وبين العدو فمثلاً إذا كان أحدنا حارساً وسمع حساً أو شاهد شبحاً فإنه يتصرف معه كالتالي: أولاً يأمره بكلمة قف، ثم يطلب منه هويته قائلاً أشكون؟ فيجيب صاحب الحس أو الشبح بقوله: الصبر ويثني وأنت أشكون؟ فيجيبه الإيمان، وبذلك يتم التعارف ويطلب الحارس من القادم أن يرفع يديه ويتقدم، كل هذا والحارس لا يرى، أما إذا لم يحدث التعارف ولم يبرز القادم هويته فإن إطلاق النار عليه هو الشيء الواجب القيام به.

لكل هذا كانت تعطى لنا قبل المسير توصيات للتنفيذ مجملها كما يلي:

يمنع على كل واحد: التدخين _ إشعال الضوء _ الضحك _ الكلام _ السعال _ العطاس، التقدم أو التخلف في المشي أو السير وكل واحد عليه أن يتبع المجاهد الذي أمامه إن جرى يجري وإن مشى يمشي وإن إنبطح أرضاً ينبطح وإن توقف يقف وإن إستعد للقتال إستعد. كما يجب الإهتمام بالمجاهد الذي خلفك حتى لا تكون سبباً في قطع الطابور وعليك

إذا تأخر من وراءك أن تخبر من أمامك، وكل واحد عليه أن يحفظ كلمة السر وأن لا ينساها، إن وقعنا في كمين للعدو عليك أن تقاتل حتى تموت، لا تنسحب بمفردك إسمع جيداً وطبق أمر مسؤولك، سلاحك هو حياتك فحافظ عليه كما تحافظ على ذاتك، إذا جرح مجاهد بجانبك عليك بمساعدته وحافظ عليه كما تحافظ على نفسك فهو درعك، كما يعين مكان أو إثنين أو ثلاث للقاء أو للإتصال إذا حدث وتفرقنا أثناء أو بعد المعركة أو بعد قنبلة العدو لنا بالمدافع أو الطائرات ليلاً أو نهاراً.

وفي هذا الجبل، جبل بني صالح شاهدت لأول مرة مشاتي مهدمة "المشتى قرية صغيرة وهي أصغر وحدة سكنية في البادية ومن مجموع عدة مشاتي يتكون الدوار أو العرش" من طرف عساكر الإحتلال، أما سكانها فوجدتهم يسكنون أكواخاً في الجبل وحياتهم عذاب في عذاب فبالإضافة إلى الجوع والعري الذي هم فيه هناك تهديد دائم ومستمر لوجودهم من طرف الأعداء بما لهم من مدافع وطائرات وعساكر وحشية.

مكثنا طول النهار في نوم عميق نتيجة للتعب والعياء الذي أصابنا من كثرة السير وخاصة نحن الجدد لأننا لم نتعود على التعبئة والسير على الأقدام، وظهر لي إذ ذاك أنني لن أستطيع أن أتابع المشي إذا كان على هذه الحال وإذا إستمر لعدة أيام ولكني لم أعترف بهذا الضعف لأحد، وكلما سألني أحد، مسؤول أو غير مسؤول قلت له: إني في غاية.

أيقضنا مسؤول الحراس بعد الظهر، ليوم 26 /02 /1957 وكان أجمل إيقاظ، لقد فاجأنا بقوله قوموا تتغذوا يا خاوتي.. وبعد الغذاء خذوا راحتكم. شعرت بفرح شديد إذ كنت جوعاناً جداً وخيل لي أني لن أشبع مهما أكلت، وفعلاً إلتهمت حصتي من الكسرة والزيت وقطعة من اللحم إلتهاماً وحمدت الله إذ شبعت، ولا أخفي على قارئي أني سميت قبل الأكل عدة مرات، وذكر إسم الله قبل الأكل وحمده بعده عادة كل الأسر الجزائرية، وشخصياً أكثر من ذكر إسم الله عندما أكون جوعاناً بكثرة، نعم لقد شبعت وإنتعشت أكثر عندما شربت القهوة، ونمت ونام أكثر أفراد القافلة بعد الغذاء إلى حدود الساعة الخامسة مساءً، فتم إيقاظنا من جديد وأمرنا بالإستعداد من جديد للسير فأخذ كل واحد منا سلاحه وذخيرته وتم تنظيمنا كالسابق وسرنا في إتجاه غربي الوطن، وكنا عندما نصل دائماً إلى المكان أو المركز الذي نستريح فيه أو نقضي فيه نهار اليوم التالي نقوم بخزن الأسلحة الثقيلة ولا نخرجها إلا وقت الإستعداد لمتابعة السير.

الدخول في السهول:

– كان خط سيرنا كالتالي: من مركزنا في تاجروين بتونس فشمال الونزة بجبال بني صالح، فنواحي مداوروش فنواحي سدراته حيث يوجد كاف العكس وبسفحه تعرضنا لقنابل طائرات العدو لأول مرة ولحسن حظنا لم تستمر تلك القنبلة طويلاً نظراً لهطول الأمطار كما لم تصب أي واحد منا، ومن كاف العكس إلى وادي الشارف فسلاوة عنونه قرب وادي الزناتي ومنها إلى جبل دباغ القريبة أيضاً من وادي الزناتي ومنها إلى الصليب فعيون القصب فنواحي عزابة ومنها إلى جبال العالية قرب سكيكدة ومنها إلى جبال شبه جزيرة القل المنيعة ثم الوصول إلى وادي الزهور حيث يوجد مركز قيادة الولاية الثانية، وهي المرحلة الأخيرة من رحلتنا التي دامت أربعة وعشرين يوما. من 24 فيفري إلى 20 مارس 1957.

من تاجروين بتونس نقطة إطلاقنا، ونحن نسير في أغلب الأحيان في السهول عدى منطقة جبال "بني صالح" والسير في السهول كان أسهل منه في الجبال نظراً لكونها أغنى من حيث المواد الغذائية وأكثر أمناً من المناطق الجبلية لأن العدو إذ ذاك كان واضعاً جل سخطه على المناطق الجبلية ومعظم جرائمه تقع بالجبال وسكانها لأن المجاهدين كانوا يعتصمون بها أكثر من إعتصامهم بالسهول التي إتخذ منها المجاهدون والنظام الثوري مصدراً لتموينهم وتزويدهم بالمواد الغذائية وخاصة الحبوب واللحوم والمال والرجال أيضاً والنظاميون بها كانوا غير متخذين البزة العسكرية الواضحة كما هو الحال بالجبال.

وكل هذه الميزات جعلتنا لا نشعر كثيراً بالجوع والشيء الذي كان يضرنا ويزيد أتعابنا هو حمل السلاح والذخيرة والسير الطويل على الأقدام، إذ كنا نسير معدل 13 ساعة في اليوم حتى أصبحت أكتافنا حمراء مجروحة وكف أقدامنا تسيل دماءً وكنا نعالج جراحنا بنوع من النبات، ذو أوراق ملساء فنهرسها ونلطخ بها أكتافنا ونضعها في أحذيتنا، ولأول مرة في حياتي نعست ماشياً وكنت أسمع بالنعاس سيراً ولا أصدق حتى حدث لي ذلك بالفعل، وكلما أتعب ويهلكني السير أقول مع نفسي فقط إن السير هو الذي يقتلني لا رصاص العدو، ولا أخفي نشوتي العجيبة والغريبة التي كنت أنتشي بها والتي هي مدعاة حقاً للضحك وهي شمي لفضلات الحيوانات والسبب في ذلك واضح جداً وهو أن شمي لها إيذان بالوصول للمشتى وإيذان بقرب ساعة الراحة والتوقف عن السير وتناول الأكل الذي لا غنى لأي مخلوق عنه والذي هو الوقود الأساسي لإستمرار الحياة والسير على الأقدام لمدة طويلة خاصةً وأن

مناطق السهول، مناطق القمح والخروف والبرنوس تحسن طبخ الطعام وخاصة الكسكسي بمرق اللحم المخلوط بالحليب، إنه نعم الأكل ونعم الزاد ونعم العلاج لسير طويل شاق، وفضلا عن كل هذا فهو الغذاء الشعبي، حبيب الجماهير وحبيب الولائم والأعراس ومذكراً المجاهد الثائر بموائد العائلة الجزائرية العاملة من أجل الحرية والإستقلال.

نعم كنا نجد فور وصولنا مسؤولي الجبهة، جبهة التحرير الوطني العتيدة، في الجهة أو المكان أو المشتى التي نصل إليها، قد أحضروا لنا كل شيء. وليس أكثر من أشياء ثلاث هي الأكل والأخبار، أخبارنا وأخبار العدو، ثم الفراش والغطاء كلما كان ذلك ممكناً فعندما يتعذر عنهم ذلك بسبب تحركات العدو فإننا ننام في الأحراش والغابات والوهاد فنفرش الأرض الحنون وكلئها (وقرطها) ونغطى بالسماء ونجومه الزائلة بفعل مرور السحب السريعة في شهر فيفري ومارس الممطرين.

وكان قادة قافلتنا يخبرون مسؤولي الجبهة بأننا سنصل عندهم يوم أو ليلة كذا ويطلبون منهم إحضار الأكل والأخبار والمبيت. وفي الغالب كنا نجد كل شيء جاهزاً عدا الحراسة؛ فإننا نحن الذين نقوم بها وهذا أمر لا رجوع فيه فبالرغم من التعب الشديد الذي يلازمنا كان علينا أن نقوم بالحراسة منذ الدقيقة التي نصل فيها حتى اللحظة التي نغادر فيها المكان.

وكان المناضلون والمجاهدون والشعب الذين نجدهم في طريقنا يستقبلوننا أعظم إستقبال وكل واحد منهم وحتى الأطفال ينظرون إلى أسلحتنا وألبستنا بشغف ويقبلونها ويقولون بالسلاح نقاتل العدو ونحرر الوطن وكل واحد يتمنى أن تكون له قطعة سلاح مثل الذي يراه بأيدينا، وكل واحد منهم يروي لنا رواية عن ماذا فعل عسكر الإحتلال في الأسبوع الماضي والشهر الماضي وكل واحد يروي لنا كيف ضرب المجاهدون عسكر فرنسا وكيف نزعوا له سلاحه وكيف فر في ميدان المعركة وكيف تدخلت طائراته، وكيف قتلت البقر والماعز والكباش وكيف هدمت الديار وهدمت المشتى، وكل واحد يعقب على روايته بضحكة سخرية على العدو الذي يحاول المستحيل. يحاول إيقاف الثورة عن مواصلة تحقيق هدفها النبيل.

ورغم العياء الذي كنا نشعر به فإننا نحيي بعض أوقاتنا بحفلات طرب تتخللها أناشيد وأهازيج ورقصات بالبنادق يشترك فيها الجنود والمواطنون ومن أشهر الأغاني في هذه الفترة أنشودة:

يا للي تحب هذا الشمال
تشاركنا فالوطنية
أتدافع عن العلم المنصور
أنتاع الدولة العربية
أحمر وأخضر على الصدور
على الوحدة والنص الجمعية
جيش التحرير هو المنصور
على القوى الإستعمارية
شوفوا شوفوا يالولاد
الناس اللي خانوا البلاد
أكبار الروس والقياد
وزادولهم المركنتيا
(وأحيانا لنتريتيا)

وهكذا كنا نقضي بعض الدقائق في فرح ومرح لنزيل عنا بعض التعب والعياء ولندخل البهجة في نفوس مستقبلينا الذين لا نرى منهم إلا الدعاء لنا بقولهم الله ينصركم وإلا الزغاريد في أكثر المشاتي التي نمر بها أو نحط رحالنا بها.

الدخول في منطقة الجبال:

– عندما وصلنا إلى جبال "أدباغ" الواقعة قرب وادي الزناتي، والقليلة الغابات، الكثيرة الصخور، إستقبلنا بها فوج من المجاهدين ومعهم الأخ الضابط "سي عمار الشطايبي" صاحب الثقافة العربية الإسلامية والواسع الإطلاع، والشغوف بالنقاش، والمعتد بنفسه، والمتحمس أشد التحمس للثورة، والمسيرة العربية الواسعة، وللآمال وروح التفاؤل لقيام وحدة عربية شاملة، والذي نورنا بحق بالمراحل التي قطعتها الثورة.

إسترحنا يومين كاملين في هذه الجبال فإستعدنا نشاطنا وودعنا الأخ القائد "سي خليفة" وهو آخر لقاء لي معه فقد إستشهد في معركة كبرى في ربيع سنة 1958 في مكان إسمه مرمورة بضواحي وادي الزناتي وكانت هذه المعركة بقيادته من جانبنا يقابله عسكر كثير للعدو بقيادة العقيد "جان بير" الذي أسقطه جيشنا وهو داخل طائرته العمودية من نوع "لالويط" وكان هذا العقيد الوغد من أشهر قادة قوات العدو، فقد شارك في حرب الهند الصينية ورد على أعقابه خاسراً، كما يعرف العالم كله ويشارك في محاربة ثوار تونس الشقيقة وخسر، وشارك في الهجوم الثلاثي العدواني على مصر الشقيقة– بور سعيد سنة 1956 وخسر، وأتى للجزائر– مقبرة الغزاة، وفيها قتل وبجواره حطام طائرته وجثث عساكره الآثمين المعتدين.

أما الأخ "سي عمار الشطايبي"، المجاهد العربي المسلم فقد إلتقيت به من جديد، إلتقيت به مسؤولا على الكتابة العامة للولاية الثانية التي كنت أحد عناصر هذه الكتابة العامة فلم أعرف منه إلا مواصلة الكفاح بصبر وأناة ورغم الألم الذي أخذ يسيطر على عينيه، فإنه كان لا يكف عن القيام بواجبه وأذكر أن نقاشاً حاداً وقع بينه وبيني ذات يوم حول موضوع أثاره ذات أمسية من أمسيات شهر نوفمبر عام 1959 في (مُشَاوَنْ) (إسم جبل كنا متمركزين بقمته غربي الميلية) وهو: أن الثورة الجزائرية عبارة عن مغامرة تخضع لقاعدة كل مغامرة، وهذه القاعدة لا تخلو ولا تنجو من الفشل أو النجاح، وكنت معارضاً له في نظرته أو رأيه هذا إيماناً بأن الثورة الجزائرية لا يمكن أبداً إخضاعها للمغامرة، وأنها عمل مؤكد النجاح وبعد أخذ ورد حسم النزاع بقوله: "كل أملي أن تنجح ثورتنا، فتكون مغامرتنا إيجابية، ويسجلها التاريخ لنا لا علينا"؛ ومنذ نوفمبر 1959 وهو شهر إفتراقنا لم ألتق به بل سمعت أنه إستشهد، إستشهد رحمه الله في الفترة التي حكم فيهم ديغول بلاده، هذا الجنرال الذي كان ذات يوم زعيم المقاومة الفرنسية ضد الإحتلال الألماني وزعيم الجيش الفرنسي ضد حرية الجزائر، ولا غرابة في ذلك بالنسبة للديمقراطية الفرنسية المسيحية.

بعد هذا الإستطراد أتابع حكاية سير قافلتنا نحو الوصول لمرماها فأقول بعد يومين من الإستراحة في جبال أدباغ وبعد توديعنا للأخ "سي خليفة" حامل بندقية أمريكية الصنع نوع "قارا" قادنا بعده الأخ سي المحفوظ المطاعي، وسرنا مع جيشه تحت أمره عدة أيام حتى وصلنا إلى مقر الولاية الثانية الذي كان آنذاك بمنطقة وادي الزهور بجبال القل.

فارقنا جبال أدباغ كالعادة في آخر النهار متجهين غربا وعند طلوع الفجر وصلنا إلى مكان يسمى "أصليب" ونزلنا بإحدى المزارع، فتناولنا الأكل وإسترحنا طيلة النهار، ونحن داخل حوش تلك المزرعة وفي المساء غادرناها وقد لفت إنتباهي جمع العديد من الغنم وساروا بها وراءنا لتمحوا أثار أحذيتنا حتى إذا هجم العدو على المكان لا يجد أثراً لنا، وكنا في السابق نمحو بأنفسنا أثر أقدامنا بواسطة أغصان الأشجار إذ يقوم أحد الجنود بتعقبنا ومحو آثارنا حتى نخرج تماما من المشتى التي كنا فيها، وكان نظام سيرنا كالعادة يخضع لإرسال دورية أمامنا يقودها أحد المناضلين العارفين بالمسالك وبأماكن تواجد العدو، كي نتحاشاها، كما كان القائد يبعث بالخبر قبلنا للمكان أو المركز الذي نقصده كي يكون مسؤول المركز على علم بمقدمنا فيهيء لنا الأكل والأخبار والمبيت كالعادة.

ومن هذا المكان إتجهنا نحو مكان يسمى (عيون لقصب) وقد حدث أن العدو كان في عملية مسح بهذه المنطقة مما إضطرنا إلى المبيت في الأدغال كي لا نواجه العدو، وقد عمل الجوع فينا ما عمل، بحيث أقبلنا على أكل الحشيش والحشيش عبارة عن نبات صالح للأكل وليس كما هو معروف في المشرق العربي بأنه نبات مخذر. ومن هذا المكان توجهنا إلى جبل يقع إلى الجنوب من عزابة القرار قرب الركنية وبه تناولنا قليلاً من الأكل وعندما جن الليل توجهنا شمالاً ومررنا بالقرب من عزابة وقطعنا الطريق المعبد الرابط بينها وبين الحروش وبينهما وبين سكيكدة وطال بنا السير بحيث لم نتوقف عنه حتى الصباح الموالي ووجدنا أنفسنا في جبال العالية المشرفة على مدينة سكيكدة. وبهذه الجبال لم نجد لا داراً ولا أكلاً بل كان غذاؤنا تمر البلوط (الفلين) وبعض الحشيش، كما كان فراشنا الأرض وغطاؤنا السماء. وفي الليل توجهنا نحو سفح الجبل الشمالي ونحو مدينة سكيكدة وبإحدى المشاتي المخربة قدم لنا المسؤول أكلاً من نوع (المحمصة) (وهو نوع من العجين بشكل حبوب تصنعه النساء، كان لذيذاً ولكنه لم يكن كافياً لإشباعنا) وبعد تناوله تابعنا سيرنا ليلاً وقدمت لنا أوامر صارمة فحواها أننا سنقطع الطريق الوطني الرابط سكيكدة بقسنطينة وأن المنطقة يكثر بها العدو فهي خطيرة وعلينا أن نكون حذرين جداً كما أن العدو يكثر من إطلاق الأضواء الكاشفة بالمنطقة نظراً لكثرة الكولون بالمزارع المتواجدة على جانبي الطريق وهكذا في هذا الجو المكهرب، سرنا وبسرعة ووصلنا المنطقة الخطرة وكثر إنبطاحنا على الأرض كلما علت القنابل المضيئة في السماء ولم ندر حتى وجدت نفسي في حقل البرتقال وهمس

المجاهد السائر أمامي إلي قائلاً، كل البرتقال وأحمل معك ما تستطيع فمررت الكلمة لمن ورائي وأكلت وحملت معي ما إستطعت وبسرعة. كل هذا ونحن سائرون وخرجنا من المزرعة وقطعنا الطريق الوطني وإتجهنا غرباً بسرعة ووجدت نفسي أصعد الجبل من جديد والعرق يتصبب من كل جزء في جسمي، وأنا أرجو أن نؤمر بالإستراحة بعض الشيء كما هي العادة، ولكني إستطلت الأمر، فهمست بمن أمامي قائلا: أقريب نحن من الوصول أو الإستراحة. فأجابني قائلا: أسرع، أسرع وأسرعت كما أسرعوا وأنا في قمة العياء، وإذا بالقافلة تتوقف وإذا بي أحمد الله على هذه الراحة المفاجئة_ وماهي إلا لحظات حتى هتف صاحبي من جديد هيا أسرع وأسرعت من جديد وسرت لا أدري ولا أشعر هل أنا أسير فعلاً، لأني لم أعد أشعر أن لي قدمين يحملاني ويسيران بي ولحسن حظي أن الزميل ورائي أسعفني بقوله هات سلاحك أساعدك بعض الشيء، فأيقضني وقلت شكراً لك أني قادر وأني بخير، وتابعت السير، وماهي إلا دقائق حتى توقفت القافلة فعلاً، وكنا قد إبتعدنا عن الطريق الوطني، عن الأضواء، وها نحن نبلغ قمة الجبل، ويكاد الصبح ينفلق، فجلست كبقية إخواني، وتنفست جيداً، ومددت نفسي على طولها وبهذا الجبل أو المكان الذي يسمى "زغدود" قضينا ما تبقى من الليل والنهار، فنمت كثيراً كثيراً ولم أشعر بالجوع بقدر ما شعرت بنوم عميق، وفي المساء هبطنا من الجبل ووصلنا مشتى في واد عميق، وسط غابة من شجر الزيتون، وبها تجمعنا في دار وحول النار الموقدة، وحول متارد الكسكسي، فتمت لنا الراحة الكافية، الدفء الأكل ومكثنا بهذه المشتى السعيدة كل الليل، وبالقرب منها كل النهار، وفي الغد سرنا نحو جبل يسمى "بوزعرور" وقطعنا في الوصول إليه الطريق الولائي الرابط مدينة القل بتمالوس، وكان السير جد متعب نظراً لأننا نصعد الجبال ونهبط الوديان فنرتاح هبوطاً ونتعب صعوداً وهكذا حتى تم إستقرارنا بهذا الجبل السعيد، الذي يعتبر شبه حر لأن العدو لا يستطيع الوصول إليه إلا بقوات كبيرة وإلا إذا إستعد له الإستعداد الكافي، ومن هذا الجبل السعيد الذي شعرنا فيه بالإطمئنان الكافي توجهنا غرباً إلى "جبل حجر مفروش" الذي كان من المفروض أن يكون المرحلة الأخيرة من سيرنا الشاق الطويل، ولكن حظنا من التعب كان أكثر من ذلك، لأن مركز الولاية قد تحول من هذا الجبل ومن هذه المشتى في هذه الأيام لأن العدو قد خرج له في عملية واسعة النطاق، مما جعل الولاية تغير مكانها وتتحول إلى مكان آخر، وهكذا لم يكن أمامنا إلا رؤية ديار هذه المشتى على أسوء حال، إنها مخربة

محروقة، مقنبلة، لا نشاهد بها إلا آثار الهمجية الإستعمارية، فبالإضافة إلى الديار المحروقة والمهدمة، هناك المئات من الحيوانات من بقر وماعز مقتولة هنا وهناك، والمؤن من زيوت وحبوب ودقيق مبعثرة هنا وهناك، وفوق كل هذا أبناء وأمهات والحصرة تعلو محياهم على هذه الخسائر الجمة التي ألحقها المحتلون الفرنسيون بهم، وفوق كل هذا أطفال جياع، وأكثر من كل هذا كله فرح وتهليل وتكبير بقدومنا، لكل هذا لم أشعر هذا اليوم بالعياء ولم أشعر بالجوع إنما شعرت بكراهية أكثر لعدونا؛ للمستعمرين المعتدين، للكذابين على الإنسانية والديمقراطية، إنما شعرت بأنه كان من واجبي ومن واجب كل من أتى من الإخوة معي أن يحمل معه أكثر مما حمل،، أن يحمل معه مدفعا لا بندقية، وقنبلة ذرية لا قنبلة يدوية، خنجراً مسموماً لا خنجراً عادياً، ولقد تمنيت أن لو كنت أكثر وأعظم مما أنا، تمنيت أن لو كنت الهواء والماء القاتلين لكل مستعمر في بلادي فأقتلهم عن آخرهم وأريح بني وطني من شرهم وبطشهم.

مميزات سيرنا في المناطق الجبلية

أهم ما كان يتميز به سيرنا في المناطق الجبلية هو كثرة الحذر، وكثرة ساعات المشي، طوال الليل، وجزءاً من النهار، نظراً لكثرة الغيابات وأهم ما لفت إنتباهي هو كثرة آثار الحرب من تخريب للديار، وحرق للمشاتي، والمزارع، والغابات، وقتل الحيوانات وسلبها، وقلة المواد الغذائية والحذر الشديد من جميع المواطنين، وكراهيتهم للعدو، وشدة إحتياجهم للأكل واللباس وللسلاح وللأمن. إنهم يعيشون بالدقائق لا بالساعات والأيام. فما بالك بالشهور والسنوات.

إن العدو يشن يومياً حملات إنتقامية من المواطنين، ومن كل ما تصنعه أيديهم، من منازل أو مزارع أو تربية حيوانات، أما المجاهدون المسلحون الذين نلتقي بهم بين حين وآخر فإنهم كانوا يتميزون باليقظة وشدة الإيمان والصبر وقوة العزيمة، والإصرار في إحراز الإنتصار على العدو بأي ثمن كان وكل ما نراه منهم: حديثهم، لباسهم، سلاحهم يدل على هذا الإيمان، وهذا العزم، وهذا الإصرار، وكل هذا زادنا إيماناً وقوة عن قوة، وكراهية عن كراهية للعدو وآثامه التي نشاهد أثارها في كل شيء، في الإنسان، والنبات، والحيوان، والأرض.

اليوم الأخير من رحلتنا:

– مكثنا بنواحي مشتى "حجر مفروش" المخربة يومين كاملين وفي اليوم الثالث، وهو يوم 20 مارس 1957 واليوم الأخير من رحلتنا، أمرنا بالمشي نهاراً نحو قمة الجبل، الذي تقع في سفحه المشتى المذكورة. كانت مغطاة بشجر البلوط (الفلين)، الكثير الطول والمخضر طول السنة، ومضينا في نظام بديع، وفي طريق غير مزفت ووصلنا مكاناً يسمى "القصر" وهو عبارة عن دار فخمة محطمة كانت مركزاً لحراس الغابة الأجانب فإسترحنا قليلاً من الوقت ثم تابعنا مشينا حتى وصلنا إلى المكان المسمى "الخميس" فقطعنا طريقا معبداً، وهو الطريق الرابط مدينة القل بمدينة الميلية، وكنا لا نشعر بأي خوف لأن المرافقين لنا أثبتوا لنا أن هذه المناطق محررة تماماً من العدو، ولا يستطيع الخروج لها إلا إذا جمع قوات كبيرة كما فعل في الأسبوع الماضي. ومن الخميس أخذنا في الهبوط حتى وصلنا إلى

مشتى "أولاد يوسف" وكانت مخربة أيضاً تماماً. فإخترقنا أطلالها، وتابعنا مشينا هبوطاً داخل الأدغال، حتى وصلنا إلى مشتى "الجراح" الواقعة على بعد عدة أمتار من وادي الزهور، وإلى الناحية الجنوبية الغربية من مدينة القل البحرية، وكان الوقت مساءً فإستقبلنا مسؤول المركز، ومسؤول المشتى، وقلة من المجاهدين إستقبالاً حسناً، ومكثنا بالقرب من المشتى في غابة البلوط. فإسترحنا قليلاً ثم أمرنا بإستعداد للسير، فأيقنت أننا سنسير طويلاً وأننا لم نصل بعد إلى مقر الولاية، وتمنيت أن لو قضيت هذه الليلة في هذه الغابة حتى ولو لم نأكل. ولكن ظهر بعد سير قصير، أننا وصلنا إلى بيت القصيد وأن الهدف من بداية سيرنا هو الدخول إلى المشتى، إلى الديار، إلى المبيت في هذا المقر. في الدفء، حيث نوقد النار بحرية ويوجد الأكل والفراش والغطاء وكذا العفو من الحراسة، لأن المجاهدين الموجودين في هذا المركز سيتكفلون وحدهم بها، وكانت ليلة من أحسن الليالي في هذه الرحلة. لأنها ليلة الوصول، وليلة الدفء والأكل والأخبار الحسنة وحتى الممرض زارنا هذه الليلة فعالج مرضانا، وأرشد من أرشد منا ولو أننا كنا مزودين بصرة من الأدوية إلا أن وجوده بيننا كان أفضل وأنفع، بحكم تجربته الطويلة في ميدان الطب. وهكذا مرت ليلتنا بسلام. وفي الصباح من اليوم الثاني تم إيقاظنا، وخرجنا جميعاً، وإتجهنا نحو الجبل، وبعد صعود الشمس أُعطينا الحرية الكاملة في التحرك وفي الحديث، وفي التدخين وفي تنظيف الأجسام، والملابس، في النهر والعيون القريبة منا، وفي هذا الجو البهيج أخبرنا بأن أعضاء الولاية الذين كنا في شوق لرؤيتهم وللقائهم يوجدون في مكان ليس ببعيد منا، وأنهم في إجتماع هام. وفي هذا الصباح نودي قائد قافلتنا "سي لمحفوظ" من أحد المسؤولين، ولم ندر ما دار بينهما فإذا به يتجه نحونا ويقول: إخواني لقد حان الوقت للإفتراق.

إنكم ستبقون هنا (وكنا 18 مجاهدا) أما أنا وأفراد القافلة فسنتابع مهمتنا، وعليه فإلى اللقاء بكم في الإستقلال أو في الجنة، وأمر جنوده بالإستعداد، وتم إستعدادنا نحن، وتعانقنا جميعا، وعلامة التأثر بادية على كل واحد منا، وتم الفراق بيننا، وكلنا دعاء بالنصر لقائدنا "سي المحفوظ" ورجاله. الذين مشوا وسط أدغال مشتى "الجراح" ونحن نترقبهم الواحد بعد الآخر حتى إحتجب آخرهم عنا، فإسترحنا في نفس المكان وحمل إلينا طعام الغذاء من المشتى. وفي المساء أخبرنا بالإستعداد. فلبس كل منا لباسه، وتنكب سلاحه، وبقينا في الإنتظار، وماهي إلا دقائق حتى وصل أحد المجاهدين، وقادنا من "الجراح" لمشتى الجيزية

المقابلة للجراح، والمطلة على البحر الأبيض، وكانت المسافة قريبة لم نتحمل في الوصول إليها أي تعب، وعند وصولنا إلى مركز قيادة الولاية الثانية، بهذه المشتى وضعنا في دار بها الفراش والغطاء والأكل، فتمت راحتنا ونحن في حالة فرح بالوصول سالمين.

شعوري أثناء الطريق

– لا يمكن لأي إنسان في وضع كوضعي هذا أن ينجو من الشعور بما يقوم به، وما يجري حوله، ولا يمكن له إلا أن يفكر ويحس ويكون إنطباعات عن الجو الذي يحياه. ويشارك في أحداثه خاصة أنني إنتقلت – وبرغبة مني، وبإيمان وإرادة – من جو الأمن والحرية والسلام ببغداد الرشيد إلى دمشق الأمويين إلى القاهرة الناصرية إلى طرابلس السنوسية–في ذلك العهد– إلى تونس، نعم إنتقلت من جو الجامعات بصفتي واحداً من بعثات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الدراسة ببغداد الحبيبة، بلد الرشيد، وبلد الثورات، والتحرير؛ بلد الرصافة ورشيد عالي الكيلاني، إنتقلت من هذا البلد الكريم بعد أن علمني حتى نلت شهادة الليسانس في الإجتماعيات، ثم غادرتها منتقلاً في البلاد العربية قاصداً الجزائر، قاصداً الوفاء لأهلي الذين علموني لغة الأباء والأجداد، لغة الإسلام، قاصداً الوفاء لأساتذتي الذين علموني أن الجزائر بلدي وأن العربية لغتي وأن الإسلام ديني، قاصداً الوفاء لأساتذتي الذين علموني أن إنسانيتي لن تكتمل وجزائريتي لن أكون أهلاً لها ولغتي لن أكون وفياً لها وديني لن أكون مخلصاً له: إذا لم أحارب (الكفار) المحتلين لبلادي، والمانعين على تعليم لغتي في بلادي، المحولين مساجدي إلى كنائس وثكنات، والمستعبدين لأهلي والمغتصبين لخيرات بلادي.

إن وضعي هذا هو الذي جعلني أشعر وأفكر وأسجِل إنطباعات، فقد كنت أشعر بسعادة ما بعدها سعادة، كنت أشعر بالوفاء لكل من علمني، إبتداءً من "سيدي بولحبال محمد" الذي علمني القرآن الكريم في مشتى "الطهيرة" مسقط رأسي ببلدية (برج الطهر) إلى "سيدي محمد الزاهي" بمدرسة الجزارين بقسنطينة–إستشهد كل منهما في ثورة التحرير– إلى جموع أساتذتي بمعهد "عبد الحميد بن باديس" بقسنطينة، وفي مقدمتهم "الشيخ العباس بن الشيخ الحسين"، والشيوخ "أحمد حماني"[1] و"نعيم النعيمي"، و"عبد المجيد صيوش" و"عبد اللطيف القنطري"، و"أحمد بوروح"، و"عبد الرحمن شيبان"، و"أحمد حسين"، و"عبد القادر الياجوري"[2]، و"محمد العدوي"[3]، و"عمر جغري"، ومدير المعهد القدير "الشيخ العربي التبسي"[4]، وكاتبه الأمين "رضاحوحو"[5] ونائبه الشيخ "خير الدين" كما كنت أشعر بالوفاء لإخوتي الذين لم يبخلوا علي بنور المعرفة، ومنحوني عطف أبي الذي توفي وأنا لم أبلغ الحلم، وفي مقدمتهم أخي الأكبر "سي أحمد". هذا الأخ العظيم الذي علمني كما علم كل إخوتي، ولم يبخل علي بالثمن الباهض الذي سافرت به من قسنطينة إلى بغداد ذات يوم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأكون من بين أفراد بعثتها الأولى التي بعثت بها إلى العراق المضياف. هذا الأخ الصادق الذي علمني أن جد أبي توفي أسيراً بسجن طولون بفرنسا، لأنه شارك في الحرب ضد الغزاة الفرنسيين في ثورة المقراني عام 1871، كما كنت أشعر بالوفاء أخيراً لأساتذتي بجامع الزيتونة، وبغداد وبمدرسة الإشارة بمصر الجديدة بالقاهرة.

———————————————

(1)– التحق بالثورة وتم القبض عليه وحكم العدو عليه بالإعدام وسجنه في سجن تزولت حتى الاستقلال.

(2)– تم القبض عليه وسجن في سجون غرب الجزائر حتى الاستقلال.

(3)– إغتاله العدو في معتقل الحامة قرب قسنطينة عام 1954.

(4)– إغتاله العدو في العاصمة يوم 4 أفريل 1957.

(5)– اغتاله العدو ضمن مجموعة من أعيان قسنطينة إنتقاما لإعدام الثورة لمحافظ الشرطة "سان مرسيليا"

*– أما الشيوخ الآخرون فقد بقي منهم اثنان بالجزائر وهما: "عمر جري وسجنه العدو عدة مرات، وعبد اللطيف القنطري".

وهاجر الآخرون إلى البلاد العربية وخاصة تونس وهم: نعيم النعيمي، عباس بن الشيخ الحسين، أحمد بوروح، الشيخ خير الدين، عبد المجيد جيوش، عبد الرحمن شيبان.

وكنت أفكر في الواقع الذي أنا فيه، وفي مقدرة المجاهدين، وفي إستعداد الشعب، وفي مراكز العدو المزروعة هنا وهناك وفي الكلام الذي سمعته خارج الجزائر عن المجاهدين في الداخل، وفي الحياة التي يعيشها مسؤولو الثورة في الخارج، وفي الأسلحة التي شاهدتها في طرابلس بليبيا، وفي باجة وسوق الأربعاء، وتاجروين بتونس وفي بنادق الصيد التي شاهدتها في أيدي المجاهدين في الداخل، وفي الملابس العسكرية التي تركتها ورائي، والتي وجدت المجاهدين يلبسونها فمعظمها غير عسكري بل كنت أفكر حتى في التاريخ، لأنني عندما كنت أذهب إلى جامع الزيتونة بتونس قبل الثورة بواسطة القطار كنت أقول لإخواني الطلبة متعجباً كيف كان أجدادنا العرب المسلمون يقطعون كل هذه المسافات على أرجلهم وعلى خيولهم. وكيف إستطاع العظيم "عقبة بن نافع" –رضي الله عنه–، أن يصل حتى المحيط الأطلسي ويعود حتى يستشهد بالمكان الذي يحمل إسمه اليوم "سيدي عقبة" بالجنوب الجزائري. وأقرن تفكيري ذلك بواقعي اليوم، فها أنذا أجد الجواب بعيداً عن كل تعجب أو إستغراب، وظهر لي الأمر سهلاً والمسألة لا تدعوا أبداً للتعجب، وأن كل عقبة تزول أمام الإرادة، والمبدأ، أمام الإيمان، فالمسلمون الأولون الأمجاد آمنوا برسالة إلهية وأرادوا تبليغها فبلغوها، ونحن آمنا بنصرة الإسلام وتطهير الأوطان ونحن إلى ذلك ساعون مجاهدون، ولن يتم لنا ذلك إلا بدحر المحتلين الكافرين ودحرهم يتطلب منا كفاحاً مريراً وها نحن سعداء بهذا الكفاح الشريف وبإرادة المؤمن الذي لا يقهر. وهنا تذكرت قول الرسول الأعظم (ص) " لو تعلقت همة بن آدم بنيل ما فوق السماء لنالته" وإستقلال الجزائر ذلك الوقت كان أمنيةً وحلماً.

وكان إنطباعي الأول بعد الليالي و الأيام التي قطعنا فيها مسافة 600كلم أو تزيد – من تاجروين إلى وادي الزهور – أن تلك الأمنية تتحول شيئاً فشيئاً إلى حقيقة، وكان هذا الإنطباع مبنياً على ما شاهدته من بغداد حتى وادي الزهور. إن موجة التحرر هي الطاغية وإن الإستعداد للإنعتاق هو السائد، وإن كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، إنها منطق الجيل العربي الجديد – جيل القرن العشرين –

في إدارة الولاية الثانية:

– عند وصولنا إلى إدارة الولاية وجدنا اسمها "الولاية الثانية" وذلك طبقاً لمقررات مؤتمر وادي الصومام، الذي إنعقد يوم 20 أوت 1956 بالمكان المذكور بالولاية الثالثة، والذي حضره قادة الثورة. وهو أول مؤتمر يعقد داخل الجزائر ويحضره قادة الثورة، المجاهدون العاملون في الميدان، وتم تنظيم الثورة، وتوحيد قوانينها، ومختلف أنظمتها وسيأتي الحديث عن أهم مقررات هذا المؤتمر في السطور التالية لاحقاً.

وهنا بالجيزية سلم الأخ "سي المحفوظ لمطاعي" الذي ودعنا في الجراح للولاية الرسالة الخاصة بنا، المبعوثة إليهم من طرف ممثل الولاية بتونس السيد "محجوب العيفة" (من وادي الزناتي)

وهنا أيضا وجدنا فرقة أخرى مكونة من حوالي 80 مجاهداً (جديد) قدمت من تونس أيضاً. وكان فيهم عدد من الطلبة قدموا من سوريا ومن مصر وعدد من فرنسا. وآخرون من تونس، وطبعاً كانوا كلهم جزائريين ينقسمون إلى قسمين طلبة وعمال. وكان قسم منهم مبعوثا للولاية الثالثة الممتدة من خراطة إلى تيزي وزو والأخضرية وكانوا مسلحين. أما القسم المبعوث للولاية الثانية – شمال قسنطينة – وكان غير مسلح ولكنه كان متدرباً على الإسعاف الطبي، وكل واحد أتى معه كيس من الأدوية والآلات الطبية. ولم يكن لي لقاء بهؤلاء الإخوة في تونس إلا أني أعرف البعض منهم عندما كنت في كل من القاهرة وتونس ولم أكن أعلم أنهم قد إنخرطوا في صفوف الثورة، حتى شاهدتهم في بلاد الثورة ففرحت بوجودهم فرحاً شديداً، إلا أن إتصالي بهم ومحادثتي معهم لم تكن متيسرة للأسف الشديد في هذا الظرف الذي وصلت فيه إلى المركز، إلى قيادة الولاية2.

عزلنا في مكان خاص:

– كنا في مشتى الجيزية المشرفة على وادي الزهور وعلى البحر الأبيض المتوسط وحيث يوجد أعضاء الولاية 2، وكانوا إذ ذاك هم الإخوة:

– سي عبد الله بن طبال، وسي علي كافي، وسي علاوة بعطوش.

وفي هذا المشتى وضعونا في دار تبعد عن الدار التي يتمركزون بها بحوالي 500 متر وفيها تم عزلنا عن بقية المجاهدين، فلا نتصل بأحد، ولا يتصل بنا أحد غير المسؤول الذي يبعثون به إلينا لتزويدنا بالأوامر التي مؤداها: الأمر بالحراسة عن أنفسنا، الإخبار

بكلمة السر، ثم يعود، وكلما سألنا لا يجيبنا بأي شيء غير تطميننا، بأننا في مكان مأمون، وأن العدو لا يستطيع الوصول إلى هذا المكان إلا مرة في الثلاثة أو الأربعة أشهر. وأننا في جبل يكاد يكون حراً. وإذا حدث أي شيء فإنه سيأتينا. وغير هذا لا يقول شيئاً، ولا يكلفنا بأي شيء، وكان الأكل والفراش والغطاء متوفراً، إلا أننا كنا قلقين، وكان قلقنا يعود إلا أشياء ثلاث وهي:

1- لماذا لم يتكلم معنا أعضاء الولاية.
2- لماذا نحن على إنفراد فلا يتصل بنا أحد، ولا يكلمنا أحد غير ذلك المجاهد.
3- أننا نحن 18 شخصاً لا يملك واحد منا ولا فلساً واحداً، ومعظمنا لا يصبر على التدخين (تم الترخيص بتعاطيه من جديد في مؤتمر 20 أوت بوادي الصومام عام1956) والقيادة على علم بهذا الإفلاس فلماذا لا تزودنا بدريهمات لشراء الدخان فقط.

المفاجأة الكبرى

– في أمسية اليوم الثاني من شهر أفريل عام 1957 كنت جالساً أمام الدار التي كنا مقيمين بها في مشتى الجيزية وذلك تحت أشجار الزيتون الدائمة الخضرة وكانت الطريق تمر قرب تلك الدار التي سلمت لحد الآن من تخريب العدو وإذا بي أرى مجاهدين ببدلتهما العسكرية يمشيان بتثاقل بالقرب مني فإذا بهما "سي عبد الله" قائد الولاية ونائبه "سي علي كافي" وفجأة نداني هذا الأخير طالباً مني أن أذهب إليهما فمشيت مسرعاً وحييتهما التحية العسكرية المعهودة وردا علي بمثلها وقالا تعال معنا إلى مركز القيادة الذي كان قريباً من المكان الذي نحن فيه. وهكذا أخذت في المشي معهما تارة بجانب "سي عبد الله" وتارة بجانب "سي علي كافي" وبين حين وآخر يلوح لي أحدهما بسؤال من هنا وسؤال من هناك حتى وصلنا إلى الدار التي كانوا متمركزين بها وكانت متطرفة وآخر دار في المشتى من ناحيتها الشمالية الغربية وحين وصولنا لم ندخل إليها بل إتجهنا إلى ربوة بالقرب منها جلسنا نحن الثلاثة. وبحكم المكان فقد كنا نشاهد ونحن جلوس الجبال ووادي الزهور والبحر الأبيض المتوسط ولم يطل بنا المقام حتى إلتحق بنا العضو الثالث في قيادة الولاية وهو الأخ "سي علاوة بن بعطوش" وكان أصغرهم سناً.

وفي هذه اللحظة كنت أشعر بإحساس فوار يتمرجح بين الأمل في الخروج من الحالة الغيرعادية التي أعيشها وجماعتي والغير منتظرة من طرف المجاهدين في الداخل وبين الخوف والهيبة من وجودي وحيداً أمام هؤلاء الضباط الثلاث الكبار.

كانوا جميعهم يدخنون وكنت في شوق بالغ إلى التدخين إلا أن شوقي هذا ورغبتي هذه إنطفأت أمام الإحساس الذي كنت أحس به.. ومنعتني هيبتهم من التجرأ على طلب سيجارة منهم وبقيت كالتلميذ أمام الأستاذ العملاق أنتظر ماذا سيقول لي.

وبدأ القائد "سي عبد الله" في الحديث وكان حديثه جملة من التهم، تهم خطيرة يقذفني بها وجماعتي. وهنا كانت المفاجأة الكبرى، المفاجأة التي لم يكن ينتظرها منا أحد ونحن نسعى بكل جهدنا للدخول للوطن الحبيب.المفاجأة التي سقطت على نفسي كالصاعقة فجعلتني أشعر بأني أنكمش وأصغر وأصغر حتى أصير ذرة أمام هؤلاء العمالقة، وهكذا ضاقت بي الأرض بما رحبت وغاب عن بصري الجبل والبحر ووادي الزهور وتمنيت أن لو إنشقت الأرض وغصت فيها كما تغوص فيها قنابل بل مدافع عيار 105مم. وخيل لي أن هؤلاء الضباط الكبار الثلاث ماهم إلا عزرائيل وصل إلي قبل أن يبعثني الله إليه. وحتى لساني خانني أول الأمر نتيجة لشدة وطأة المفاجأة، فلم أستطع أن أتكلم و"سي عبد الله" يزيدني تهماً على تهم كأنه لم يفهم ولم يدرك الحالة النفسية الخطيرة التي أوجد عليها رغم أن وجهي قد إزداد إحمراراً وبشرتي إزدادت إقشعراراً حتى عرقت في شهر أبريل بالعرق البارد كبرودة أمسية أيام أبريل الممطرة.

هنا وأمام هذه الدهشة الطارئة التي أصابتني وأخرصت لساني تدخل الأخ "سي علاوة" وقدم لي سيجارة وزاد فأشعلها لي وقال في هدوء: تكلم إنك أمام إخوانك، تكلم إن كان ما سمعته صحيحاً أم لا. دخنت شاكراً سي علاوة الكريم الحنين. دخنت فإستعدت قوتي وصرت أرى وأبصر وأنطق. بدأت كلامي مدافعاً عن نفسي وعن إخواني الذين كانوا تحت مسؤوليتي، بعضهم من القاهرة حتى طرابلس حتى وادي الزهور وبعضهم من تونس حتى مقر الولاية. وواصلت دفاعي بحماس وكنا جميعا في حالة جلوس. ثم إنصرفت ولكن إلى أين. عند إخواني ماذا أقول لهم. وكيف سيكون إستقبالهم لهذه المعركة الإتهامية الغير متكافئة والتي قد تؤدي بنا إلى الهلاك. لقد غضبوا كثيراً وإجتهدت تخفيف التهم الموجهة لنا وإنني سأعمل ما في وسعي لإبطالها.

متابعة الحدث:

– رجعت إلى الولاية في اليوم التالي يوم 3 أبريل 1957 وكان الجو صحواً وطلبت من الحارس أن يسمح لي بالدخول عند "سي عبد الله بن طبال" فأمرني الحارس بإنتظار الرد وبعد حوالي نصف ساعة أذن لي بالدخول. فدخلت ووجدت الأعضاء الثلاثة جالسين أرضاً فحييتهم وجلست أمامهم بعد أذنهم وبدأني "سي عبد الله" بالحديث فقال:

هل أخبرت إخوانك بما دار بيننا بالأمس.

فقلت نعم.فقال:

وكيف كان جوابهم. فقلت: مثل جوابي وأنهم في حيرة وضجر وقلق. فقال: أليس من الأحسن لك أن تتكلم بإسمك فقط. فقلت: لا. أنه من الأحسن لي ولهم أن أتكلم باسمهم جميعا لأني أعرفهم وأعرف أن هدفنا واحد. وهو المشاركة في الجهاد من أجل تحرير الجزائر. وإذا أردتم أن تبحثوا كل واحد على حدة فإن كل واحد منهم على إستعداد لذلك. فقال: لقد قلت لك أمس كل ما نعرفه عنكم. وعلى كل، عد الآن عند إخوانك وآت لنا بواحد معك فقط.

عدت بسرعة للدار وأخبرت إخواني بإختصار وقفلت راجعاً للولاية ومعي أحد زملائي وما وصلنا ودخلنا حتى باغته "سي عبد الله" بأسئلة بدت سريعة وسطحية فكان جواب زميلي سريعاً واضحاً. وهنا توجه "سي عبد الله" نحوي وهو ينفث دخانه ويشرب قهوته وكان مدمناً فيهما: هل لك شيء آخر تريد قوله، فقلت نعم فقال تكلم:

قلت : إننا أبرياء من التهم التي وجهتموها لنا وعلى كل فإني أطلب منكم بإسمي وبإسم إخواني أحد أمرين:

– إما أن تعينونا في العمل وإذا ثبت علينا أي شيء من التهم الموجهة لنا فإننا بين أيديكم وفي هذه الحالة بإمكانكم أن تسلطوا علينا العقاب الذي تأمر به الثورة.

– وإن كان هذا غير ممكن لكم فإننا نريد منكم إعادتنا من حيث أتينا بعد تزويدنا ببيان إستلامكم للأسلحة التي قدمنا بها.

سكت "سي عبد الله" قليلاً وإبتسم "سي علاوة" وإغتاظ "سي علي" ثم قال لي أولهم: إننا نعرف ما نعمل. وأن مصلحة الثورة فوق كل إعتبار وهذا ما أقوله لكم وعليكم بالرجوع عند إخوانكم والبقاء هناك كالعادة حتى نخبركم. وهنا حييتهم وزميلي وإنصرفنا عند إخواننا.

وأخبرتهم بالذي حدث وبنهاية البحث وعلينا بإنتظار النتيجة أو الحكم. ومنذ هذا الوقت ونحن نغلي ونحاول أن نجد سبب هذا الموقف من جانب الولاية إتجاهنا فلا نهتدي إلا حل وصار القلق هو طابعنا، فلا نوم ولا أكل ولا راحة ضمير، وكل ما كان يخفف عني مشقة هذا الموقف هو لجوئي للكتابة والتمزيق ومحاولة قول الشعر ومن الشعر الذي نظمته في هذا الجو هاتين القطعتين:

ياجزائر يا حبيبة كم أهواك ياعزيزة
من بعيد يا شهيدة أتيتك بروح بريئة
هدفي يا أميمة أن تعيشي كريمة
دخولي إليك فضيلة فكوني بي رحيمة
وقولي: بسلاحي أحميك و بدمي أفديك
بثقافتي أرويك وبجهدي أغذيك
وفاء مني إليك كالمجاهدين فيك
لكي تحيا بلادي حرة كما أنادي

بعد مكوثي ساعات مع إخواني إنزويت عنهم ثم غادرت الدار وإتجهت إلى الربوة المحببة لي والقريبة من الديار والتي منها أشاهد الجبال والنهر والبحر وأخذت أفكر، أفكر في الوضع الذي أوجد فيه ترى من زود الولاية بهذه الأخبار الكاذبة عنا. والتي ربما ستؤدي بنا إلى القتل بشر التهم. لابد أن مصدر هذه الأخبار المزورة عنا هو تونس، هو نظامها ومسؤولوها، وطبعا هو نظام الجزائريين بتونس – وتواصل بيننا الحديث هكذا بين التشاؤم والتفاؤل حتى حان وقت النوم وتركيب الحراسة.

الغمام يزول:

– ماهي إلا غمامة وتزول، هكذا يقول المثل العربي وهو مثل أو حكمة تقال خاصة للمتمسكين بالصبر أو للمرغمين عليه، وتقال لكل من نزلت به مصيبة للتخفيف من ثقلها على المصاب بالمصيبة، أو لكل من هو في إنتظار نجاته منها، وكنا نحن في إنتظار تنفيذ المصيبة أو إزالتها عنا خاصة وأننا لا نعرف إلا الشيء القليل من قوانين الثورة ولا نعرف إلا القليل من مسؤوليها في الداخل، والمصيبة أننا نعرف أن " الزلقة بفلقة" كما يقول المثل الشعبي الجزائري، وقد سمعنا هذا المثل في الطريق وحين وصولنا ومعناه، أن الثوار لا

يعملون بعقلية التسامح، بل أن التسامح في منطق الثورة والثوار ضعف وتهاون، ورغم هذا الفهم الصارم فإننا كنا نأمل في النجاة لأننا كنا على يقين بأننا أبرياء، بأننا لم نزلق حتى نتفلق، وحتى إذا وقع وصدق المسؤولون في الثورة هنا في الداخل أقوال المسؤولين هناك في الخارج ونفذوا فينا حكم الثورة فإننا سنكون أبرياء أمام الله والوطن.

وهكذا تم الإبتهاج والفرح والنجاة وسطنا يوم 4 أفريل 1957 بغتة ودون سابق إعلان. إذ في مساء هذا اليوم حل بالدار التي كنا بها بالجيزية فجأة نفس الضباط الثلاثة الذين كانوا قبل اليوم يتجسمون في بالذات ونيابة عن إخواني، الرجل الذي بعث من الخارج بنية إحداث التفرقة والتشويش ونشر آراء الشخصيات والدعوة للزعماء الفارين من الوطن ومن ميدان المعركة وبالأحرى يتجسمون فينا روح العملاء والغدر بالوطن الغالي، هذا الوطن الذي يقول فيه أحد شعراء الجزائر: –

هي الحبيبة لا أبغي بها بدلا هي الحبيبة في سري أناجيها

نعم هكذا وصلوا، وصلوا ثلاثتهم فوقفنا جميعا إستعداداً لهم وصافحونا فرداً فرداً ثم جلسنا جميعاً على الأحصرة جلسة عادية وعائلية ثورية أخوية وبدأ "سي عبد الله بن طبال" يتكلم في وسطنا قائلا:

لقد كان موقفنا معكم صلباً للغاية، ولا شك أنكم شاعرين بهذا الموقف، لقد شعرتم بالخطر وهذا صحيح لو إستطعنا تحقيق التهم التي سمعتموها منا لكان جزاؤكم العقاب الثوري الأكبر، ولكننا لم نتأكد من أنكم تحملون شراً لثورتنا الوطنية وخاصة بعد أن سمعنا كلامكم الذي لا رجوع لكم فيه. وهنا نفث دخانه ثم قال: – رجائي منكم ألا تعتبروا أن هذا الموقف منا تجاهكم وقع بلا سبب موجب ومعقول، إن واجبنا كمسؤولين عن هذه الثورة، أمام الشهداء وأمام الشعب وأمام الله، ومسؤولين عن حمايتها وبذل الغالي والنفيس في سبيل إنجاحها والوصول بها إلى تحقيق أهدافها، هذا الواجب المقدس الذي أدى بنا إلى بحثكم والتأكد من صدق نواياكم. أما وقد أردتم أن تكونوا مجاهدين من أجل بلادكم ومع كل إخوانكم فمرحباً بكم وإنكم من الآن تعتبرون مجاهدين مع إخوانكم، عليكم ما عليهم من واجبات ولكم ما لهم من حقوق وهكذا وإلى هنا:

هتف القلب ونادى يا بلادي قد أتيت للفداء
أتيتك بالنور بالحياة وبالنار وبالبارود للأعداء

لاراحة لي حتى أراك حرة يا موطن الشهداء
خذي دمي مهجتي وأسلمي من إدماج الدخلاء

– نعم هتف قلب كل واحد منا، وغلى دم كل واحد منا عندما سمع كلمة العدل والإعتراف بالبراءة من قادة ثوار أقسموا أمام الله والوطن والشعب أن يحموا الثورة وأن يقودوها إلى تحقيق أهدافها بكل إخلاص ونزاهة ولن يتم لهم ذلك إلا بالإعتماد الأول والأخير على أبناء الوطن بعد الإعتماد على الله العلّي النصير.

بعد حديث أو إصدار بالحكم أو التصريح بالبراءة من طرف القائد العام للولاية "سي عبد الله" شعرت كأنه يريد سماعنا حول حكمه فعلقت على ذلك بقولي الحمد لله لقد إنتهى المشكل. وتأكد بنفسه من إرتياح الجميع لحديثه إذ شعروا بخروجهم من الورطة التي وجدوا أنفسهم فيها، وبعد هذا خضنا في حديث عام حول الثورة وحول الخارج وحتى حول الحياة العامة، وتدخل "سي علي" وكان كثير النكت في حديثه، أما "سي عبد الله" فكان كأنه كتاب شامل للعادات والأنساب الجزائرية أما "سي علاوة" فكان حديثه مقتصراً على الشؤون الثقافية. وأثناء هذا الحديث العام والأخوي قدموا لنا عدة علب من سجائر نوع " بسطوس " فكانت فرحة على فرحة وزادوا فرخصوا لنا بزيارة عائلاتنا وقالوا لنا غداً تعالوا للإدارة لإستلام رخص الذهاب لزيارة أهاليكم.

ورغم كل هذا الجو تكلم بعض الإخوة وأظهروا لومهم على القيادة وقالوا في الحقيقة لقد واجهتمونا بصدمة عنيفة، ولكن بن طبال أجاب على الفور موقفاً الكلام في الموضوع بقوله: – لا بأس بما حدث، فقط عليكم أن تعرفوا أن الحياة عبارة عن سلسلة من الصدمات ولاحقته بقولي وأشهرها ما تصل فجأة وتسلط على أبرياء، وأجابني بقوله إننا في ثورة، والثورة بحر والبحر يسع كل شيء، ثم قال لنا: ليكن كل هذا كأنه لم يحدث ثم ودعونا وإنصرفوا لمديريتهم أو لمركزهم، أما نحن فقد مكثنا في الدار المخصصة لنا نستعيد ذكريات الطريق، الطريق الطويل بتعبه وجوعه وبوصوله ومفاجآته، وآه لو يعلم الآخرون وراء الحدود ما في الطريق، وبعد الطريق. ثم إتجه كل واحد منا لمكانه كي ينام ولأول مرة منذ وصولنا ننام نوماً هادئاً وذلك بعد أن نظمنا الحراسة، لقد كانت أسعد ليلة من ليالي الجيزية الحرجة.

تمت الفرحة:

– هكذا تم بحثنا تم العفو عنا من طرف القيادة العامة للولاية الثانية، هكذا إنتصرت العدالة وإنتصر الأحرار الذين قبلوا عن رضى منهم التضحية بأرواحهم في سبيل وطنهم وإنتصرت القيادة بنجاتها من تحمل مسؤولية عدة أرواح، أرواح شبان جزائريين قادمين لغرض شريف... بكل هذا تمت الفرحة وإستبشر الجميع، إستبشروا بأنهم أصبحوا عناصر من جيش التحرير الوطني، هذا الجيش الذي طالما سمعنا بمعاركه وإنتصاراته والذي طال الزمان بنا ونحن نتمنى أن نصل أرضهم ونعيش معهم ونعمل معهم وإنتصر هذا التمني وصرنا فعلاً وسط إخواننا المجاهدين علينا ما عليهم ولنا ما لهم.

وبالفعل ففي صبيحة يوم 5 أفريل 1957 أتانا مجاهد من طرف الولاية فطلب منا أن يحتفظ كل واحد منا بـ60 خرطوشة وندفع الزائد له كي يذهب به للولاية وأن يذهب معه كل من يريد زيارة عائلته، فإستجبنا للأمر ودفعنا له ما زاد عن 60 خرطوشة وهو 120 لكل واحد منا (تزود كل واحد منا بـ200 خرطوشه في تونس)، وإتجه معه نحو مركز الولاية الإخوة الذين رغبوا في زيارة أهاليهم ولم يبق منا إلا اثنان هما: "سي أحمد قادري" نظراً لبعد مقر سكناه عن الولاية إذ أنه يسكن في بلدة مغنية والثاني هو كاتب هذه السطور ولو أني أسكن في بلدية برج الطهر فإني لم أقبل الذهاب لزيارة أهلي للأسباب التالية:–

1- فضلت البقاء لأعرف حياة المجاهدين أكثر
2- لأن صديقي قادري لا يمكن له أن يذهب ففضلت البقاء معه.
3- لكي لا يضن أعضاء الولاية أن الأسباب العائلية هي التي أتت بنا للثورة وبالضبط للولاية الثانية.
4- لعدم معرفتي أين توجد عائلتي هل هي في بلدية برج الطهر أم في قسنطينة لأنها كانت في السابق مقسمة إلى قسمين قسم بجبال برج الطهر، وقسم في قسنطينة.

وهكذا سافر الجميع ولم يبق إلا نحن الإثنين فأمرونا بالإلتحاق بفرقة الولاية، التي كانت ملازمة لها وكان أفرادها يقومون بأنواع مختلفة من الأعمال: كتاب، حراس، سعاة بريد، طباخون، ممونون، أدلة. كما كانت منظمة تنظيماً محكماً. ومسلحة تسليحاً عصرياً. ومنذ 5 أفريل 1957 أصبحنا أعضاء في هذه الفرقة وأخذنا نتصل بأعضائها ونتكلم معهم شيئاً فشيئاً. كما إلتحق بنا إخواننا الذين ذهبوا لزيارة أهاليهم وزودونا فور وصولهم بالمصروف والأكل والدخان فكان إستقبالنا لهم عظيماً كتوديعنا لهم الذي كان مرفوقاً

بتسليمهم لنا بعض المئات من الفرنكات لأن الولاية سلمت لهم مبالغ مالية قبل ذهابهم لعائلاتهم وكان شكرنا لهم عظيماً وجزيلاً لأنهم أراحونا من إلتقاط أعقاب السجائر قبل أن ينتهي الشهر وقبل أن تسلم الولاية لنا الراتب الشهري وهو 10 دينار لكل جندي ولأول مرة.

نعم لقد كانت فرحتنا بعودة إخواننا سالمين عظيمة جداً لا لأنهم أتوا لنا بأنواع من الأكل الجيد والمصروف ولكن أيضاً للأخبار المفرحة التي وجدوا عائلاتهم عليها إذ معظم تلك العائلات كان لها فرد أو إثنين مشتركان في الجهاد المقدس. كما كانت تلك العائلات في شدة الفرح لما وصلها أبناؤها وهم مجندون مسلحون.

– بقينا جميعاً في فرقة الولاية في شهر أفريل وفي خلال هذا الشهر إنتقلنا إلى الولاية إلى عدة مراكز منها الجراح وبني أصبيح وبهذا الدوار تعرضنا لقنبلة بواسطة طائرات العدو وكان السبب هو وقوع إشتباك بين جيش التحرير والعدو في المكان المسمى " زكرانه " وكانت الغلبة فيه للمجاهدين وغنموا فيه عدة أسلحة.

وفي نهاية هذا الشهر تم توزيعنا على مختلف نواحي الولاية وتم الفراق بيننا ومنذ ذلك التوزيع وهذا الفراق لم ير بعضنا الآخر إلى الأبد بالنسبة للبعض وإلى مدة طويلة بالنسبة لواحد وإلى الإستقلال بالنسبة لثلاثة.

أما أعضاء هذه المجموعة فهم:

1- بوالطمين جودي– الأخضر، كان طالباً في العراق
2- خليلي مسعود كان طالباً في العراق ثم السعودية ثم مصر
3- سعد قطار كان طالباً في تونس
4- قادري أحمد كان طالباً في مصر
5- عبادة عبد العزيز كان طالبا في تونس.
6- هواين محمد كان طالباً في تونس
7- زرطال محمد كان طالباً في تونس
8- كموش الطاهر كان طالباً في تونس
9- خالد الكميتي كان طالباً في تونس
10- قنون بلقاسم كان طالباً في تونس
11- الحاج بن خليفة كان عاملاً في فرنسا.

12- بوقرة كان عاملاً في فرنسا.

13- بورحلة محمد كان عاملاً في فرنسا.

14- أحمد عرفي كان عاملاً في فرنسا.

15- محمد عبد الله كان طالباً في تونس.

16- عبد الحميد بشنون كان طالباً في تونس.

17- إسماعيل عبد الله كان طالباً في تونس

18- ...ولد الفطايري من واد الزناتي – وقد مسكه الأخ "سي عمار شطايبي" في جبل دباغ قرب وادي الزناتي بالرغم مني، وكان هذا الأخ ضابطاً في جيش التحرير الوطني وهو أول الضباط الذين إلتقينا بهم في الداخل، وكان ذا ثقافة عربية متينة وروح ثورية عالية ومعنويات جبارة وقد إستلم من الأخ الضابط "سي خليفة" رسائل أتاه بها من تونس، وقد أخذ منا مجموعة من المناشير اليدوية مفردها منشار تستخدم في تخريب الأشجار المثمرة كالبرتقال والفواكه الأخرى وشجر العنب، وقد عارضته في ذلك ولكنه أبى إلا أن يأخذها وقال لي سأعطيك كتاباً بذلك كي تسلمه للولاية عند وصولك إليها وبذلك قنعت وإستلمت منه كتاباً بذلك وبالطالب الذي إحتفظ بها هناك.

توزيعنا في مناطق العمل

– في أواخر أفريل 1957 تم توزيعنا من طرف الولاية على مناطق العمل وكان كل واحد منا عين في غير المكان الذي طلبه، وما طلبنا، كان تنفيذاً لأمر الولاية، إذ أمرت كل واحد منا أن يطلب المكان الذي يريد الذهاب إليه ويجاهد فيه، وقد إستبشرنا بهذه الإستشارة إذ فهمنا منها أول الأمر أنها تسهيل لأعمالنا من طرف الولاية وطلبنا طبعا الذهاب إلى الجهات التي تنتمي إليها من حيث المنشأ لأن ذلك أسهل علينا خاصة وأننا نعلم من دراستنا أن معرفة الأرض والسكان تتطلبها الظروف الحربية.

وهكذا خاب ظننا وساء فهمنا لطلب الولاية وتم تعييننا معاكساً تماماً لرغبتنا[1](1)، فأرسل الأخ بورحلة وهو من عنابة ومعه الأخ قادري أحمد وهو من مغنية إلى قسنطينة، ووجه الذين طلبوا الميلية إلى ميلة وهم الإخوة عبادة عبد العزيز وهو إبن محمد وزرطال محمد وبوقرة، وأرسل الذين طلبوا ميلة إلى الميلية وهم الإخوة:خليلي مسعود (الشعبي

[1]– وليس كما كتب علي كافي في مذكراته صفحة 132

وتسميته هكذا لأنه كان يقرأ في مصر جريدة الشعب ويكثر في حديثه ذكر كلمة الشعب) وسعد قطار وعرفي أحمد وبشنون عبد الحميد والحاج بن خليفة، وأرسل الذين طلبوا الطاهير إلى سكيكدة وهم كاتب هذه السطور وقنون محمد وخالد الكميتي ومحمود عبد الله وإسماعيل وكموشي الطاهر.

القسم الثالث:

من صفحة 71 إلى116

- انطباعاتي الأولى عن الثورة
- التنظيمات القائمة
- أنواع نشاطي
- التكوين في الجبل

وتم تنفيذ أمر الولاية ولم يكن بإستطاعة أي أحد منا أن يعارض أو يناقش أمرها إنما السؤال بقي بيننا عن ماهي فائدة إستشارتنا في التوزيع أم أنها نوت معرفة رأينا، ثم خالفته وأبعدت كل واحد منا عن جهته. ربما في تدبيرها ما يفيد الثورة وهي أعلم منا بمجرى الثورة ونوايا الثوار.

وفي يوم 22 أفريل فارقنا الولاية وإتجه كل فريق نحو الناحية التي وجه إليها ومعه الدليل الذي يدله على الطريق، وكان دليل مجموعتي هو الأخ "بودرميم" الذي سار بنا نحن ناحية سكيكدة –القل– وأوصلنا إلى مسؤول الناحية إذ ذاك وهو الأخ سي رابح الأمة (رابح لوصيف من وادي الزناتي). ومن هذا اليوم ونحن في العمل على إختلاف أنواعه وأشكاله، فإستشهد منا البعض وجرح البعض وعاش البعض سالماً حتى الإستقلال، ورجع اثنان إلى تونس وهما قادري وعرفي.

إنطباعاتي الأولى عن الثورة:

– في إمكان أي زائر لبلد من البلدان أو لمدينة من المدن أو حتى لمؤسسة من المؤسسات أن تتكون لديه إنطباعات ويتكلم الشيء الكثير عما شاهد ويكتب ما يشاء، ولكن الإنطباعات عن الثورة والثوار شيء آخر إنه يمكن حصرها في مظاهر ومشاهد غير عادية وغير طبيعية ويصعب على الذي لم يعشها تصورها فما بالك بتصديقها ومع ذلك فإني مجبور تاريخياً أن أذكر إنطباعاتي الأولى عن الثورة، عن الأرض، والسكان والمساكن والثوار، فأقول: أن الوضع الذي وجدت عليه المنطقة التي شاهدتها منذ خروجي من تونس وبالضبط من قرية تاجروين بالأراضي التونسية، وحتى وصولي إلى نواحي الميلية مارا بنواحي سوق أهراس، فنواحي صدراته وقالمة ووادي الزناتي وعزابة وسكيكدة، ونواحي القل، يفوق بكثير ما كنت أقرأه في الصحف وما كنت أسمعه في الإذاعات وحكايات الثوار الذين دخلوا تونس قادمين إليها من الجزائر.

– إن العدو الفرنسي يقوم فعلا بحرب حقيقية تتمثل في حرق المنازل والثمار وقتل المواطنين وتشريدهم وهتك أعراضهم وسجنهم ونفيهم وسلب خيراتهم، وإشاعة الرعب والفزع في أوساطهم والفرار منه في الليل وفي النهار وفي الصحو والمطر، يستوي في ذلك الرجل

والمرأة الحامل والمرضعة وحتى الطفل الصغير، وحتى الحيوانات، كل شيء فار من الإستعمار وعساكره السفاكين.

– إن مظاهر البؤس والشقاء ظاهرة لكل مشاهد، على وجه كل المواطنين، جوع، عرى، حفاء، وخوف، ورعب، العسكر خارج. الموت آت.

– أخوة وتعاطف وتعاون منقطع النظير، كسرة الواحد هي كسرة الجميع، وزاورة الواحد أو الواحدة هي زاورة الجميع، وعين الواحد هي عين الجميع. وصرخة الواحد أو الواحدة هي صرخة الجميع، الواحد للجميع، والجميع للواحد.

– التفاؤل مشاع بين الجميع: النصر لنا. " إن تنصروا الله ينصركم، العدو ظالم والظالم لازم يزول، محنة وتجوز. بعد الموت شيء ما يصير. والله أكبر على الظالم المتجبر.

– وحدات جيش التحرير. منظمة أحسن تنظيم، مسلحة بأحدث الأسلحة وبأقدمها أيضا. تتمتع بنظام محكم. لها قانون. ولها نظمها الحرية والصحية والسياسية والإخبارية والإقتصادية.

– قيادة محكمة التنظيم. قوية السيطرة والهيمنة على كل شيء. أمرها مطاع وسيرها مثالي. مرتبطة بالقاعدة. مؤمنة بها. عاملة بها ولها. واثقة منها. النصر على العدو هدفها الوحيد.

– الحرب قاسية والعداوة بين الطرفين على أشدها والتطرف في كل شيء سمة الطرفين المتحاربين. والتفاهم بعيد المنال. ونهاية الحرب مجهولة الزمن.

– الفرق الواحد بين الطرفين هو ما قاله الشهيد محمد العربي بن مهيدي لجلاديه من الأعداء:

– إننا سننتصر لأننا نمثل المستقبل الزاهر وأنتم ستنهزمون لأنكم تمثلون ماضيا متعفنا حكم عليه العصر بالزوال.

التنظيمات التي وجدتها قائمة:

أ– **الوضعية العامة:** لم أجد الصورة التي كنت أتصورها عن الثورة ككل وكما قيل لي عنها في تونس وطرابلس والقاهرة وسوريا وبغداد، بل وجدت صورة أخرى تدل على عظمة

الثورة وعظمة قادتها وواقعيتهم وإرتباطهم بشعبهم. وهكذا تأكدت من جديد بالمثل العربي القائل: ما راء كمن سمعا.

إن ما وجدته يدل دلالة واضحة على الصورة الجديدة التي رسمها لها أبناؤها بعصارة أفكارهم وبأعز دمائهم وأنبل تضحياتهم لتكون كما أرادوا أن تكون. أولئك الأبناء الذين وجدت وصفهم في كتيب " القوانين الداخلية لجيش التحرير الوطني " بهذه العبارة البسيطة الغالية إنها عبارة تقول عن المجاهدين " أنهم الأصل الشريف في الأمة " وإنها لعبارة تحتوي كل الحقيقة. وأي إنسان أشرف وأنبل من الذي يهدي روحه ودمه وشبابه لأمته عن طواعية.

– نعم لقد وجدت تنظيما بديعا في الولاية وهذا التنظيم هو أجمل شيء جلب إنتباهي، فعناصر الثورة كثيرون، ولم أجد الثورة عبارة عن سلاح ومجاهدين يقاتلون العدو الذي أفرط في الوحشية والإجرام فقط بل وجدت الثورة أكثر من هذا. وجدتها ثورة على الإستعمار وعلى آثاره. على الفساد بكل أنواعه وأشكاله ولتهديم الإستعمار وأنظمته الفاسدة لابد من توسيع فروع الثورة وهكذا وجدتها تشمل عدة ميادين هي:

ب– الوحدات المقاتلة: وهي منظمة تنظيماً دقيقاً للغاية. يبدأ تنظيمها من نصف الفوج أي 6 مجاهدين من بينهم واحد مسؤول عنهم. ثم الفوج المكون من 13 مجاهداً من بينهم مسؤول عنهم ثم الفرقة المتكونة من 3 أفواج ثم الكتيبة المتكونة من 3 فرق ثم الفيلق المتكون من 3 كتائب، وبكل فرقة يوجد ممرض وكل هذه الوحدات مسلحة سلاحاً عصرياً خفيفاً وثقيلاً. واجبها الأول هو قتال العدو في الحدود الجغرافية المحددة لها.

ج– الفدائيون: ويعيشون خاصةً في المدن والقرى مسلحون بأسلحة خفيفة (قنابل – مسدسات – رشاشات) وكل فدائيين إثنين لهما مسؤول. وأحيانا كل فدائي له مسؤوله الخاص وواجبهم الرئيسي هو: قتل الجبابرة سواءً كانوا من العدو أو من أعوانه وعيونه – (الخونة).

د– مجموعات المسبلين: هذا العنصر منظم أيضًا بشكل مجموعات، ويرتدون في أغلب الأحيان الزي المدني ومن يرتدي منهم الزي العسكري يخفيه بزي مدني سترة (بلوزة) أو قشابية أو برنوس، مهمتهم الحراسة وإلتقاط أخبار العدو وإخبار الجهات المسؤولة بتحركاته ويكونون الواسطة القوية بين الشعب والوحدات المقاتلة لجيش التحرير الوطني. سلاحهم في أغلب الأحيان المسدسات وبنادق الصيد والقنابل. ثم القيام بعمليات تخريب مصالح العدو: هاتف كهرباء إلخ.

هـ- عناصر الجبهة: يعيشون وسط الشعب يحبطون أساليب وأخبار العدو ومناوراته. يتجسسون عنه، يحذرون الشعب من مكره – يدعون لمقاطعته ثم الإهتمام بالحياة المدنية، تسجيل المواليد والوفيات. إحصائيات المجندين وسط العدو. أخذ الإشتراكات من المواطنين والمناضلين " مشتركون، مناضلون، محبون " إعداد التموين، تنظيم شبكة الإستعلامات. إعداد المراكز – هداية المجاهدين وإستقبالهم، إحلال الأمن وسط الشعب.

لجان العدل: فض الخصومات بين المواطنين وقضايا الزواج والطلاق.

و- وحدات إصلاح الأسلحة: التعاون مع المسبلين ورجال الجبهة والجيش وإصلاح الأسلحة وصنع القنابل وتخريب مصالح العدو.

ز- الوحدات الطبية: وتتكون من ممرضين وممرضات وتقوم بالعمل في المستشفيات الموجودة في كل قسم.

ح- الإدارات: كان لكل قسم ولكل ناحية ولكل منطقة إدارتها، وتكون في الغالب متنقلة وعملها إداري بحث. هذا هو التنظيم البديع الذي وجدت عليه الثورة من أوائل سنة 1959 حيث تبدلت الحال غير الحال والحرب غير الحرب وأصبحت الثورة وكأنها بدأت من جديد حيث بدأ العدو في تطبيق " مخطط شال " في عهد حكم الجنرال المجرم شارل دوقول الذي يذكرنا بشارل العاشر في 1830. وسيأتي الحديث عنه في مواضيع قادمة.

عملي في الثورة خلال عامي 1958/57 :

الإتصال الأول: في 23 أفريل 1957 تم وإنتهى إمتحان الولاية الثانية لنا، وفي هذا اليوم السعيد عينونا في مناطق العمل وبعثوني ومعي الإخوة المعينين لنفس الناحية وهي ناحية سكيكدة – القل– وكان هؤلاء الإخوة هم:

- خالد الكميتي من دوار بويوسف (إستشهد من بعد)
- قنون محمد من دوار بني معمر (إستشهد أيضا)
- الطاهر قعموش من دوار بازول (جنجن) وكل هؤلاء من بلدية الطاهير الممتزجة.
- محمود عبد الله وإسماعيل.... وهما من بلدية جيجل وزودتنا الولاية بدليل هو (بودرميم) وهو من مشتى " الدرامة " الواقعة شرقي الميلية (إستشهد في بودخاش قرب الميلية) فقادنا هذا الأخ بعد أن سلمت له الولاية رسالة إلى الضابط المسؤول بالناحية التي عينا بها. ولكن لم يتجه بنا نحو الناحية بل سار بنا إلى دوار مشاط الواقع بناحية الميلية

إلى شمالها والسبب في ذلك هو أن مسؤول ناحية سكيكدة – القل – كان يوجد بمركز مشاط (مشتى في قمة الجبل) وسبب وجوده بهذا المكان هو أنه عضو في قيادة أول فيلق كون على مستوى الولاية ليقوم طبعا بإعطاء العدو ضربات قاضية، وكذلك كان، وعندما وصلنا إلى مشاط إستقبلنا المسؤول العام لناحية سكيكدة – القل– إستقبالاً حسناً وإسمه "سي رابح بلوصيف" وكان يلقب بـ (سي رابح الأمة) وهو من وادي الزناتي، وثقافته عربية قرآنية وقال لنا: أنكم هنا معنا تعملون في هذا الفيلق مبدئياً، وعندما نرجع بحول الله لناحيتنا سأعينكم هناك، وكل واحد منكم في قسم من أقسام الناحية.

بداية الجهاد: تعال معي أيها القارئ الكريم سنة 1957، إلى قمم الجبال، إلى سفوحها وشعابها، إلى سهولها وهضابها، إلى وهادها ووديانها، تعال معي إلى الجبال قلاع المجاهدين إلى مكان الزحف المقدس على معسكرات وأوكار أوحش جيش عرفته البشرية، إلى أماكن الزحف على ثكنات أعداء الحرية والإنسانية، أبناء فرنسا الإستعماريين المتجبرين الطغاة، تعال معي فستجد العجائب والغرائب، ستجد أروع الأمثلة في التضحية والفداء والبطولة، وستؤمن أن إستقلال الجزائر لم يحدث معجزة، لأن المعجزات لم توجد إلا في زمن الأنبياء والمرسلين، ولم يكن هبة لأن الحرية لا توهب ولا تعطى!

إن الأمثلة لكثيرة وأي مثال أعظم من دخول الفدائي إلى مكتب الحاكم العام للميلية رغم الحراسة المشددة عليه والوصول إليه والقيام بإغتياله بالمسدس، وقبول الإستشهاد بعد محاولة الإفلات من طلقات نار الأعداء عليه من كل جانب، إنه الفدائي البطل سعيداني، وأي مثال أعظم من قيام المرأة بقتل العسكري الخبيث بضربة فأس، وأي مثال أكثر من المرأة التي قتلت طفلها بسد فمه كي لا يسعل أو يبكي وهي هاربة به في الغابة أمام حصار جبار للعدو، ولكي لا يكشف هذا العدو الخبيث أمرها وأمر الكثيرات من أمثالها الفارات بشرفهن، وأي مثال أعظم من إعتراض فئة قليلة من المجاهدين لفئات أكثر عدداً وعدة من عساكر وقوات الظالمين، وقبول النصر، والإستشهاد، عن طيب خاطر، وأي قوة وصبر أكبر من قوة وصبر هذا الذي يسير آلاف الكيلومترات على قدميه ويقطع الأسلاك المكهربة، ويصل تونس ويعود مدججاً بالسلاح.

إن هذا العام عام 1957 كان من أعظم أعوام الثورة إذ فيه كثر عدد المجاهدين وكثر سلاحهم، وإكتمل تنظيمهم وعظمت إنتصاراتهم على عساكر الأعداء، وتعاظم إيمان

الشعب رجاله ونسائه، بالثورة وإلتحامه بها، وكل هذا أدى إلى تحرير المناطق الجبلية المتركز فيها العدو بكثرة مثل الميلية وعين القشرة والعنصر وتاملوس والعشرة وتكسانة والشقفة وغيرها. وفي هذا الجو الثوري الرائع شاركت في العمل الثوري.

ففي جبل مشاط: هنا في قمة جبل مشاط الواقع شمال الميلية توجد قيادة الفيلق الولائي المكون من عدة كتائب من كل مناطق ونواحي الولاية وهي جيجل – الطاهير وميلة – فرجيوة والميلية – وسكيكدة وقسنطينة، وقيادته كانت مكونة من عدة ضباط من جميع هذه النواحي المذكورة وكانت هذه القيادة محاطة بعدة كتائب، كل كتيبة لها مركزها أما تسييرها فموحد (مكون من سي مسعود بوعلي، سي رابح بلوصيف، مختار دخلي). وغذاؤها اليومي يوزع من إدارة واحدة، وعند القيام بمعركة ما يقع إجتماع القيادة ويتم في إجتماعها إعداد الخطة ثم يقع التسيير ثم المعركة ثم الرجوع بالغنيمة والتمركز في مكان آخر.

وهنا في مشاط كنا نقضي سهرات كلها أناشيد وطنية حماسية ورقصات شعبية يؤديها المجاهدون وكنت أجد فيها متعة ما بعدها متعة كما كان "سي رابح الأمة من أكثر المتحمسين لإحياء هذه الحفلات، وكان يقول أنها أحسن وسيلة للترفيه عن المجاهدين وبالفعل كانت هي الوسيلة الوحيدة بالنسبة للمجاهدين، أما الضباط فكانت لهم وسيلة أخرى هي أجهزة "الراديو" يستعملونها لسماع الأخبار من جهة والتمتع بالأغاني من جهة أخرى، وكان الأكل في هذه الأيام جيداً كما أن وسائل الفراش والغطاء كانت متوفرة يضاف إلى هذا أن هذه المناطق الجبلية كانت مزدهرة بالشعب. وللشعب عدة محلات تجارية ومقاه وهذا يسهل لكل مجاهد لديه نقود أن يشتري ما يشاء من أكل إذا جاع، أو دخان أو نفة إذا كان من المتعاطين لهما أو لواحدة منهما خاصة وأنهما مباحتان منذ مؤتمر الصومام كما كان المجاهدون يقومون بالألعاب الرياضية والبهلوانية، وهذا الجو يجعل المجاهد وكأنه ليس في حالة حرب ويزيده هذا الجو صحةً وأملاً في النصر، وقد أعجبتني هذه الحياة وغمرتني نشوة وفرحة بما أشاهده من المجاهدين يومياً، وهم في نشاط وتعاون وإبتسام ومحبة وحسن معاملة، والشيء الذي زادني إبتهاجاً هو الإحترام المتبادل والإنضباط الكامل، الكل مجاهدون ومواطنون في محبة ووئام، وكل منهم يعرف ما له وما عليه، وكل هذا كان يدفع بالجميع إلى التضحية في سبيل الوطن المقدس.

لقاء: لم يمض على وجودي في مشاط أكثر من أربعة أيام حتى وصلت كتيبة " الطاهير" وهي البلدية الممتزجة التي أنتمي إليها، وكانت تحت قيادة ضابط اسمه " دخلي مختار" ويعرف أو يلقب "بالبركة"، وقد إشتهر شهرة عظيمة بشجاعته وبطولته وحسن تسييره، حتى أنه لا يقوم بنصب كمين للعدو، إلا وينتصر فيه ويغنم الأسلحة منه، وفي إحدى الأمسيات ناداني الأخ "سي رابح الأمة" وقال لي هيا بنا نبتعد بعض الشيء عن المركز فمشيت معه وصار يسألني عن بغداد وتونس والقاهرة ودمشق وليبيا والشرق عموماً، وكانت أسئلته معقولة، وظهر لي أنه يريد المعرفة والإطلاع لا أكثر ولا أقل، وبينما نحن في هذا الحديث فإذا به توقف مبتسماً وقال هاهو "البركة" ألا تعرفه. فقلت له: لا ولكن أسمع به، وبسرعة وصل البركة ضاحكاً وعانق سي رابح ثم عانقني وبعدها قدمني إليه سي رابح فقال لي على الفور هل رأيت أخاك وإبن عمك إنهما هنا مع الكتيبة، فأجبته بلا وشكرته، وفرحت أشد الفرح، وكانت مفاجأة سارة جداً وسرنا جميعاً إلى المركز، إلى الإدارة التي كانت قائمة في دار المواطن والمجاهد "خراب مدني" وهناك طلبت من مسؤولي سي رابح أن يأذن لي بالذهاب إلى كتيبة الطاهير كي ألتقي بأخي وابن عمي وكي أسألهما عن أحوال عائلتي التي فارقتها منذ سنة 1952، فأذن لي وقال: لكن يجب أن ترجع هنا ولا تمكث كثيراً هناك. وبما أني لا أعرف في أي مشتى يتمركزون فقد بعث معي مجاهداً تابعاً لإدارته يعرف المكان فحملت سلاحي "موزير ألمانية" وتنكب المجاهد سلاحه وسرنا حتى وصلنا، ولم يكن تمركزهما بعيداً عنا، ولكن لسوء حظي لم أجدهما في المركز، وقال لي إخوانهم لقد ذهبا مع الفوج في مهمة، ولن يعودا إلا في الليل وبما أن الوقت لا يسمح لي بالإنتظار، فقد عدت لمركز القيادة فقال لي لا عليك ستلاقيهما غداً بإذن الله.

– رجعت ونمت تلك الليلة في قلق وشوق كبيرين لرؤية أخي وإبن عمي، وأتعرف على أخبار وحالة عائلتي ومما زاد في شوقي من شدة فرحي بالخبر، لم أسأل "البركة" الذي لم أجده عندما عدت عن إسميهما إذ لدي عدة إخوة وأبناء الأعمام، وهكذا طال بي الليل ومرت نوبتي في الحراسة وهي ساعة واحدة كلحظة ورافقت مسؤول الحراسة لعدة ساعات ومع ذلك طال بي الليل وفي الصباح إزداد قلقي لوصول الساعة 9 لأن أي واحد منا لا يستطيع مفارقة المركز إلا إذا كانت لديه مهمة نظامية قبل حلول الساعة 9 وهكذا بقيت أنظر ساعتي وكأنها لا تتحرك، وبعد مدة ظهرت لي طويلةً جداً وصل الوقت الذي يسمح لنا

بالتحرك فطلبت الإذن، وذهبت مسرعاً أيضاً حتى وصلت المقر وسألت عنهما فقالوا لي خرجا في دورية نحو القمة وإنتظرهما فسيعودان بعد حين، وإنتظرت على أحر من الجمر، وجلست على صخيرة تحت شجرة زيتون ثم وقفت متحركاً يميناً وشمالاً ثم نظرت ساعتي فإذا بها تشير إلى 10 فإستغربت عدم رجوعهما لأن وقت عودة الدورية الإستطلاعية قد فات فإتجهت من جديد إلى المركز أسال عنهما فأجابني أحد المجاهدين بقوله ومن تكون أنت فقلت أنا أيضا بوالطمين فقال أنهما هنا بجانب المركز ونادهما قائلاً يا أولاد بوالطمين تعاليا إن واحداً من عائلتكما يسأل عنكما فأتيا مسرعين ولكن لم يعرف أحد منا الآخر ومع ذلك سلمنا على بعضنا البعض وقلت لهما أنا الأخضر، فقال لي أحدهما وأنا فرحات وهذا علي إبن عمنا عبد العزيز فتعانقنا من جديد، وكان كل منهما يصغرني بـ5 سنوات، وأثناء العناق جرت دموع الفرح من أعيننا وتوقف الكلام في أفواهنا هنيهةً ثم أخذنا في الحديث: أنا أسألهم عن العائلة عن أمي وإخواني وأخواتي وأعمامي وهما يسألاني كيف وصلت إلى هنا من العراق.

وعلمت منهما أن معظم أفراد العائلة قد رحلوا إلى قسنطينة، والباقي منهم على إستعداد للرحيل، وإن مشتانا الجميلة الواقعة على قمة جبل صخري قرب "برج الطهر" ببلدية الطاهير كانت مراراً مركزاً لجيش التحرير الوطني، وقد خرب العدو عدة مرات ديارنا بأطرافها وفي وسطها، وأدى ذلك إلى قتل عمتي عائشة من طرف العدو وإستشهد البعض من أفراد العائلة، وأن والدتي بخير، وبالطبع لم أسأل عن والدي لأنه توفي منذ زمان، منذ الحرب العالمية الثانية. 10 أفريل 1942 .

وكان هذا اللقاء بمثابة إنتصار كبير لي وفرح عظيم إذ وجدت العديد من عائلتي منخرطين في صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني، وعدت لمركز قيادة الفيلق وأنا في فرحة عظمى وأخبرت الأخ سي رابح بذلك فسر سروراً عظيماً وبعد يوم فقط على هذا اللقاء وصل إبن عم لي آخر وهو " الحسين بن محمد" من تونس بعد أن كان مجنداً هناك، وبعد أن كان مجاهداً في ولاية الأوراس، وتجند بهذه الولاية حيث كان يعمل في متجر والده بقرية بوخضرة ثم ذهب في قافلة إلى تونس وبها طلب من جبهة التحرير التحول إلى الولاية الثانية، فقبلت طلبه وأرسلته حيث طلب، وأخبرني بأن ابن عم لنا وهو محمد المختار بن مسعود يوجد هو الآخر مجنداً في ولاية الأوراس، ويحاول أيضاً المجيء إلى الولاية الثانية.

(لم يوفق بل ذهب لتونس وأرسل من هناك إلى البلدان الشرقية ليتابع دراسته وهو الآن ضابط بالجيش الوطني الشعبي) وهكذا وبوجودي في هذا الفيلق الذي كان فيه بعض أقاربي تمكنت من معرفة أخبار وأحوال عائلتي التي أضناني الشوق إليها بعد غياب طويل إستمر شهر سبتمبر 1952 إلى شهر أفريل 1957.

في صبيحة يوم 23 أفريل 57، خرجت من المركز الموجود بمشتى (مشاط) وجلست تحت شجرة بلوط – فلين– مورقة، وإذا الخبر ينتشر وسط المجاهدين مفاده بأن العدو يوجد بالقرب منا وبالضبط في مشتى " أسردون " قرب مكان يسمى " عقبة سعد الله" والتي لا تبعد عن مشتى مشاط إلا مسافة ساعة واحدة مشياً وكان الجو كثير الضباب والرذاذ يتساقط، فعدت إلى المركز فوجدت الضباط يتكلمون في جد، ويقولون بأنها مناسبة جد ممتازة، لوجود العدو بالقرب منا فجأةً وقرروا في الحين السير بفيلقهم لمقاتلتهم وبعثوا لقادة الكتائب وهم الإخوة: دخلي المختار المدعو البركة قائد كتيبة الطاهير إستشهد فيما بعد، محمد شيخي المدعو الكبران قائد كتيبة الميلية إستشهد فيما بعد، عبد الوهاب عيسى قائد كتيبة سكيكدة ما يزال بالجيش الوطني الشعبي.

بأن يتوجهوا مباشرةً وفوراً بجيوشهم لمكان تواجد العدو، وفي سرعة خاطفة رأيت جيش التحرير يمشي بسرعة في نظام بديع، وهذه أول مرة أشاهد فيها جيش التحرير وهو يتحرك نحو المعركة، وأول مرة سيقوم فيها هذا الفيلق الحديث التكوين والأول من نوعه في الولاية بالإشتباك مع العدو.

وفي الحين ذهبت إلى الأخ (سي رابح الأمة)، وقلت له ونحن – الطلبة– مع من نسير. لأن كل كتيبة لها قائدها والقادة لفرقها وأفواجها، ولا نستطيع الإنتماء بمفردنا إلى أي فوج من أفواجها، فإبتسم وقال لي: لا داعي لمشاركتكم هذه المرة وعليكم بالبقاء هنا في الإدارة حتى نعود، ولكني لم أرض بما قاله ورجوته ملحاً في أن يقبل مشاركتنا في هذه المعركة فنظر إلي بتعمق وقال: معليهش إذهبوا مع هذا المجاهد. وناداه: يالسرجان. فأتاه مسرعاً مجيباً وكان يحمل مدفعاً رشاشاً، فأمره "سي رابح" قائلا: سير هؤلاء الجنود معك وإنتبه لهم إنهم لا يعرفون هذه الأمكنة، فأجابه السرجان، حاضر فسار وسرنا وراءه ونحن جميعا نركض للوصول واللحاق بالمجاهدين ومفاجأة العدو بإطلاق نيران أسلحتنا عليه.

ووصلنا وتمركزنا وحوالي الساعة الثامنة صباحاً بدأنا إطلاق النيران على العدو، بواسطة أسلحتنا الخفيفة، تحمينا المدافع الرشاشة من الخلف ثم تقدمنا في نظام بديع وعلى عدة جهات، وكثر الرصاص من طرفنا وكنا أكثر منه عدداً وعدة فلم يستطع مواجهتنا وفر منا ودخل قسم منه إلى دارين إحداهما مغطاة بالقرميد والأخرى بدون سقف وكان العدو نفسه قد قام بحرقها سابقاً، ومن الدارين صار يقاوم، وتقع الداران في سفح جبل مغطى بأشجار الفلين والزيتون، وبالقرب منهما توجد مساحة خالية من الأشجار ومزروعة فولاً وأسفل الدارين توجد أشجار التين المورقة.

قبل إلتجاء العدو إلى الإحتماء بالدارين، وفي الوقت الذي كنا نزحف نحوه شيئاً فشيئاً قال لي أحد الضباط وعرفت بعد هذا اليوم إسمه وهو "سي لخضر بوالكرشة" وهو من نواحي الميلية وقد إستشهد فيما بعد قال لي: تقدم تقدم تقدم ولا تخف وكانت أمامي مسافة قصيرة عارية وحاولت أن أقطع هذه المسافة ولكن رصاص العدو كان يصلها كالمطر وأزيزه يملأ الأفاق فأشرت عليه أن نغير مكان الزحف، فقال إرم عليه فسنسكته فصرنا نرمي عليه ووصل جمع آخر من المجاهدين وصار سي لخضر يأمرنا قائلا: تقدموا لا تخافوا وتقدمنا حتى وصلنا إلى جدار طبيعي وإحتمينا به، وأخذنا نطلق النار على عدونا كل هذا من أجل الوصول إلى الدارين، وبالفعل كف العدو عن إطلاق النار وقطعنا الواحد بعد الآخر المساحة العارية ووصلنا قرب الدارين وجردنا ثلاثة عساكر من أسلحتهم ثم تراجعنا نحو الخلف نحو الجدار الطبيعي، الواحد منا وراء الآخر، ونحن في أشد الفرح بالغنيمة، ومرت دقائق بل ساعات وغص المكان بالمجاهدين وقلت طلقات العدو وإستمر إطلاقنا للرصاص عليه ونحن نتقدم نحو الدارين ونحن نهتف هتافات متنوعة مثل الله أكبر–وين تهرب يا صاحب الطائرات والدبابات،– كان الجو ممطراً أحياناً وصحواً أحياناً أخرى ولكن الضباب لم ينقشع مما سهل علينا مواصلة المعركة وخاصة بالقنابل اليدوية فطالت المدة إذ وصلت الساعة الواحدة بعد الزوال، وفجأة توقفت الأمطار وبدأ الجو يصحو والضباب يزول وإذا بطائرات العدو تصل لعين المكان وتحلق في علو كبير إلا طائرة صغيرة فإنها أخذت تحلق على إنخفاض شديد فوجه لها المجاهدون نيران مدافعهم الرشاشة وأصابوها فإنسحبت والدخان يتطاير منها وتحط في مطار الميلية العسكري ويموت بها ضابط برتبة عقيد ظهرت

صورته يوم الغد في جريدة البرق القسنطيني " لا ديبيش" أما الطائرات الأخرى فلم تستطع أن تقنبل لعدم وجود مسافة كافية بيننا وبين عساكرهم.

– إتجهت إلى أسفل الدارين مع عدد قليل من المجاهدين وتمركزت في جذع شجرة زيتون، وأخذت أطلق رصاصي صوب الدارين بين حين وآخر كبقية إخواني، وكان العدو يطلق رصاصه إلا أنه لا يصيبنا نظرا لإرتفاع الدارين اللتين يضرب منهما عن مكان وجودنا، ومع ذلك إستطاع أن يمنعنا من الوصول إليه بسبب كثرة قنابله اليدوية التي أكثر بها علينا كلما شعر بقربنا منه.

وفي هذا الوقت بالذات غمرني شعور ظهر لي بعد مدة من الكفاح أنه من ضرب الخيال لا يجب أن يغزو عقل المجاهد المقاتل ولكن ذلك حدث لي بالفعل في أول معركة مع الأعداء، فما هو هذا الشعور الذي غمرني في هذه اللحظات الحاسمة. إنه شعور بإحتقار الحرب، بإحتقار القتل، بإدانة إفتكاك الحرية بهذا الأسلوب، إدانة حب الوطن بهذا الشكل، هذا الحب الذي يجعلك تفقد حياتك في لحظة، تفقد أمانيك، أحلامك، ذكرياتك، وتفقد في نفس الوقت حياة وأماني إنسان آخر.

– وقلت ما أعظمكم أيها المجاهدون وما أقساكم، إنكم والله لتستحقون الإكبار والإجلال، أمن عام 1954 وأنتم تكافحون بهذا الشكل الرهيب. فتقتلون وتقتلون. عجباً لكم، ثم أنظر إلى البندقية المغنومة من قتيل للعدو، والظاهرة لعيني في يد أحد المجاهدين القدماء وأناجيها قائلا: أين صاحبك الحقير.. لقد كان وحشاً مفترساً قاتلاً جباراً ولصاً حقيراً، إنه الآن متخبط في دمائه القذرة، وأهله هناك في فرنسا ينتظرون عودته مدججا لا بالسلاح، بل بالأموال والتحف الجزائرية الشرقية وحكايات "الفلاقة" تباً له ولمنتظريه وتباً لأمثاله وحضارته وحكومته، وديمقراطيته الغربية الرأسمالية التوسعية.

وإستعدت شعوري أو بالأحرى أعاده لي مجاهد، إذ فاجأني وأنا ملتصق بجذع شجرة زيتون كي لا يقتلني العدو، وهمس قائلا: – واش بيك. فقلت لا شيء فإبتسم وقال: هيا بنا نتقدم إننا نكاد ننتصر عليهم، إنهم كالنساء حجبوا أنفسهم في الديار يا لهم من جبناء فتقدمت معه ووجدت آخرين أمامنا وكل واحد منهم في وضعية إنبطاح شاهراً سلاحه يطلق منه طلقات حمراء متقطعة ووصلنا بالزحف حتى جدار الدار وكان مبنيا بالحجر وأخذنا نحاول إشعال النار في الحطب الذي يحمل القرميد ولكننا لم نستطع، فأخذنا نلقي بالقنابل

على الدار المحروقة وكنا نسمع أنين العسكر بداخلها لأنها لا قرميد ولا سقف لها وحاولنا تهديم حائطها ولكننا لم نستطع، ونفذ ما كان بحوزتنا من قنابل، وقال لي أحد المجاهدين: إن قيادة الفيلق ستأتينا بكيس من القنابل ولكن هذا الكيس لم يصلنا حتى إنسحبنا.

بقينا محاصرين للمنزلين وجعنا فأخذنا نأكل الفول المزروع بجوارهما وصدفة إلتفت فإذا بي أرى أخي فرحات قادماً نحوي مبتسما وكأنه في نزهة وقال لي: هل أعجبتك المعركة فقلت له سأحكي لك فيما بعد، هل تأكل الفول. فقال: معي قطعة كسرة هاكها، وهنا وصل الخبر من الواحد للآخر، يأمرنا أن نتراجع نحو الغابة ونبقى محاصرين له كامنين ساكتين لعل العدو يخرج من الدارين فتكون لنا الفرصة للقضاء عليه، فتراجعنا مطبقين الأمر، وكانت الساعة تشير إلى الرابعة مساء وفي الغابة زودنا بقطع من الكسرة والسردين التي ألحقها بنا طباخو الفيلق، فأكلنا وقل البرد عنا لأن ملابسنا قد إبتلت من كثرة سقوط الأمطار ولو أنها كانت متقطعة لأنها من صنع الربيع الحنين.

لم يطل بقاؤنا على هذا الوضع، ولم يخرج العدو من المنزلين وتوقف مثلنا عن إطلاق النار، وكنت معتقدا أننا سنعيد الكرة ونقوم بحرق وتهديم الدارين، ونقضي نهائيا على من بهما من عساكر ولكنني فوجئت بالأمر الصادر لنا من قيادة الفيلق بالإنسحاب وأثناء إنسحابنا إلتقيت بإبن عمي "محمد" و"عبد العزيز" وهما المجاهدان "علي والحسين" ومشينا معا حتى وصلنا إلى مشتى " مشاط" حيث وجدنا المسبلات مجتهدات في إعداد القهوة لنا وكذا النار لتجفيف ملابسنا إلا أنني فوجئت من جديد ولم تجف ملابسي بعد ولم أتناول قهوتي، بأمر مغادرة "مشاط" والذهاب فوراً إلى مشتى أخرى وسرت مع السائرين حتى وصلت معهم إلى مشتى أخرى تسمى " الجيزية" الواقعة إلى الشمال من الميلية وإلى الغرب من القل والقريبة من وادي الزهور والمطلة على البحر الأبيض المتوسط والتي جرى فيها بحثي يوم قدمت من الشرق ودام سيرنا ليلاً حوالي ثلاث ساعات ونصف وبهذه المشتى تناولنا طعام العشاء وجففنا ملابسنا ونمنا.

– وفي الغد علمت بأننا غنمنا 13 قطعة من السلاح يضاف لها ملابس وذخائر، ثم أسقطنا طائرة قتل فيها ضابط للعدو، برتبة عقيد كما علمت بأن مواطنة غنمت هي الأخرى قطعة سلاح من عسكري وجدته قتيلا في مغارة أما خسائرنا فكانت في 3 شهداء و7 جرحى والجدير بالذكر أننا عندما عدنا إلى "مشاط" لم نجد الشعب في منازله وفي المقاهي لأنه

رحل وغادر مشاط بكل رجاله ونسائه وأطفاله وحتى حيواناته وأفرغ دياره من كل ما يمكن أن ينتفع به العدو، فخزن مؤونته تحت الأرض وحمل معه ما خف حمله، ولماذا كل هذه الرحلة. لأن العدو سيأتي غدا بقوات هائلة لينتقم من الشعب، الشعب الأعزل من السلاح فيحرق ويهدم منازله، ويأكل حيواناته ويقتلها ويسلب ما يجد، وأكثر من هذا أنه سيهتك الأعراض أن لحق بالنساء لذلك فإن الشعب لا ينتظر، بعد حدوث المعارك والكمائن بل يفر بشرفه ورزقه ويحتمل في ذلك أقوى وأشد أنواع التعب والجوع والبرد، ولكن كل واحدة منهن يجيب وتجيب بفخر وإعتزاز، مرحبا بالعذاب والأخطار في سبيل صيانة الشرف، شرف كتمان سر الثورة والثوار، وشرف الأخوات والأمهات والزوجات نعم إنهن الأمهات اللائي أنجبن أسودا لإسترجاع حرية وسيادة الجزائر، هذا الوطن الذي يجب أن يطهر من رجس الفرنجة الظالمين وأن يستعيد كرامته من الغاصبين وأن يعود ويبقى ملكا لأبنائه المخلصين.

وكان حديث جميع المجاهدين في اليوم التالي عن معركة الأمس كيف وقعت، وكيف كان هجومنا، وماهي الغلطات التي إرتكبناها والتي لم تحدث لكّنا حصلنا على نتيجة أفضل، وكان جل المجاهدين غير راضين عن النتيجة التي حصلت، وكثر حديثهم عن إستشهاد ثلاثة مجاهدين وإستكبروا هذا العدد وإعتبروا أن هذه المعركة مرت كلعبة غير جديرة بأن يستشهد فيها ثلاثة مجاهدين وسمعت هذا الحديث أو التعليق من الضباط أيضا لأني كنت مازلت مع القيادة لأنها لم تعيني وزملائي بعد في وحدة من الوحدات، وكنت أذهب عند المجاهدين لملاقاة أخي فرحات وأبناء عمي فأسمع منهم ومن غيرهم ما يخوضون فيه من تعليقات.

كانت هذه الأحاديث والتعليقات بالنسبة لهم عادية أما بالنسبة لي فلم تكن كذلك، إذ كنت في نشوة كبرى وفي فرح كبير بهذا الإنتصار الهام، وفي إعجاب شديد بالشجاعة والتنظيم والتعاون والانضباط وغيره من الصفات الحميدة التي شاهدتها في أول معركة أحضرها، ضمن صفوف جيش التحرير الوطني.

وأكثر من هذا أنني شاهدت جميع ضباط الفيلق يشتركون في هذه المعركة وهم كالجنود تماماً وكل واحد منهم يركض ويزحف ويقاتل ويأمر ويسير، وهذه صفة وعامل أساسي من عوامل النجاح.

وسألت أخي فرحات " إستشهد في بداية عام 60 قرب تمنتوت بعد سقوطه ومن معه في كمين نصبه العدو لهم" وكان برتبة جندي أول إذ ذاك وقلت له كيف تقولون كان من الواجب أن نغنم أسلحة أكثر وأن لا يستشهد منا أحد. فأجابني بحماس وسرعة قائلا: نعم كان علينا أن نغنم أسلحة أكثر مما غنمنا وكان علينا أن نهدم الدارين ولا ينجو منها أي عسكري وكان من اللازم أن لا يستشهد منا أي جندي لأننا في قوة ولدينا أسلحة جيدة، وكان الجو ممطراً وكثير الغيوم مما يمنع تدخل الطائرات، كما أن عدد العدو كان أقل من عددنا ثم أننا قبل تكوين الفيلق وبعدد قليل من الجنود والسلاح ننجح أكثر ونغنم أسلحة أكثر مما غنمنا اليوم.

فقلت له شكراً لك أخي العزيز أما أنا فإني راض كل الرضى بهذا النجاح وبهذه النتيجة وأعترف لك أني ميت لا محالة في هذه المعركة وكنت أشعر بالرصاص يخترق جسمي وخاصة تلك القنابل التي كان العدو يرميها نحونا، فإبتسم وقال: ستتعود وتصبح لا تقرأ للموت أي حساب وخاصة بعد بدء إطلاق النار، وكنا جميعا نفكر في البداية هذا التفكير، وهنا نادى أحد الجنود في كتيبته قائلا: المناداة يا إخوان فودعته وإنصرفت، لأن كل وحدة تقوم بالمناداة في وحدتها على حدة.

تعييني في العمل:

– في مشتى "الجيزية" ناداني سي رابح الأمة في اليوم الثاني وقال لي: كيف حالكم. قلت لا بأس، شكرا. هل أعجبتكم الحرب وكيف وجدتموها؟ أعجبتنا كثيراً ممتازة، خاصة وأننا شاهدنا عساكر العدو يجرحون ويقتلون ويجردون من سلاحهم، فضحك كثيراً وقال:هذا شيء حسن للغاية وستشهدون أكثر من هذا. لكن يا بني لابد أن تعرف أن الحرب رغم ما فيها من لذة الإنتصار على العدو فإن فيها المرارة أحيانا. لكن هذه سنة الحياة يوم لك ويوم عليك.

والمهم هو النتيجة، النتيجة الأخيرة وهي لفائدتنا ما في ذلك شك، ثم قال لي: بما أنك تحسن القراءة والكتابة جيداً فإنك منذ اليوم معين عاملاً، في لجنة التموين الخاصة بالفيلق فقلت له على الفور ولكني أريد أن أكون جنديا في إحدى الوحدات فإبتسم وقال: هذا شيء جميل ومعقول ومعروف ولكن يجب أن تعرف منذ الآن أن الطاعة هي سر نجاحنا وهي

إجبارية وأي أمر يصدر لك من مسؤولك فعليك بتطبيقه وهذا قانون والقانون يسري عليك وعلى كل مجاهد، فقلت له شكراً فقال لا، بل الجواب هو أن تقول: حاضر، فقلت له حاضر ونادى مجاهد آخر وقال له: خذ هذا المجاهد ليكون منذ اليوم تحت مسؤوليتك وعاملا معك ومشيت معه إلى بيت حجري مغطى بالديس يقع قرب المركز الذي خرجنا منه وشاهدت فيه الكثير من الأغذية المتنوعة من سميد وكسكسي وزيت ومصبرات كان هذا الأخ المسؤول هو المجاهد:- "كمال عبد العزيز"، وكانت ثقافته فرنسية وهو من الميلية، وكان قبل صعوده إلى الجبل يدرس في مدينة قسنطينة وكان مسؤولا لشعبة طلبة المدينة في إطار جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين وقد إستشهد في السنوات الأخيرة للثورة بالناحية الأولى من المنطقة الأولى غرب جيجل.

- وبدأ هذا الأخ "سي عبد العزيز" أو "عزوز" كما كنا نناديه يتكلم معي بروح طالب مدرك للحياة فحدثني عن الثورة وعن المجاهدين وعن التنظيم الثوري بإعتباري جديداً، وقد أفادني كثيراً وزودني بكتيب يتضمن القوانين الداخلية لجيش التحرير الوطني وختم لقائي الأول معه بتوضيح العمل الذي أقوم به تحت مسؤوليته ومعه وهو:-

1- المحافظة على تموين الفيلق.

2- القيام بتوزيع الغذاء على المجاهدين حسب القانون لكل فرد حدا معينا في وجبات الأكل الثلاث.

3- تحمل المسؤولية على فوج المجاهدين الموجود معنا للقيام بالحراسة والنقل والأمن وهم مثلنا تماما.

4- يوجد لدينا سجل نسجل فيه المدخول والمخروج وعدد الآكلين في كل وجبة.

5- إخبار القيادة مسبقاً عن أي مادة غذائية نفذت أو كادت أو التي نحن في الحاجة إليها.

6- وسائل النقل عندنا هي البغال وعددها من 8- 12.

7- دائما نتحرك قبل تحرك الفيلق ونحضر له الأكل بالإستعانة بمسؤولي المراكز والمشاتي والمناضلين والمناضلات الدائمات بتلك المراكز

8- لنا إرتباط مباشر بقيادة الفيلق والأوامر تأتينا منها مباشرة.

9- إننا لا نحضر الكمائن والإشتباكات ولكننا ملزمين بالدفاع عن هذا التموين والمحافظة على سلامته.

- ثم قال لي: هل فهمت الآن عملك. فقلت نعم.

ومنذ هذا اليوم 24 أفريل 1957 وأنا في هذا العمل لغاية حل الفيلق في منتصف شهر ماي 57 وهذا العمل هو: - التموين - التوزيع - التسجيل - تعبئة البغال هات، خذ إلخ، وهو سهل كما ترى إلا تسيير البغال وتعبئتها فهو عمل شاق خاصة في النهار الذي يكثر فيه تحليق العدو بطائراته مما يجعلنا نوقفها ثم نسوقها ثم نشبعها ضرباً بالعصي كي تركض نحو الغابة فنسلم وتسلم من مشاهدة الطيارين لها ولنا، إنه عمل مزعج متعب وسخ ممل، ولكن من حسن حظي أن عمر هذا الفيلق لم يطل كما ذكرت وإسترحت منه ومن بغاله وتموينه وبدأت عملا آخر، وقبل الانتقال للحديث عن عملي الجديد لابد من وصف أو ذكر تحركات ومعارك هذا الفيلق وعملي في صفوفه.

الإنتقال من الجيزية إلى أولاد الصالح:

- مشتى أولاد الصالح تقع قرب الميلية وإلى الشمال الشرقي منها ذهبنا إليها من الجيزية بعد إشتباك مشاط الظافر، ذهبنا بالتموين وإتخذنا طريقا غير الطريق الذي إتخذنا طريقاً غير الطريق الذي إتخذه الفيلق ووصلنا في المساء إلى المشتى المذكورة وأنزلنا التموين من على ظهور البغال ووضعناه في المركز، وبدأت المسبلات في إعداد عشاء الفيلق بمعاونة بنات الشعب كما أعددنا منازل الشعب بمساعدة مسؤول المشتى ونائبه، أما القيادة فكانت دائما تتمركز وسط الكتائب، وحوالي منتصف الليل ذهب الفيلق لنصب كمين للعدو بالقرب من تلك المشتى وأمرتنا القيادة بأن نبقى نحن في المشتى حتى يخبرونا في وقت لاحق، لم ينجح الفيلق في كمينه لأن قافلة العدو المنتظر خروجها لم تخرج. وفي المساء أخبرتنا القيادة بإعداد طعام العشاء كالأمس أما الغذاء فكان كل مجاهد يحمله معه مسبقا وهو عبارة عن قطعة من الكسرة، وبعد العشاء مباشرة أمرتنا القيادة بالذهاب إلى مشتى "الشرقة" بدوار أولاد يحي الواقع غرب الميلية فإتجهنا نحوها وكانت بعيدة جداً وتطلب وصولنا إليها مشي حوالي 8 ساعات كما أن الوصول إليها يتطلب قطع الطريق الوطني - قسنطينة - الميلية - وقطع الوادي الكبير.

– وصلنا لهذه المشتى في الصباح الباكر وأفرغنا التموين في المركز كالعادة وتمركزت كتائب الفيلق على مشارف المشتى واسترحت طول النهار وفي الليل سار الفيلق لينصب كمينا لقوات العدو في المكان المسمى "تاسقيفت" وذلك فجر يوم 27 أفريل 57 هذا المكان يقع بمحاذاة الوادي الكبير غربا وجبل صخري شرقاً، ومنه يمر الطريق الوطني – الميلية– قسنطينة. إنفلق الصبح والمجاهدون على أتم الإستعداد لقتال العدو وغنم سلاحه وتحرك العدو من الميلية في إتجاه الجنوب، وبدأ يفتح الطريق بالقنابل أمام عرباته الناقلة لعساكره ورويداً رويداً وصلت القافلة وتجاوزت عقارب الساعة 7 صباحاً وكان الجو صحواً مشمسا وباغت جنودنا قافلة الأعداء وأصلوها ناراً حامية وغنموا قطعاً من الأسلحة وبدأوا في الإنسحاب كما تفرضه ظروف الحرب وقواعد حرب العصابات وحرب الكمائن: إضرب وإغنم وأهرب إلا أنهم لم يوفقوا في الإنسحاب إذ باشرت المصفحات قنابل جنودنا وقامت الطائرات أيضا بقنبلتهم، وتوالت الإمدادات على العدو من المراكز القريبة، من مكان الكمين وهكذا تحول الكمين إلى إشتباك فضيع، دام من الصباح إلى الزوال وأسفر عن خسائر جسيمة بين الجانبين إذ قتل من العدو ما يزيد عن 70 عسكرياً وغنم جيشنا 17 قطعة سلاح وإستشهد من جانبنا 12 مجاهدا بسلاحهم من بينهم زميلي الطالب: خالد الكميتي والطالب بلقاسم فنون الذي أسر ثم قتل.

أما نحن الممونين فقد أمرنا بالتحرك نحو دوار بني خطاب عندما نسمع إطلاق الرصاص، وهكذا فعندما سمعنا إطلاق الرصاص وشاهدنا الطائرات تحلق، تحركنا بتموينا نحو المكان المعين لنا، وطول الطريق وشعبنا يلاقينا بفرح وهتاف وزغاريد ويسأل كيف حالنا وأين مجاهدونا. ونجيبهم بفخر أنهم في معركة حامية الوطيس بتاسقيفت، فيهللون ويكبرون ويكثرون بالدعوات للمجاهدين بالنصر، وفي هذا الجو البهيج وصلنا إلى المشتى وإسم مسؤولها بوزيوغ وإستقبلنا بفرح ونشاط كبيرين وأعددنا كل ما يجب إعداده في إنتظار وصول المجاهدين وكانت القاعدة أن تخصص دار لكل فرقة وكل دار تخصص يذهب سكانها للمبيت في دار جارهم وكأنهم أسرة واحدة، وبعد هذا الإعداد إتجهنا إلى مدخل المشتى لإستقبال الجيش وتوزيعه على الديار المعدة له، ووصل الفيلق بعد وقت العشاء فوجدنا في إستقباله ومن معنا من مسؤولي دوار ومشاتي بني خطاب وتمت تحية الأبطال بواسطة المصافحة لا العناق لأنه منهي عنه وإتجهت كل فرقة لمكانها المخصص وسمعنا بنتيجة

الكمين الذي تحول إلى معركة ضارية خطيرة وكانت غير مرضية للجميع نظراً لكثرة شهدائنا فيها، وأخذت بدوري أتفقد هذه الفرقة وتلك لأطمئن على سلامة من أعرف على الأقل، وكنت لا أعرف إلا القليل ومن هذا القليل أخي فرحات وابنا عمي "علي" و"الحسين" "إستشهدوا جميعهم فيما بعد" وإخواني الذين أتوا معي من القاهرة وتونس ووجدت أن أحدهم قد إستشهد "خالد الكميتي" وثانيهم قد أسر "بلقاسم قنون" وعلمت أن عدد شهدائنا فاق كل تقدير 13 مجاهدا.

وهكذا مرت علينا تلك الليلة في سكون رهيب وكلها آهات وبكاء صامت على شهدائنا الأمجاد، وكانت هذه عادة مجاهدينا فرغم أنهم جميعهم على إستعداد للإستشهاد فإنهم لا يرضون ولا يهضمون الخسارة بسهولة ويبقى حديثهم لعدة أيام عن ظروف وإستشهاد إخوانهم هو المسيطر على حياتهم، أما الضباط فقد سمعتهم تلك الليلة يتحدثون ولمدة طويلة عن هذه المعركة ويقومون بتقييم شامل لوقائعها وإرتفع صوت بعضهم وخلصوا إلى القول: لابد من ربح المعركة القادمة ويجب أن لا نرتكب أخطاء كما إرتكبناها هذا اليوم.

الإنتقال إلى بني احبيبي:

– ابني احبيبي كما يلفظ محليا اسم يطلق على دوار يقع ببلدية "سيدي عبد العزيز" دائرة "الطاهير" حاليا والبلدية الممتزجة سابقا ويبعد عن دوار بني خطاب بمشي حوالي 10 ساعات، وقد أمرتنا قيادة الفيلق بالإنتقال إليه وبالضبط إلى مشتى "تسبلان" الكثيرة الظلال والأشجار وخاصة الزيتون وكان مسؤول هذا الدوار هو الأخ "طالب عبود" وقد إنتقلنا للمكان الجديد نهاراً نظراً لأن المسافة بين الدوارين كلها جبلية ومغطاة بالأشجار وأهم دوار يفصل بينهم هو دوار (بني عائشة) ويلفظ محليا ابني عيشة وما وصلنا إلى "تسبلان" حتى عم النشاط والحيوية ربوع السكان وقد إستقبلونا إستقبالا هائلا وتم توزيع الفرق على مختلف دور المشتى وكانت القيادة في شغل متواصل وفي نيتها تنظيم كمين على الطريق الوطني الطاهير– الميلية، وذلك قرب بلدية الشقفة الواقعة على بعد 7كلم شرق الطاهير وكان الضباط الذين يعرفون الجهة، متحمسين لضرب العدو بهذه الناحية وخاصة الضابط المدعة (البركة) نظراً لكثرة نجاحه في معظم العمليات التي قادها في هذه الناحية (وإستشهد فيما بعد

أي في سبتمبر)1957 أما الآخرون فقد أظهروا تخوفهم من عدم النجاح وذلك لعدة أسباب منها: قرب الطريق الوطني من البحر وهذا يحتم الإنسحاب في إتجاه واحد هو الجنوب ولا يمكن الإنسحاب شرقاً أو غرباً لكثرة مراكز العدو المنتشرة على الطريق الوطني ثم إن الجبل قليل الغابات لأن العدو كان قد أحرقها من قبل نتيجة عدة عمليات ناجحة ضده، ومع كل هذا التخوف فإن محاولة نصب الكمين قد وقعت ولكن الكمين لم ينجح وإنسحب جيشنا دون معركة ودامت هذه المحاولة الغير ناجحة أربعة أيام،، وفي اليوم الخامس تحرك الفيلق نحو ناحية الميلية وجبالها وأدغالها ودواويرها من جديد.

زيارة خاطفة لعائلتي:

– عندما وصلنا إلى مشتى "تسبلان" صرت أشاهد المشتى التي ولدت بها وطفح بي الشوق لزيارتها وزيارة عائلتي ولم أتردد في طلب رخصة الذهاب وجمعت كل شجاعتي وتقدمت لأول مرة لأحد الضباط المسيرين للفيلق هو (سي رابح الأمة) وإبتهجت كثيراً لتلبيته السريعة لطلبي بل أكثر من ذلك وزيادة في الحذر خوفا علي، رخص لأخي فرحات كي يذهب معي نظراً لمعرفته أكثر مني بمسالك الطريق وأخطاره، وهكذا شكرته بحرارة وإنصرفت مع أخي نحو مشتانا التي تسمى باسم عائلتنا (الطمامنة) وكنت أمشي بسرعة وما إن إقتربت منها حتى إزداد شوقي للوصول إليها وإقتربنا نتسابق غروب الشمس ولكنها سبقتنا وصرنا نتقاذف حجر وحصى المسلك المؤدي لديارنا لحينا الذي يسمى (عرب الشوف) ووصلنا والعرق يتصبب من جسم كل منا وكانت المفاجأة السعيدة وطرقنا الباب في لهف شديد وتم فتحه لنا ولم تصدق أمي أنني إبنها الذي كان بعيدا عنها في العراق وإنهمرت دموعها ودموع أفراد العائلة من شدة المفاجأة، ثم اتجه أخي فرحات إلى الزاوية المجاورة لدارنا لكي يسلم على الجماعة المعتادين على السهر في الزاوية والقيام بتلاوة القرآن والفرائض بها، وأتى أخي الأكبر "سي احمد" وهو لا يكاد يصدق وهكذا كانت ليلة من أسعد ما عشته في حياتي أما والدي فلا أذكره لأنه توفي وعمري لا يتجاوز 11 سنة وكالعادة لابد لكل عائد من سفر، وبعد تحية العائلة من الذهاب للزاوية لتحية الجماعة وكلهم من أفراد العائلة وبعد تحيتهم عدت لدارنا وسهرت سهرة عائلية سارة إلى جزء متأخر من الليل، وفي الصباح رجع أخي فرحات لفرقته بالفيلق أما أنا فقد مكثت اليوم كله مع أسرتي وفي الغد عدت أنا الآخر إلى الفيلق وقادني دليل من مناضلي المشتى وطول الطريق وأنا لا أفكر ولا أشعر إلا بما وجدت عليه

عائلتي من أمل وألم، أمل في إستقلال الجزائر، وألم على فقد أخي علي المدعو "عمر"، إذ إستشهد في المشتى بواسطة قنبلة الطائرات لها وإستشهاد عمتي عائشة في دارها إذ رمى عليها العدو النار عندما رفضت فتح باب دارها له في إحدى هجوماته ليلاً على مشتانا وإستشهاد إبن عمي "سي احسن" وإدخال ابن عمي "عبد الرحمن" وأخيه "مصطفى" إلى السجن بالعاصمة. وإعدام 3 من عائلتنا هم: عمي الطاهر، وسيدي منصور، وسيدي علي، عمر الأولين 67سنة والثالث53 سنة. وذلك إثر وشاية كاذبة بهم من طرف: عمار بن زروال، والعربي المدعو طنفس. وقد تم إعدامهما لاحقاً بسبب الوشايات الكاذبة التي ألحقاها بعائلتي وبعائلات أخرى.

وهكذا وصلت إلى مشتى (تسبلان) دون أن أشعر بأي تعب وإتجهت نحو القيادة لإخبارهم برجوعي ولأشكر الأخ سي رابح عن موقفه معي وقد سألوني عن حال أسرتي وعن سمعة الثورة فأجبتهم بأن كل شيء على ما يرام، ثم إتجهت إلى مقر عملي إلى دار صغيرة خاصة بتموين الفيلق وبها وجدت عضواً جديداً بفوجنا وهو صديقي ورفيقي من القاهرة إلى الجبل إنه (اخليلي مسعود) الذي كنا نناديه بـ (الشعبي) نظراً لكونه كان يتكلم كثيراً عن الشعب ولأنه يقرأ دوما جريدة الشعب العصرية عندما كان هنالك والتي كان يرأسها رفيق جمال عبد الناصر الصاغ صلاح سالم- رحمهما الله وجزاهما عنا كل خير- وبهذا المقر علمت أن قنبلة قد انفجرت وسط مجموعة من جنودنا وجرح من جرائها 4 جنود، لقد تألمت كثيراً لهذا الحادث الأليم وفي نفس الوقت فرحت كثيراً بإنظمام (الشعبي) العظيم لفوجنا لأنه نعم الصديق ونعم المتحدث ونعم المتفاني ونعم الصبور.

الإنتقال إلى الميلية:

- صدر لنا الأمر بالتحرك نحو ناحية الميلية وعين لنا المكان الذي نقصده وهو مشتى (الجبالة) بدوار أولاد بوفاهة فجمعنا كل ما كان لدينا من تموين وأتينا بالبغال وحملنا فوقها التموين موزعا عليها في تلاليسها وكنا نحن الثلاثي الطلبة نعلق وننكت على عملنا وكنا غير راضين عنه ولكنه الأمر.. الأمر الثوري الذي يجب أن يطبق دون نقاش وهذا الثلاثي مكون من كاتب هذه السطور والشعبي وعزوز مسؤولنا وبعد أن أتممنا وزملاؤنا المجاهدين غير الطلبة- التعبئة تحركنا مودعين الأخ سي عبود ومشتى تسبلان قبل غروب الشمس وهبطنا من الجبل في اتجاه الشرق ومررنا بمكان يسمى (جمعة ابني حبيبي) وهو

مكان منبسط يكثر به شجر الزيتون وبه أوقفنا عدة جنود كانوا في الحراسة وقاموا بتنبيهنا إلى أننا سنقطع الطريق الرابط بين الطاهير والميلية وذكرونا بالأوامر التقليدية فلا كلام ولا تدخين، وكلمة السر هي: الوطن–الحرية. كما ذكرونا بأن العدو قريب منا إنه في مرقب بني مسلم– ثم تابعنا سيرنا وقطعنا الطريق في حذر ثم قطعنا الوادي الكبير وصعدنا الجبل وتطلب منا ذلك الصعود تعباً شديداً ولكن في أمن وإطمئنان وكلاهما يهون علينا التعب وأكملنا الليل في مشتى (الجبالة) الكثيفة الأشجار والظلال، وفي الغد مشينا نحو (مشاط) وإسترحنا به مدة من الزمن ثم مشينا إلى دوار (أولاد عربي) وقضينا ليلتنا به في أمن وراحة ثم إنتقلنا منه نهاراً وسط الأدغال الكثيفة إلى دوار (ابني تفوت) وهو من أكثر الدواوير التي عرفتها من حيث العزلة وكثرة الأدغال والبعد عن مراكز العدو وعن المراكز الحضرية ويتبع هذا الدوار إدارياً إلى بلدية القل لكنه بعيد عن القل مقر البلدية بعداً كبيراً، وبإحدى مشاتيه وهي مشتى (القيطة) تمركزنا وليس بها إلا عدد قليل من السكان والديار، ويمتاز سكانها بالهدوء والعزلة والانهماك في العمل المضني من أجل الحصول على القوت وتمتاز أيضا بأشجارها الباسقة وهوائها النقي ومياهها العذبة وتمنيت أن لو طالت مدة إقامتنا ولكن الحرب وظروف الثورة لم تسمح لنا بالمبيت بها إلا ثلاث ليال، وبعد غياب شمس اليوم الرابع شعرنا بقرب وقت مغادرتها، وبالفعل فما جن الليل حتى أعطي لنا الأمر بالإستعداد لمغادرة المكان غداً عندما نسمع صوت الرصاص والإتجاه إلى دوار أولاد يوسف أي الإتجاه شمالا بعد أن كنا في إتجاه الشرق والذهاب إلى الدوار المذكور يكون نهاراً نظراً لأن الطريق يشق منطقة جبلية مغطاة بأشجار كثيفة عالية أما مجاهدو الفيلق فقد ساروا مبكرين نحو مكان يسمى (زقار) لنصب كمين للعدو وذلك صبيحة يوم 11 ماي 1957. سمعت الخبر من الضابط سي رابح الأمة.

وحوالي الساعة العاشرة صباحا يوم 11 ماي شاهدنا الطائرات تحلق فوق المنطقة ولم نسمع صوت الرصاص لبعد المكان ولكونه يقع في مكان منخفض خلف الجبل الذي نحن مرتكزين بسفحه، وفهمنا بأن المعركة قد وقعت وتحركنا نحو دوار أولاد يوسف ووصلنا عند غروب الشمس وفوجئنا بوصول عدد كبير من المجاهدين لعين المكان قبلنا وعملنا بالخبر السار خبر إنتصار جيشنا في الكمين الذي نصبوه في المكان المسمى (زقار) الواقع بين بلدية عين قشرة ومركز زقار وتلاحق المجاهدون على دوار أولاد يوسف والتأم جمعهم ومعهم

الغنائم التي غنموها في كمين هذا اليوم المبارك، وكانت تتعدى الثلاثين قطعة من السلاح وكميات هائلة من الملابس والذخائر الحربية وأجهزة الإرسال والإستقبال زيادة على أسر عسكريين سنغاليين اثنين، وقد كان عدد القتلى كبيراً، أما من جانبنا فلم يجرح إلا ثلاثة مجاهدون.

مرت هذه الليلة كلمح البصر إذ لم يهدأ فيها المجاهدون ولم يكفوا عن الرقص وترديد الأناشيد والأهازيج الشعبية والحكايات عن الكمين الناجح، كما سعدت أنا الآخر بجهاز الراديو المغنوم إذ كانت فرحتي فرحتين: مجاح الكمين وعودة المجاهدين سالمين وإستقلالي بالجهاز الذي أشفي به غليلي بسماع أصوات وألحان عبد الوهاب وفيروز وأم كلثوم والسفر العالم الخارجي على أمواج الأثير.

إستراح الجيش جيداً ثم حل الفيلق وذهبت كل كتيبة لناحيتها وودعت كتيبة الطاهير بقيادة (البركة) بصورة خاصة لأن بها أخي فرحات وابنا عمي علي والحسين وودعت زملائي في فوج التموين وخاصة صديقي (الشعبي) وذهبت مع كتيبة سكيكدة التي كانت بقيادة الأخ عبد الوهاب عيسى (ما زال في الجيش الوطني الشعبي) ولكني لم أغادر دوار أولاد يوسف باعتباره جزءاً من ناحية سكيكدة (هذه الناحية تشال سكيكدة والقل)، بل مكثت مع قائد الناحية الأخ سي رابح الأمة وعدد قليل من المجاهدين بهذا الدوار لعدة أيام.

عملي الجديد في قيادة ناحية سكيكدة–القل. ماي57–ماي58:

– في هذه الأيام من أواخر شهر ماي 1957 أخبرني سي رابح الأمة بأن عملي معه منذ الآن هو: الكتابة العامة للناحية، وأفهمني بأن دوري يتمثل في إستقبال البريد والجواب عليه تحت أمر مسؤول الناحية وكذا القيام بكتابة التقارير التي ترد على الناحية من الأقسام المتكونة منها وذلك بتوحيدها وإعدادها وإرسال نسخ منها إلى المنطقة التي توحدها هي بدورها وتبعث بها للولاية، كما أفهمني بأنني سأحضر معه كل الاجتماعات التي يعقدها أعضاء الناحية والأقسام وأذهب معه عندما يدعى للحضور في إجتماعات المنطقة وأشبعني بالتعليمات منها: حفظ السر، حفظ الوثائق، حفظ القانون الداخلي لجيش التحرير الوطني، إصدار الرسائل والمنشورات المحلية والخطب التي يوجهها أحيانا للمواطنين، أساليب محاربة دعايات العدو، إلتقاط الأخبار من جهاز الإرسال، عدم المشاركة في الكمائن وتجنب الحضور في المعارك إلا إضطراراً.

وهكذا وجدت نفسي محملا بكيسي للظهر أو المكتب المتنقل، أقلام وأوراق وكراسات بالإضافة إلى سلاحي، إستقبلت كل هذه الأوامر والتعليمات بإنتباه شديد ولم أطرح أي سؤال ولكن سي رابح الذي سمع مني الكثير وبطلب منه، عن الأحوال بالشرق الأوسط عامة وعن حال الإخوة الجزائريين المتمركزين في تونس، السياسيين منهم والمجاهدين واللاجئين، لم يتردد عن إستجوابي وسماع رأي عن المهمة الجديدة التي أمرني بها، فأجبته صادقا بقولي: أن رغبتي الحقيقية هي أن أكون جنديا في إحدى فرق جيش التحرير الوطني ولكن كما تقولون، على المجاهد أن يطبق الأمر دون مناقشة أو نفذ وإحتج من بعد. فنظر إلي نظرة جدية وقال: هذا هو عين الصواب وأشعل سيجارة وقدم لي أخرى وتابع حديثه قائلا: اسمع يا بني (يكررها دائما) ليس في الثوار مثقفون، كانا أبناء جهلاء هذا هو واقع شعبنا والقليل ممن يوجدون بيننا نشغلهم في الشؤون الكتابية وفي التعليم، وأن الثورة مدرسة نتعلم فيها كل شيء يا بني فجاهد بقلمك وبلسانك وبسلاحك وبقلبك والله يوفقنا جميعا للتغلب على فرنسا، ثم نادى يا مسعود يا (المريكان) فتقدم مسرعا محييا مستعدا، وهو شاب في مقتبل العمر كله حيوية ونشاط، يحسن القراءة والكتابة بعض الشيء ويحفظ بعض صور القرآن الكريم واسمه: غيموز مسعود، ويدعى بالمريكان وهو من مواليد دوار بني اصبيح بلدية الميلية وله أخ يصغره مجندا أيضا واسمه أحمد، أعطى له سي رابح الأمر بالراحة أولا ثم قال له: حضروا أنفسكم لنذهب هذا المساء إلى (حجر مفروش) مشتى كثيرة السكان تقع في سفح جبل كثيرة المياه والأشجار بعيدة عن مراكز الأعداء، لكن معظم ديارها حطمها العدو في شتاء 1957 أجابه الماريكان بالقبول وإنصرف، وأومأ لي رابح أن أتبعه فتبعته للدار التي نحن بها متمركزين وجمع الماريكان فوجه المتكون من ستة مجاهدين وأخبرنا بأننا سنغادر هذه الدار بعد العشاء، وبعده وقبل سقوط الظلام تحركنا شرقا نحو (حجر مفروش) فغادرنا دوار أولاد يوسف صاعدين حتى وصلنا قمة تسمى (الصرادي الخميس) ثم إتجهنا شرقاً في طريق غير معبد ثم هبطنا إلى المشتى المقصودة وتمركزنا في دار حجرية مغطاة بالقرميد وبجانبها صخرة كبيرة أسفلها ممر أرضي وهي آخر دار بالمشتى ومنها تبدأ الغابات الكثيفة التي تخترقها للوصول إلى مشتى أخرى منعزلة تسمى (ابني رحمة) ومنها نشاهد العسكر في مرقب (زقار) الواقع بين مركزي عين قشرة وعين اروبيح المشتهرتين بكثرة العسكر الذي

يحمي الطريق الرابط بين الميلية وسكيكدة والقل وبينهما تمالوس وغيرها من القرى التي لا تخلو كلها من مراكز العدو.

مكثنا بحجر مفروش عدة أيام وعلمت سبب تمركزنا بالدار القريبة من الأدغال ومن الصخرة الكبيرة، إذ كنا ندخل أسفل الصخرة عندما تأتي طائرات العدو وندخل الأدغال عندما نسمع بتحركات العسكر وبهذا المركز بدأنا نستلم الرسائل من مختلف أقسام الناحية وكانت كبيرة ومتنوعة، تحمل في طياتها أعمال جيشنا وجرائم تحركات عدونا، فقرأنا أحيانا فرحين ضاحكين بإنتصارات جيشنا وأحيانا يسودنا القلق من الحياة الرتيبة التي نحياها فلا رسائل ولا أخبار، بل الحراسة الليلية والدوريات الاحتياطية والتناوب على إعداد الطعام وجلب الماء والتهافت على سماع الأخبار والأغاني من جهاز الإرسال عندما يعطى لنا بين حين وآخر.

إن قراءتي للرسائل والتقارير التي ترد على الناحية مكنتني أكثر فأكثر من الإطلاع على ما يجري من أحداث في كل أنحاء الناحية والأحداث الصادرة عن عدونا، ومكنتني من معرفة سعة الهوة بين مطامح ثورتنا وأطماع عدونا، وبين إتدالنا في نشاطنا الثوري وتطرف عدونا، وبين للقوانين الدولية وتعسف عدونا فيها، إننا لا نقتل طفلا ولا إمرأة ولا نهدم منزلا على سكانه ولا نمثل بالموتى ولا نقتل الأسرى، ولا نكشف حرمات عائلات عدونا، وهو يفعل كل هذه المحرمات ويكررها لقد تعبت كثيراً من الإطلاع على مختلف أنواع الجرائم التي يقوم بها عسكر فرنسا ورجال أمنه ومدنيوه المسلحون، وقد ناقشت سي رابح في هذا الموضوع وقلت له لماذا لا نعامل عدونا بالمثل. وأجابني في صراحة بقوله: ذلك ما يريده عدونا، إنه يريد أن نقع في الفخ ونصير مثله، ونحن لا نريد أن نكون مثله لأننا نحارب من أجل الحق وهو يحارب من أجل ترسيخ الإحتلال والظلم والهيمنة والإستغلال وأكد لي بقوله: إنك ستتعود على رؤية مثل هذه الجرائم ترتكب ضد شعبنا وسيزول عنك القلق ويتبخر التعب، والأهم هو تحقيق الهدف المنشود وهو إسترجاع حرية الجزائر واستقلالها بأي ثمن.

المنطقة المحرمة:

– وعلمت أيضا أن الناحية التي أعيش فيها وهي شبه جزيرة القل منطقة محرمة في نظر العدو، وإعتباراً لذلك وتطبيقا منه لهذا القانون الذي أصدره في حق شبه جزيرة القل كبقية المناطق الأخرى المحرمة فهو حر في قنبلة الناحية، وقتل كل شيء يراه يتحرك فيها سواء كان بشراً أو حيواناً وهو حر في تخريب الديار وحرقها ويعتبرها أيضا خارجة عن

القانون ولذلك تجمع التقارير التي تصلنا على جنون العدو وتفننه في الإجرام فهو لا يكف عن القنبلة بمدافعه وطائراته، ولا يكف عن الخروج للمشاتي القريبة من مراكزه في القرى سواء عين قشرة أو زقار أو بين الوديان أو عين اروبيح أو العشرة أو الولوج، أو الزيتونة، أو الشرايع، أو طراس أو قنواع وكل المشاتي التي تقع في خط الحروش سكيكدة أو سكيكدة عزابة، سكيكدة القل وبكلها لا يفعل إلا الجرائم فمن استنطاق إلا تعذيب إلى سجن على قتل، وحجته الوحيدة في ذلك هي البحث عن الثوار أو الفلاقة كما كان يسميهم، أما أبشع شيء يقوم به عدونا فهو الانتقام من شعبنا كلما ألحقت به قوات جيش التحرير الوطني خسائر معتبرة ولذلك يقوم شعبنا الذي تقع كمائن جيش التحرير بالقرب من سكناه بمغادرة مشاتيه إلا بعد أن يهدأ العدو من الحمى التي تصيبه بعد كل نشاط إيجابي لجيش التحرير الوطني، وتصف التقارير التي تصلنا في إيجاز ما جرى من أحداث حلوة ومرة في كل قسم، أما التقارير الشهرية فتكون جامعة لكل شيء وأهمها ما يلي:

– التقرير الأدبي للجيش ويشمل خاصة الروح المعنوية للشعب ومدى تعلقه بالثورة ومكافحته اليومية لقمع العدو وإغرائه ووعد، ووعيد، الوعيد من حكومة في مولي الاشتراكية !

– تقرير العمليات العسكرية لجيش التحرير الوطني وأعمال الفداء والتخريب.

– التقرير المالي: ويبرز المجهود الحربي الذي يقدمه الشعب للثورة ويتمثل في دفع الاشتراكات كل شهر ودفع الهدايا والفروض والخطايا والزكاة والتموين.

– تقرير حول المصاريف: وكانت مقننة بحيث تشمل عدد عناصر جيش وجبهة التحرير الوطني والكميات التي يستهلكونها شهريا وكذا اللباس والدواء.

– تقرير حول قمع العدو: القمع الجماعي وهو أسوأ تقرير يقدم بحيث يشمل عدد الضحايا من المواطنين وعدد المساجين والموقوفين والمشبوهين وعدد الخسائر المادية من أبقار وأغنام وماعز وطيور وجباح نحل وديار مخربة وأشجار مثمرة محروقة وغيرها وكل من يقرأ هذا التقرير يقشعر بدنه من إجرام العدو ويعتقد أننا نحارب شياطين ووحوش مجردين من كل صيغة إنسانية.

– تقرير حول شهداء وأسرى جيش التحرير الوطني: وكان عدد الأسرى قليلا جدا.

– تقرير عن غنائم جيش التحرير الوطني: ويشمل عدد الأسلحة والذخيرة الحربية المغنومة وكميات المواد الغذائية والألبسة والحيوانات المصادرة من مزارع الكولون.

وفي آخر كل شهر يقع إجتماع بين أعضاء الناحية ومسؤولي الأقسام وفيه تتم دراسة كل التقارير وكل الأوضاع وتبلغ الأوامر الصادرة من السلطات العليا والمتعلقة في الغالب بالميدان العسكري والسياسي والإعلامي وهي الميادين التي تنال الإهتمام الأكبر من كل الثوار، ويدوم الإجتماع في الغالب ثلاثة أيام ثم يعود كل مسؤول للقسم الذي أتى منه وهو مزود بخطة عمل واضحة ومحددة وهو مسؤول عن تنفيذها خلال شهر ويحاسب عليها في الشهر التالي وهكذا تتوالى الشهور والأعمال والإجتماعات مع دوام الاتصال بين القاعدة والقمة كما يقوم أعضاء الناحية بزيارات عمل ومراقبة لكل الأقسام التي تتكون منها الناحية وذلك في كل شهر أما مسؤول الناحية فقلما يقوم بهذه الزيارات لأنه المكلف بالتنسيق والإتصال بمن هو أعلى منه وهي إدارة المنطقة.

حلول أعضاء الولاية بحجر مفروش:

– لم يمض على مكوثنا بهذه المشتى أكثر من شهر واحد حتى حل بها أعضاء الولاية والفوج المرافق لهم وفي الحين تغير كل شيء، وأمرنا نحن فوج الناحية بالإنتقال إلى مشتى المرج وهي مشتى صغيرة تقع من جهة البحر وغير بعيدة عن حجر مفروش وأخبرت بأن الولاية كثيراً ما تتمركز بهذه الناحية لحصانتها وكثرة أدغالها وإستعداد سكانها وطبيعتهم البدوية الطاهرة، وبالمرج وجدنا مركزاً يشرف عليه رجل كبير السن إسمه أحمد ويدعى عمي أحمد وبهذا المركز باشرت عملي الكتابي بعد أن زودني الأخ سي رابح بتعليمات أخرى وكان الأخ رابح الأمة قد بقي مع أعضاء الولاية وأخبرني عمي أحمد بأن هذه المشتى كانت آهلة بالسكان ولكنهم تفرقوا إلى عدة مشاتي بعد أن قام العدو بتهديم مشتاهم إثر الخسائر التي لحقت به في كمين نصبه له جيش التحرير بالقرب من المشتى وفي هذه الأيام التحق بنا فدائيان من قسنطينة بعد أن كشف العدو أمرهما بها وهما الأخوان: علي نعيجة، والشيخ بوجمعة ماضوي وكان هذا الأخير يحمل معه قيتارة وكثيرا ما كان يدندن بها في الأيام الأولى لوصوله وأحلى الأغنيات لديه هي: قولوا لشهلة العينان اللي غرامها إسباني، وكان كلما رددها بكى، وزوداني بأخبار قسنطينة ووضعيتها وحصارها وكثرة الأسلاك بشوارعها وكثرة القمع والإهانة والإحتقار بسكانها ووصف لي مركز التعذيب الذي أنشأه العدو بحي أمزيان وقالا بأنه لا يخرج منه إلا طويل العمر، وقد تعب هذان الفدائيان كثيراً في التعود على الحياة البدائية البسيطة في الجبل فالأكل غير الأكل والفراش غير الفراش والشيء الذي

سعدا به هو الأمن الذي شعرا به في الأيام الأولى لمقامهما بيننا إلا أن هذه السعادة لم تدم طويلا إ سرعان ما بدأ العدو يزعجنا بقنبلته الأرضية والسماوية مما جعل الأخ سي علي يقول: إن هذه هي جهنم بالذات ولم يطل بهما المقام معنا إذ نقلا إلى ناحية قسنطينة وقد علمت بأن الشيخ الفنان قد إستشهد أما سي علي ويدعى عبد الحكيم فبقى على قيد الحياة حتى الاستقلال.

إجتماع بمشتى الجراح:

– لم يطل بنا المقام أيضا بمشتى المرج بل تحولنا إلى مشتى الجراح بمعية الأخ سي رابح الذي أخبرني بأن إجتماعاً هاماً سيقع بالجراح يحضره قادة النواحي والمناطق وتقوده الولاية طبعا، ومشتى الجَرَّاحْ (بتشديد الراء) في دوار الزيابرة وهو من أكبر دواوير القل ويقع إلى الجنوب الغربي منه ومحاط بدوار أولاد جامع وأولاد يوسف وبني فرقان وهذه المشتى تقع في سفح جبل مغطى بالغابات الكثيفة أما المشتى نفسها فتكثر بها مياه الينابيع وأشجار الفاكهة وكثير من الخضر وتنتهي بسهل ضيق يجري فيه وادي الزهور ليصب في البحر الأبيض المتوسط أو بالأحرى في خليج ذو شط ذهبي الرمال، وصلنا هذه المشتى فوجدنا بها عددا كبيرا من الضباط والكتاب والجنود المرافقين لهم وهناك تعرفت على العديد منهم وقضينا أياما حلوة في جو مملوء بالنقاش والسهرات والأكل الجيد والمناظر الطبيعية الخلابة وخلو البال من أي مشكل لأننا نحن الكتاب والجنود لا يعنينا ما يدور بين الضباط من دراسة ونقاش وتحليل واتخاذ مواقف أثناء عقد الاجتماع ولا نهتم بما يجري وسطهم إلا إذا إستدعونا في نهاية الإجتماع لنسخ ما تدارسوا وما قرروا، وشغلنا الشاغل أثناء الإجتماع هو الحراسة ليلا ونهاراً أو إعداد الطعام والقهوة والخروج في الصباح الباكر في دوريات لقمم الجبال أما بقية الوقت فنقضيه في النقاش والتعارف فيما بيننا وفي تعليم القراءة لمن يرغب في ذلك وفي التعريف على استعمال أسلحة بعضنا البعض لأننا مسلحون بأسلحة مختلفة بعضها مغنوم من العدو وبعضها مجلوب من تونس وكان الجو صحواً مشمساً دافئاً إذ كنا في نهاية شهر جوان 1957.

وكالعادة لم يطل بنا الوقت في هذه المشتى الجميلة وحتى الإجتماع لم ينته بعد وإذا بالدورية تعود من مكان يسمى (العوينات) في الصبح الباكر لتعلمنا بالخبر المفاجئ. وهو وجود العسكر بالقرب منا فإستعد كل واحد منا وبسرعة شاهدت كل الجنود والكتاب والضباط

مهرولين في إتجاه، وادي الزهور مارين بمكان يسمى الملعب وكان المشي سهلا لأننا سائرون في إتجاه منحدر وإذ بالجو يسوده الرعب ورعد العديد من طيران العدو الذي بدأ يقنبل في المشتى والجميع يسرع الخطى وصوت الكثير يقول: إحذروا من الطيران وأسرعوا لقطع الوادي وهكذا أخذنا ننبطح أرضا أحيانا ونجري أحيانا أخرى لنتقي شر قذائف الطائرات حتى قطعنا الوادي و سرنا صاعدين في جبل مغطى بأشجار الفلين الباسقة ومررنا بمشتى (الجيزية) واتجهنا نحو "مشاط" فإذا بالعدو قد حل فيه بواسطة طائراته العمودية، فتوقفنا قرب مشتى (بويزين) والتقينا بخلق كثير من المواطنين والمواطنات الفارين من العدو والقادمين من مشتى جبل مشاط الشهير بمعاركه وكالعادة توزعنا في الأدغال مختفين تحتها من مشاهدة الطيارين لنا وإتخذنا الإحتياط اللازم للحفاظ على حياتنا وحياة المواطنين وتم نصب عدة نقاط للحراسة وكمين على طول الطريق الغير معبد المتجه من مشاط نحو بويزين وبقينا على هذه الحال طول النهار بلا أمن ولا غذاء، وفهمت من الحديث الذي يدور بين القدامى بأن هذا (راتساج كبير) أي عملية تمشيط كبيرة شارك فيها مشاة العدو وطيرانه وثبت بعد ذلك أن هذه العملية كانت بالفعل عملية قمعية واسعة النطاق شمال ناحية القل والميلية والطاهير وقائدها هو (الجنرال سوفنياك) وهدفها هو الانتقام من الجهات التي مر بها الفيلق الولائي الذي أنشأ وحل في شهر أفريل وماي في نفس السنة والذي ألحق ضربات قاسية بالعدو عندما حان الليل اتجهنا نحو دوار أولاد عربي وبه تناولنا طعام العشاء وتفرق الجميع وذهب كل إلى ناحيته ولم أدر إلى أي مكان إتجهت قيادة الولاية التي كانت مكونة إذ ذاك من الإخوة بن طبال ومن علاوة بن بعطوش وسي علي كافي إلا بعد أن وصلنا إلى مشتى المرج حيث كنا، وبها علمت من رسالة كتبتها للأخ سي رابح وبعث بها إلى قيادة الولاية التي ذهبت لتتمركز في دوار بني اصبيح الشهير بعملية (زكزانة) الناجحة وكلها في بلدية الميلية، ومن الرسائل التي ترد إلينا علمت بأن العدو قد ألحق بالمواطنين خسائر معتبرة في الممتلكات والديار. إذ نهب الكثير وهدم الكثير من الديار ومنها ديار مشتى الجراح الجميلة وعلمت فيما بعد أن العدو قد ألحق به المجاهدون عدة ضربات قاسية وأعظمها كمين بوديال الذي نصبه له القائد البركة في المكان المذكور والذي غنم فيه أسلحة معتبرة وألحق به خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات وذلك ببلدية برج الطهر لقد تألمت كثيرا لحال المواطنين وخاصة الأطفال والنساء وبطون خاوية وملابس رثة وقد شعر الأخ سي رابح بحالي فقال

لي: هون عليك إنهم يدفعون ثمن الحرية فقلت ومع كل هذا يتشدق الأوربيون بأنهم رسل حضارة تبا لهم ولحضارتهم، قسما بالله أننا لن نمل الكفاح، لن نلقي السلاح، لن تزعجنا الجراح، ولن نرتاح حتى نطهر هذا الوجود من العدو الحقود، ومن الفرنسيين الكفار، من جيشهم المشرار من كل أعداء الدار.

آه ليتنا أكثر قوة منهم ليتنا مسلحين مثلهم، فنذيقهم العذاب ونحرقهم مثلما يحرقون شعبنا بالنار ونرد ثأراً اليوم والأمس بكل قوة وبأس، تعجب الأخ سي رابح من كلامي وقال: يا بني نحن كذلك وإنني متيقن بالنصر وأننا أقوى منهم بالإيمان وبالحق والله على ما أقول شهيد.

جولة تفقدية:

– بعد إجتماع مشتى الجراح، وبعد هجوم الأعداء، عدنا إلى مركزنا بمشتى المرج وبعد إستراحتنا عدة أيام قام الأخ سي رابح بجولة تفقدية في ربوع ناحيته وكنت ضمن الجنود الذين رافقوه في هذه الجولة فاتجهنا غربا نحو مشتى الجراح فوجدناها مخربة تماما وأعطى سي رابح التوجيهات اللازمة لمسؤولي الدوار وألح على أن تعود الأمور لمجاريها وذلك ببناء الأكواخ وإستغلال الأرض والأشجار المثمرة والتزام الحذر ثم اتجهنا نحو الشمال حيث يوجد دوار أولاد جامع وكان في حالة اقتصادية جيدة نسبيا ولم يقم الأعداء بأي تخريب فيه، ثم غادرناه في اتجاه الشرق مارين بمشتى – قياطين – البديعة الجمال والغنية بالخضر والثمار وازدهار المتاجر نظراً لكونها تقع على الطريق المعبد الذي يصلها بمدينة القل ومنها إتجهنا إلى مشتى بوزعرور ثم قطعنا الطريق الرابط للقل بتمالوس ليلا ثم صعدنا جبلاً عالياً حتى بلغنا مكاناً يسمى (الزويت) وبه كان ضريح تذبح له الذبائح قبل الثورة، ثم غادرناه نحو سهول سكيكدة وحدائقها الغناء بالخضر والفواكه والتي كانت كلها بيد الكولون، ثم إتجهنا إلى جبل العالية المشرفة على مدينة سكيكدة شرقا وعزابة شمالا، وإتصلنا في كل هذه الرحلة بفرق من جيش التحرير الوطني وبلجان الدواوير، وكل هيئة يعقد لها اجتماع، تبلغ فيه الأوامر والتوجيهات ثم عدنا غربا مارين حذو الحروش وسيدي مزغيش وتمالوس الرابضة على نهر تجاوره سهول بين الوديان وبورطل وعين الرويبح وكلها تشتهر بتربية الأبقار والأغنام وزراعة الخضر والفواكه ووصلنا إلى مركزنا المعتاد بالجبل، بدوار بني زيد ومشتى المرج خاصة، وتعرفت في هذه الجولة على العديد من المجاهدين والمسؤولين ومنهم الإخوة:

سي السعيد حمروش، وسي صالح بوجمعة، وسي إبراهيم شيبوط، وسي رمضان وديبون وغيرهم وكل هؤلاء ما يزالون على قيد الحياة، كما سعدت بلقاء السيد محمد بلعشية من جديد في نواحي القل والمعروف بشعبيته الواسعة، فهو الأب والأخ والأم للمجاهد وللمواطن، وهو الواسع الأمل والسخي اليد والجيب والقول، وهو المجتهد الذي لا يصعب عليه حلأي مشكل يصادفه أو يصادف غيره ومن نعم الله أنه ما يزال حيا وما يزال بطبعه الذي فطره الله عليه كما تعرفت في نفس المكان بالأخ بوهجة حسين القائد العسكري المحنك المحدود المعارف إلا في ضرب العسكر فله باع طويل في الميدان، وكل هؤلاء ما يزالون أحياء يرزقون.

بعد عودتنا للمركز، كتبت تقريراً شاملا عن الناحية، إستناداً إلى الاجتماعات والملاحظات التي تمت في هذه الجولة، كتبت التقرير في جو هادئ دافئ حيث كنا في فصل الصيف، وأستطيع تلخيص هذا التقرير فيما يلي:-

- جيش يتمتع بروح قتالية، بإمكاننا نصب الكمائن وتنظيم الهجومات.
- شعب مقبل على التجنيد، بالإمكان تكثيف إرسال القوات لتونس لجلب السلاح.
- تموين الجيش مرض وكاف.
- اقتصاديات الشعب مزدهرة بالسهول وضعيفة بالجبال.
- نشاط العدو محدود.
- خطة العدو في الحصار الإقتصادي غير ناجحة.
- الكولون غير راضين عن نشاط عساكرهم.
- تمويل الثورة عادي ويشتمل على الإشتراكات والهدايا والغنائم والزكاة.
- الحالة الطبية جيدة والتكوين متواصل " ويشرف عليه الدكتور خان، (وقد سافر لتونس أثناء تكوين الحكومة في الخارج) وبه مجموعة من الفتيات القادمات من المدن مثل:
- مليكة زيزة – خيرة زروقي –مريم بوعتورة – وسديرة رشيد – وكل هؤلاء إستشهدوا فيما بعد كذلك بلامي خضراء وحورية مصطفاي وغيرهن مازلن على قيد الحياة.
- إعتماد الجيش على نفسه في إنشاء مراكز له بالجبال والتقليل من المبيت في منازل الشعب.

وبعد مدة بدأت قوافل السلاح ترسل لتونس، بقيادة أحد المسؤولين العسكريين وكانت ترسل بلا سلاح يذكر وتعود مدججة بالسلاح، وكان مسؤول الولاية الثانية (2) بتونس هو السيد محجوب (العيفة عبد القادر) فهو المستقبل للقوافل والمسلح لها والمعيد لها، وتوالت الأيام وحل فصل الخريف بأمطاره الثقيلة فأوقفت إلى حد كبير هجمات العدو الجوية وسهلت كثيراً تحركات وحداتنا القتالية فهاجمت مراكز زقار والولوج والكركرة والزيتونة وطرس وقنواع وخط سكيكدة الحروش وسكيكدة عزابة وغنم جيشنا غنائم هامة من السلاح ومن التموين وعد فصل الخريف فصلاً رائعاً بالنسبة لجيشنا، وفي هذا الفصل أيضا حل بناحيتنا السيد عبد القادر شندرلي مصور سنمائي، وقد التقط عدة صور بهذه الناحية لجيشنا ونشاطاته، ولتخريبات العدو، ولكنه لم يستطع البقاء معنا لمدة طويلة بل إنه ذهب إلى تونس مع إحدى

القوافل، وعلمت في هذا الفصل أن قائد الولاية سي عبد الله بن طبال قد ذهب لتونس، وفرحت كثيراً لذهابه لسبب واحد فقط هو ما يلي:

لقد لامني وزملائي يوم أتينا من تونس وقال لنا: أن من يريد الكفاح عليه أن يدخل لأرض الكفاح، وهو اليوم يغادر أرض الكفاح، وإستنتجت من ذهابه أن قادة الثورة لهم رأي صريح في ضرورة تقوية تمثيلهم في الخارج ولولا ذلك لما ذهب للخارج أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ وغيرهم من المسؤولين الأوائل عن الثورة والمعروف منهم إذ ذاك هم:

– بن طبال – كريم بلقاسم – دحلب – عبان – بن خدة – بن يوسف – أوعمران [1]

ولم يعد أي من هؤلاء إلى الجزائر إلا بعد الإستقلال، وبعد ذهاب السيد بن طبال خلفه على رأس الولاية علي كافي الذي ذهب هو بدوره إلى تونس في شتاء 57–1985 ثم عاد في ربيع 58 ثم ذهب مع كل مسؤولي ولايات الوطن إلى تونس في مارس 1959 بطلب من الحكومة المؤقتة ولم يعد للجزائر إلا بعد الإستقلال وخلفه في قيادة الولاية الثانية الأخ سي صالح بوبنيدر المدعو بحق (صوت العرب) الذي يعتبر من القادة الذين لم يغادروا الوطن من بداية الثورة إلى نهايتها، ويعتبر في نظري ركيزة أساسية للثورة في الولاية الثانية، لقد قادها بروح ثورية شعبية خارقة، وحافظ على سير النظام بها سيراً بعيداً كل البعد عن الخلافات والمجادلات العقيمة ولم تعرف الولاية في عهده أي أزمة.

وفي شتاء هذه السنة فوجئت ذات أمسية بأمر من الأخ سي رابح الذي كان في مشتى حجر مفروش مع قادة الولاية يدعوني فيه إلى اللحاق به في الحين فذهبت إليه مسرعاً وكنت معتقداً بأنه سيكلفني بعمل ما كعادته ولكني وجدت الأمر غير ذلك لقد وجدت شابا وسيم الطلعة قوي البنية يستقبلني مع الأخ سي رابح، إنه أخي صالح القادم من قسنطينة والذي لم أعرفه في البداية لأني لم أره مدة خمس سنوات لقد تطور – كبر – إنه ليس ذلك الطفل الوديع السابق، إنه الشاب الثائر الحالي الذي أراه أمامي، لم أملك عواطفي قبلته في سكوت وسالت عيناي دون إذن مني، تنفست الصعداء، وإستعدت قوتي وتمالكت نفسي

[1]– تأكدت فيما بعد أن أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ هم: كريم بلقاسي+بن يوسف بن خدة – سعد دحلب – عبان رمضان أما مسؤولهم العربي بن مهيدي فقد استشهد بعد أسره في العاصمة يوم 4 مارس57 وقرر هؤلاء الأعضاء الذهاب لتونس وسافروا عبر الولاية 2 ومعهم عمر أوعمران قائد الولاية الرابعة وبن طبال قائد الولاية 2 وذلك في شهر جوان 57 وصحبهم فوج من جنود الولاية 2 بقيادة اليزيد بوبريم وما يزال حيا يرزق وقد عاد للجزائر بعد وصول هؤلاء القادة لتونس.

وأشار لنا سي رابح بالخروج من الدار التي كان بها لنتكلم بحرية حضنته أمطرته بالأسئلة عن العائلة عن الأم إلى آخر طفل ولد بعدي كيف حال الجميع؟ أجابني عن أسئلتي، ثم وصف لي مدينة قسنطينة وحَيِّنَا باردو وسكانه وأعتبر كل شيء فيها عادي واعتبرت ما وصف لي جحيم في جحيم، مركز التعذيب في حي أمزيان، والحامة، تسييج الشوارع، تفتيش المارين غزوات ليلية لعساكر العدو- بحث- استنطاق- إهانات- تعديات- قتل- سجن- تكثيف عدد الشرطة الظاهرة والسرية- تنوع العساكر- اليد الحمراء- النظام الثوري- مناضلون- فدائيون- مناضلات فدائيات- شعب الجميع في هلع- النظامي في يقظة تامة والمواطن في خوف ورعب دائمين لا أحد يدري ما يأتي به الغد، ولكن الجميع مقتنعون أن النصر آت لا ريب فيه.

- مكثت الليلة كلها في هذا المركز وشفيت غليلي من الحرمان الذي أعيشه من عطف العائلة وسماع أخبارها، وفي الغد صرت مرشدا لأخي أوصيه بالحذر لأن كل غلطة بثمنها وعند حلول الساعة العاشرة أمرني سي رابح بالعودة لمركز المرج مكلفا إياي بإعداد التقارير الشهرية والإستعداد للإجتماع الشهري المقبل وأخبرني بأن أخي سيعين مبدئيا في ناحية قسنطينة وودعت أخي الذي حول فيما بعد إلى ناحية سكيكدة ومنها إلى ناحية قالمة حيث التقيت به فيها بعد الإستقلال، وذهبت إلى مشتى المرج ورأسي مملوء بأخبار عائلتي السارة وغير السارة وأخبار قسنطينة السارة والمزعجة آملا من الله أن يحقق هدفنا المتمثل في استرجاع حرية وإستقلال بلادنا.

ملتقى بوالسبع:

- في ربيع 1958، علمت بأن قائد الولاية علي كافي قد عاد من تونس وأن الأخ سي علاوة بن بعطوش عضو الولاية الذي ذهب معه إلى تونس قد إستشهد في خط موريس المكهرب بالحدود الشرقية وهو عائد للوطن، وقد أحدث إستشهاده هزة عنيفة في أوساط الضباط، وبعد مدة قليلة من وصول قائد الولاية، أخبرنا بالذهاب إلى جبل بوالسبع للمشاركة في اجتماع كبير، وأفادني سي رابح بأن هذا الاجتماع سيشترك فيه أعضاء الولاية والمناطق والنواحي وعلقت على قوله هذا بأن الاجتماع يعتبر مؤتمرا هاما ودخل معي في نقاش حول معنى المؤتمر، وذكرني بمؤتمر الصومام واتفقنا على كون هذا الاجتماع ذي المستوى العالي يسمى ملتقى، وفي هذه الأثناء وفي شهر ماي 1958 حل بمركز ناحيتنا أعضاء ناحية

سكيكدة – القل، عنابة، وقالمة– وكان قائدها هو السيد كحل الراس عبد المجيد وما يزال حيا، وإتجهنا جميعا نحو مكان عقد الملتقى، فإنطلقنا من حجر مفروش إلى أولاد عربي ومنها إلى مشاط ومنه إلى أولاد عواط بعد قطعنا للوادي الكبير ليلاً عبر طريق مشتى أولاد حبابة وكنا حاولنا قطع الوادي مساء ولكننا لم نستطيع نظراً لمفاجأتنا بتحليق طائرات عمودية فوق الوادي، وفي الغد الباكر انطلقنا من أولاد عواط وعندما وصلنا إلى مشتى أولاد معفى دوار بني عائشة فوجئنا برعد قوي إذا بنا نشاهد الجو مملوء بالطائرات تعدى عددها الستين طائرة وهي مقبلة من مطار التلاغمة واعتبرناها متجهة نحونا فتوقفنا عن مشينا وإختبأنا تحت أشجار الزيتون والتين في مشتى أولاد معفي وكلنا لا يعرف هذه الجهة، فإهتدينا بالدليل فارتبك في بادئ الأمر واستعان بمسؤول المشتى وانقسمنا إلى قسمين، قسم إتجه غرباً مع مسؤول المشتى وقسم إتجه شرقاً نحو (تمنجر) وبدأت الطائرات تقنبل بعيدا عنا فأخبرنا الدليل بأنها تقنبل في مكان يسمى بَلْهَادَفْ أو في بُوالسَّبَعْ مكان عقد الملتقى، ولكن الطائرات وسعت دائرة تحليقها حتى شملت كل دوار – ابن فتح وبن عائشة وتمنجر–، وهكذا وجدنا أنفسنا في واد سحيق كثيف الأشجار وبه التقينا بقائد عسكري لتلك الجهة اسمه سي أحمد لعور – ما يزال حيا– وأخبرنا بأنه اشتبك مع فوات للعدو ثم إنسحب نظراً لكثرة قوات العدو وكثرة طيرانه، وأكد لنا بأن الهدف هو إفساد الإجتماع ومشينا معه ومع جنوده، وإتجهنا إلى دوار بني خطاب وفي الغد إنسحب العدو بواسطة الطائرات نوع بنان وعند ذلك اتجهنا نحو مكان الملتقى نحو جبل بوالسبع.

هذا الجبل يقع في دوار بني افتح– ناحية الميلية– ويشرف على مشتى أولاد مسعودة فهو جبل كثيف الأشجار، وبه مستشفى كبير مصنوع من الحطب، لم يصل إليه العدو ولم يكشفه وبهذا المستشفى دارت أشغال الملتقى لعدة أيام، وأشرف على هذا الإجتماع قادة الولاية وهم: علي كافي– صوت العرب– سي الطاهر– سي الحسين أروبيح وأثناء ذلك تعرفت على عدد كبير من الضباط وباختصار كان جدول الإجتماع يحتوي حسبما أذكر على نقاط أساسية هي:

1- دراسة الحالة العامة للثورة بالولاية.
2- مشكل التموين بالسلاح بعد إستفحال أمر الخط السلكي المكهرب والملغم.
3- نظرة على نجاح الثورة في الحفل الدولي بإعتبار أن قادتها كانوا في الخارج.

4- إعادة تنظيم الهيكل النظامي.

5- إعادة التنظيم الإقليمي للولاية.

6- تنظيم وتقوية وسائل الكفاح – تموين- مراكز- تكوين- إعلام- مواصلات.

7- تنظيم الشعب من جديد بواسطة المجالس الشعبية ومختلف اللجان.

8- تقوية نظام الفداء بالمدن.

9- تكثيف الإتصال بالجالية الأوربية ببلادنا.

10- التنظيم الإقتصادي للمزارع التي فر الأوربيون منها.

استمر الملتقى عدة أيام وعلمت وأنا في الملتقى بأن هذا الهجوم المباغت للعدو على المكان المعد للملتقى بالضبط لابد أن يكون قد حدث إما نتيجة لتكهنات العدو بأن الإخوة الذين قدموا من تونس قد وصلوا إلى هذه الناحية وإما نتيجة لوشاية – بيعة- وعلمت أيضا أن الخسائر التي وقعت اقتصرت على إستشهاد عدد من المواطنين (لم أعرف عددهم) وعلى تخريب عدة ديار من مشتى أولاد مسعودة.

أما المفاجأة الكبرى بالنسبة لي فهي نقلي المفاجئ من ناحية سكيكدة إلى الكتابة العامة للولاية، وأخبرني بهذا التعيين الأخ سي رابح عندما هم بالعودة إلى ناحيته وأمرني بتسليم محفظة الظهر إلى أحد مرافقيه بما فيها من وثائق تهم ناحيته وعندما حاولت الإعتراض قال: يا بني الثورة هي الثورة، والأمر هو الأمر- ومع السلامة وإلى اللقاء، تعانقنا طويلا وسلمني علبة دخان بصطوس وتم الفراق.

وفي الغد وجدت نفسي مع مجموعة عما جديدة تتكون من شبان مثقفين وجنود للحراسة، وبعد الزوال حملنا مجموعة كبيرة من الوثائق ووسائل الكتابة والنسخ والإرسال على ظهورنا وعلى ظهر بغل يسمى ميمون واتجهنا نحو مركز خاص بنا في مكان يسمى تَسِّرَا، واقع خلف المشتى التي تحمل هذا الاسم وكله أدغال وبه وجدنا أكواخا حطبية مخفية تحت الأشجار وبها بدأنا نشاطنا وكلفت أنا وزميلي "سي حسن لعور" والمجاهد "عمي البشير" بحفر مخبأ تحت الأرض (كازما) لخزن وسائل العمل واستخراج ما نحتاج إليه، إنه عمل شاق ومسؤولية أشق إن صح التعبير.

وتتكون هذه المجموعة من عدة عناصر وإستمرت في نشاطها بهذه الأماكن من ماي 1959 حيث حلت هذه المجموعة إثر هجوم العدو وبدئه في عملية الأحجار الكريمة بالولاية 2 (مخطط ت ل).

وهذه العناصر هي:

- سي عمار شطايبي إستشهد فيما بعد: من وادي الزناتي.
- سي محمد رايس ما يزال حيا: من القل.
- سي محمد حمايتي – البسكري– ما يزال حيا من بسكرة.
- سي السعيد – قليل– إستشهد– من الميلية.
- سي الصادق دماغ – حشحوش– إستشهد في نوفمبر 59 من قسنطينة.
- سي عبد القادر شرين – أسر في نوفمبر 59 من جيجل.
- سي حسن لعور – ما يزال حيا– من سكيكدة.
- سي محمد الطاهر عجالي– ما يزال حيا– من قسنطينة.
- سي مصطفى خلف الله – ما يزال حيا– من قسنطينة.
- سي بوالطمين جودي لخضر – ما يزال حيا– من برج الطهر.

*فرقة اللاسلكي:

- سي زهير رحال– عبد الصمد– إستشهد– جزائري مستوطن في المغرب وأتى من تونس.
- سي عبد القادر وحيد: إستشهد جزائري مستوطن في المغرب وأتى من تونس.
- سي يوسف أبركان ما يزال حيا من جيجل.

وكان يشرف على هؤلاء جميعا عضو الولاية السياسي "سي حسين أرويبح" بين حين وآخر، وقد إستشهد في 12/09 عام 1960، أما المسؤول الدائم هو الأخ "سي عمار شطايبي" الذي يعتبر من المجاهدين الأوائل وهو مثقف ثقافة واسعة باللغة العربية وكان عملنا كله يكتب باللغتين العربية والفرنسية، وطيلة هذه المدة لم نغادر دوار بني افتح ناحية الميلية وكانت لنا به ثلاثة مراكز هي: رأس مسعودة– تَسِرَّا مُشَّاوَنْ. ودوار أولاد عسكر بناحية الطاهير ولنا به مركزان:هما: المنازل– الزويتنة– وكنا نعيش في عزلة تامة عن الجيش والشعب معاً، ولا يسمح لنا بالذهاب إلى المشاتي إلا فرادى ويمنع علينا الحديث في

عملنا وأين نوجد ومع أي شخص كان، وكان كل واحد منا يذهب إلى المشتى يفتخر علينا لقد رأيت اليوم إمرأة، أو اثنين أو ثلاثة.

أما ظروف العمل فكانت جيدة للغاية، فالوسائل متوفرة كالأقلام والأوراق وآلات الطبع والساحبات، والأمن متوفر، فالعدو لم يتجرأ على الوصول لهذه الجهة المحررة من ماي 1958 إلى نوفمبر 1959، ولا تزعجنا إلا طائراته التي تحلق فوق الجهة بين حين وآخر فتقنبل على غير هدى وتطلق نوعا من السائل في شكل بيضات تنفجر عندما تكون الشمس حارة وينتج عن سيلانها إشتعال النيران ولكن المجاهدين والشعب يبطلون مفعولها ووضعها في دلو ماء ثم ثقبها وخلط سائلها بالتراب ودفنه في أعماق الأرض، كما كان معنا فوج من المجاهدين للحراسة ونقل البريد وإعداد الأكل وكنا نشترك معهم في إعداد الطبخ والقيام بالحراسة، كما كان لنا جهاز راديو بالإضافة إلى جهاز اللاسلكي، فالأول لإلتقاط الأخبار والتسلية والثاني للإتصال بالخارج أي بلجنة التنسيق والتنفيذ ثم بالحكومة المؤقتة.

وكانت أخبار الولاية ونشاط كل هياكلها تصلنا تباعا، وكنا نوحدها ونخبر بها القيادة في الخارج، كما كنا نستقبل رسائل من القيادة وكان لمصلحة اللاسلكي دفتر خاص به قسمان قسم الصادرات وقسم الواردات وبالإضافة إلى هذا العمل اليومي كنا نقوم تحت إشراف القيادة العامة للولاية بإعداد المناشير– والمجلة والكتيبات الدورية المعالجة لكل نشاطات الثورة وتبيان مهام كل هيئة وحقوق وواجبات كل عنصر وبرامج العمل إلخ...

توسعت الولاية في هذه الفترة وصارت مقسمة إلى خمسة مناطق هي:

*المنطقة الأولى وتشمل الدوائر الحالية– جيجل الطاهير– العين الكبيرة– العلمة– ميلة– فرجيوة– جزء من مدينة سطيف.

*المنطقة الثانية وتشمل: الميلية– القرارم– العثمانية– عين سمارة– عين اعبيد– الخروب– .....

*المنطقة الثالثة: وتشمل سكيكدة – القل– الحروش– عزابة.

*المنطقة الرابعة: وتشمل عنابة– قالمة – وادي الزناتي.

*المنطقة الخامسة: وتشمل مدينة قسنطينة وحدها.

ومما يلاحظ في هذه الفترة أن الوضع الثوري بالولاية حافظ على توازنه وعلى إنتعاشه الإقتصادي والأمني رغم توقيف قوافل السلاح التي كانت تذهب لتونس كما قَلَّتْ لحد كبير

هجومات العدو وبالتالي إنخفض عدد الشهداء والضحايا المدنيين وإتجهت قيادة الولاية إلى العناية بالتكوين والتربية والتعليم، فإنتشرت المدارس– الكتاتيب القرآنية– وتكررك مراكز تدريب المجاهدين وأهمها على الإطلاق مدرسة "زيغود يوسف".

مدرسة زيغود يوسف لتكوين الإطارات

عندما كنا متمركزين مع قيادة الولاية في مشارف مشتى الزويتنة بدوار أولاد عسكر بناحية الطاهير كونت الولاية أول مدرسة من نوعها في الولاية ولربما في الجزائر الثورية كلها لتكوين الإطارات وخاصة قادة الفرق وأعضاء النواحي والأقسام العسكريين منهم والسياسيين وأنشأتها بالضبط في مشارف مشتى " أولاد علوة" بجبل مغطى كله بشجر الفلين والبلوط ومختلف النباتات وجعلت لها برنامجا دراسيا يستجيب لمعطيات المرحلة التي وصلت إليها الثورة من التنظيم ولمتطلبات المرحلة القادمة التي تجابه بها " مخطط شال" وقد إختارت قيادة الولاية هيأة خاصة للتدريس بها، ومن أشهرهم الإخوة سي السعيد بن طبال وحسن الشيخ (إستشهد في نوفمبر 1960) وأحد الضباط الذين فروا من معسكر فرنسا والتحقوا بصفوف الثورة وهم اليوطنا معمر غانم وهو ابن "كابتان" متقاعد من عسكر فرنسا حسبما صرح لنا بذلك، وهو من وهران وفر من قسنطينة.

بدأت المدرسة تشتغل، وذات يوم أخبرتني القيادة بأنها عينتني للعمل في هذه المدرسة والمتمة التي أقوم بها هي تدريس تاريخ الجزائر العام بما فيه الحروب والثورات الجزائرية منذ الإحتلال الأجنبي ثم التاريخ العربي بوجه عام وثورات التحرير في العالم كثورة قبرص وكوبا والفيتنام وغيرها والتكتلات الدولية والهيآت والمنظمات العالمية والأحلاف العسكرية وغير ذلك مما يتعلق بالسياسة العامة وأمرتني القيادة بأن أذهب لإعطاء الدروس ثم أعود كل مساء لمقر الولاية نظراً لقرب المدرسة من مقر الولاية، وهكذا بدأت عملي في هذه المدرسة التي كانت مفخرة للولاية، الثانية وتخرج منها عدة أفواج، ولكن سرعان ما صرنا نتعرض لهجومات متكررة من طرف طيران العدو، وأدت هذه الهجومات إلى إشتغال كبير سواء في وسط المجاهدين المتدربين أو هيئة التدريب أو الولاية خاصة وأن العمل بها يجري في سرية تامة، وكل المتخرجين منها لم يأسر العدو أي منهم فكيف علم العدو بها ولماذا يقنبلها ولم يهجم عليها بعساكره.

– لم تتردد الولاية في إغلاقها وذهب كل من كان بها إلى المكان الذي عين فيه، ولم تطل المدة حتى علمت وعلم رفاقي أن السبب كان كامنا في الضابط الذي التحق بصفوفنا "ليوطنا معمر" المذكور آنفا وأنه كان مبعوثا من طرف الأعداء بهدف خبيث من طرف الأعداء بهدف خبيث هو إحداث خطر بالثورة وأن له من يساعدونه في خيانته وكانوا ثلاثة مدنيين وهم معروفون لدينا وكانوا يسافرون للمدن ويعدون منها ولهم رخص من طرف العدو بذلك، وقد حاكمتهم الولاية ونفذت فيهم حكم الإعدام.

– ومن أغرب ما سمعت أن "ليوطنا الخائن" اتهم في بحثه كل هيئة التدريس وكل كتاب الولاية، وأراد بذلك إحداث خسارة كبرى في صفوف الثورة وأكثر من ذلك أنه اتهم أول ممرضة (ممرضة بشهادة) بالولاية وكانت مسؤولة طبية ومسؤولة مستشفى بمشارف مشتى أولاد عربي وكل المجاهدين الذين كانوا يجرحون في التدريب بالمدرسة يعالجون عندها وهي "الأخت يمينة شراد".

– وهكذا كانت القيادة في المستوى ولم تنطل عليها حيلة الخونة وأنهت المشكل دون أن تحدث أي هرج أو قلق، داخل صفوفنا.

كنت سعيداً جداً بعملي في هذه المدرسة الفريدة من نوعها ووجدت الفرصة عظيمة لكي أربط الماضي بالحاضر وكي نسير بشبابنا الثائر نحو المستقبل، وكيف لا وأنا أتوسط فرقا مسلحة من مجاهدينا والكل في إهتمام كبير لمعرفة معنى الجهاد قديما، وحديثا ومعنى الإستشهاد ومعنى الواجب المقدس، ومعنى "الجهاد في سبيل الله"، وأسأل هذا الأخ وذاك عن المعاني الشريفة لكل هذه العناصر التي كانت إحدى دروسي الأولى في مدرستنا الثورية، وأجيب هذا الأخ وذاك وأفهم الجميع بأن الجهاد كفاح للنفس وكبحها عن جميع المحرمات أولا ومن هذا اقتبس وضع القانون الداخلي لجيش التحرير الوطني الذي نخضع له جميعا ثم الكفاح في سبيل الله وسبيل الله يتمثل في الدفاع عن عقيدتنا الإسلامية ومنع أي أحد من المساس بها ثم الدفاع عن اللغة العربية بإعتبارها أرضا إسلامية ثم الدفاع عن شعبنا المسلم العربي الجزائري كي مكون حرا مستقلا وإذا كان كذلك وهذا الهدف من كفاحنا وجهادنا فإنه يستطيع أن يستعيد المسجد الذي حوله المحتلون إلى كنائس وبيع وثكنات ومحلات تجارية ويستطيع أن يستعيد لغة القرآن حتى تصير لغة المسجد والمدرسة والإدارة كما هي حاليا لغة الشعب، ويستطيع أن يصون كرم وشرف المرأة والرجل على السواء وأجيب بأن كل من

إستشهد دون شرفه أو ماله أو دون دينه دخل الجنة وأوكد بأن الرسول الأكرم صلى اله عليه وسلم قال: معنى هذا القول.

–وألفت نظر الجميع بأن جهادنا اليوم أخلص حتى من جهاد المسلمين في بعض فترات جهادهم ذلك أنهم كانوا يقتسمون الغنائم أما نحن فلا نقتسم ذلك، بل كل شيء يدخل لخزينة الثورة وهي تنفقه على الصالح العام للثورة ولا توزعه على أفراد الجيش وأكثر من هذا إننا جميعا متفرغين للجهاد وليس لأحد منا الحق في التوقف عنه.

– أما معنى التقديس فهو الاحترام الكلي، الإخلاص التام والتفاني المطلق والعمل الدائم في سبيل ما نحترمه ونعزه وهو وطننا بما فيه ومن فيه، من دين إسلامي ولغة القرآن وشعب عربي مسلم وخيرات وكنوز.

ما أسعدني والجميع يحفظ قوله تعالى:" إن تنصر الله ينصركم ويثبت أقدامكم" وما أسعدني والجميع يقول بأنه "خالد بن الوليد" عندما سمعوا مني درسا عنه وبعد أن حفظوا قوله التاريخي العظيم " قاتلت وأقاتل وما زلت أقاتل لا لدنيا أصيبها ولا لإمرأة أنكحها وإنما ابتغاء وجه الله".

– وما أسعدني والجميع صار يحفظ قول الأمير عبد القادر:

عدونا ما له ملجأ ولا وزر وعندنا عاديات السيف والظفر

– وقول الإمام ابن باديس:

هذا نظام حياتنا بالنور خط و باللهب

من كان يبغي ودنا فعلى الكرامة والرحب

أو كان يبغي ذلنا فله المهانة والحرب

– وشعار جمعية العلماء: الجزائر وطننا، والعربية لغتنا، والإسلام ديننا.

– وما أسعدني والجميع صار يعرف كيف كانت الجزائر، وكيف صارت وكيف ستصير؟ وكيف اقتسم الغرب الأوربي الاستعماري البلاد العربية والبلاد الإسلامية، وكيف باع الإنجليز فلسطين العربية للصهاينة، وكيف حررت العراق، مصر، سوريا، لبنان، الأردن، الباكستان، أندونيسيا، ليبيا، المغرب، تونس، الكويت، وكيف يعمل بقية العرب على تحرير

بلدانهم في الخليج العربي، فلسطين والصومال، جيبوتي وإيريتريا وكل المسلمين في إفريقيا السوداء.

– وما أسعدني والجميع أصبحوا يكونون فكرة عن التكتلات الدولية في العالم وأن كتلة الشيوعيين تؤازرنا وكتلة دول عدم الانحياز تناصرنا، وكتلة الغرب الأمريكي الإمبريالي تطاردنا وهذه الكتلة الثالثة الأمريكية– الأوربية– لها حلفها الأطلسي الذي يشترك بصورة مباشرة في محاربتنا عن طريق تزويد عدوتنا فرنسا بسلاحه وذخائره وتدبيره وإعلامه وديبلوماسيته.

وما أسعدني أخيرا والجميع صار يعرف بأنه ليس وحده في الميدان الثوري التحرري، وأن ظلم الغرب لم يسلط عليه وحده، وأنه يكافح ويجاهد من أجل نصرة الحق والمبادئ الإنسانية والإسلامية وقهر الظلم والظالمين والكل يبارك جهاده، وكفاحه سواء في ذلك شعبنا أو مقدساتنا أو الشعوب المحبة للحرية والعدالة والسلام.

وهكذا كنت مرتاحا بكوني شاركت بقدر ما إستطعت في تنوير عقول مجاهدينا الأمجاد السائرين في طريق الجهاد فمنهم من إستشهد ومنهم من بقي على قيد الحياة ليشارك في مهام التشييد الوطني أمل الأمس وحقيقة اليوم.

والجدير بالذكر أنني رقيت في هذه الفترة من جندي أول إلى عريف وبذلك ارتفع رابي الشهري إلى مبلغ 15دج (1500 فرنك آنذاك).

صيف عام 1959:

– واصلنا عملنا الكتابي كالسابق في جو من الوفاء والمحبة والود والأمن ولا تقلقنا إلا طائرات العدو بين الحين والآخر بهجوماتها وقنبلتها بجميع أنواع القنابل والأخبار التي نلتقطها عن سير العمليات الجهنمية الضخمة التي حقق بها رجل إنقاذ فرنسا الوارد إلى حكمها بعد حركة 13 ماي المأسوية وأمل المنادين بهم إلى الحكم وفي مقدمتهم قائد القوات المسلحة الفرنسية في الجزائر الجنرال الآثم "سالان" وكل اللصوص الذين كانوا ينهبون ويسلبون خيرات الجزائر، ويتشدقون بأن الجزائر فرنسية.

نعم لقد تتبعنا بإهتمام كبير سير العمليات الإبادية الخاضعة لمخطط شال ولم تكن الإتصالات بيننا وبين كل ولايات الوطن متيسرة، لذلك كنا نلتقط الأخبار من إذاعة صوت العرب وصوت الجزائر وغيرهما من الإذاعات العربية والعالمية، وكنت أضيق ذرعا بالأخبار

التي تذيعها إذاعة (مونتي كارلو) وكنت أعارض بعض زملائي الذين يسمعونها بإستمرار وكنت أقول لهم إن هذه الإذاعة تكن لنا عداء كبير وليس للجزائر فقط بل لكل ما هو عربي مسلم وأنها عنصرية وبالفعل فإنها والحقيقة لا يلتقيان، فإذا هاجمنا قالت هوجمنا، وإذا خسرنا قالت حل الفناء بنا وكان هذا دوما منطقها أما تعاليقها فكانت عنصرية سخيفة والخسارة للعرب شعارها الدائم وألها أن لا يحقق العرب والمسلمون أي نصر ولكن الله كان دائما رحيما بعباده المجاهدين المخلصين فيفضحها ويخيب آمالها ورجاءها، وتتبعنا أخبار "مخطط شال" الذي أقر من منطلق عدواني آثم وهو جعل المناطق المحرمة على الأعداء محرمة علينا نحن وعزل شعبنا عن جيشنا، كما تم لهم عزل داخل الجزائر عن الخارج أي عن جارتيها. تونس والمغرب بواسطة الأسلاك الملغمة والمكهربة، ثم إعادة الأمل للدخلاء الذين لم يقنعوا بإستغلال الجزائر لمدة تزيد عن القرن وربع القرن.

وهكذا بدأ العدو أولى عملياته بالولاية الخامسة التي كانت تحت قيادة الأخ لطفي، إستشهد فيما بعد والتي جند لهما 40 ألف عسكري وسماها بعملية "التاج" وظن العدو أنه ربح تاج الغرب الجزائري ولكن التاج بقي لأحفاد الأمير عبد القادر، بقيادة الأخ العقيد لطفي وإخوانه المجاهدين ثم إنتقل العدو إلى الولاية الرابعة التي كانت بقيادة الأخ "سي امحمد" وسماها بعملية "الحزام" ولكن حزامه كان حول عنق عساكره لا حول جيشنا وظن أنه أطفأ نار الثورة بها، ولكن أحفاد بومزراق بقوا حاملين شعلة الثورة بها، بعد استشهاد البطل سي امحمد في 5 ماي 1959، ورغم العشرين ألف عسكري التي استعملها.

– ثم إنتقل العدو إلى موطن لقاء الولايات الثلاث، الأولى والثانية والسادسة وذلك بجبال الحضنة وسماها بإسم "الشرارة" وجند لها ما يزيد عن 20 ألف مسلح، فعاث وعبث، بما شاء من المواطنين وبما شاء من خيرات البلاد وظن بأنه طهر "حسب دعواه" الولاية السادسة من الفلاقة. ولكن الثوار بقوا يقاومون ببسالة مستعملين في ذلك طريقة الكر والفر.

– ثم إنتقل بعد ذلك إلى الولاية الثالثة وسمى عملياته الإجرامية بها باسم "المنظار الكبير" ونظراً لصلابة عودها وكثرة جبالها ووهادها فقد جند لها حوالي 70 ألف عسكري وكانت الولاية تحت قيادة الأخ عبد الرحمان ميرة الذي خلف الشهيد عميروش والذي قدم إليها من تونس في أفريل 1959 وقد طالت مدة هذه العمليات وكثرت المعارك كما كثرت الحرائق بالجبال والتخريب للديار وقد دامت من أواخر شهر جويلية إلى آخر أكتوبر 1959

وقد صرح الجنرال شال نجم عسكر الجنرال " دوقول" وصاحب هذه العمليات بقوله: "أن الثوار كالزئبق لا نكاد نمسك بهم حتى نجد أنفسنا لم نمسك بأي شيء".

– وهكذا ورغم حرب الإبادة التي شنها العدو على الولاية الثالثة فإن النصر بقى لرفاق عميروش وخلفائه وخلفاء ورفاق عبد الرحمن ميرة الذي إستشهد يوم 7 نوفمبر 1959.

– وهكذا تتبعنا إجرام العدو، وهكذا إنتهى صيف عام 1959 وقد تأكدنا من خيبة العدو في أمله الكبير وهو القضاء النهائي على الثورة الجزائرية.

أما بولاية الأوراس فقد تزامن تطبيق مخطط شال الجهنمي بها مع تطبيقه بالولاية الثانية وذلك خلال عامي 60و61. وقد مهد العدو لنشاطه العدواني بالأوراس، بعقد عدة إجتماعات في كل من سطيف وباتنة وخنشلة وعين البيضاء وتبسة في السداسي الأول من عام 1960، ثم شرع في عملياته الجهنمية التي حصرها في سبع عمليات كبرى هي :

– عملية بازدكير بتبسة وعملية تريدان في فيفري1961.
– عملية فلاميش بالحضنة في جوان1960.
– عملية آزياج في الأوراس بالذات في أكتوبر 1960.
– عمليات مروانة والرفاعة في نوفمبر 1960.
– عملية دردوني شمال الولاية في فيفري 1961.
– عملية مروانة جنوب سطيف في أفريل1961.

وإستعمل الأعداء في كل هذه العمليات كل ما لديهم من قوات برية وجوية وعمدوا إلى تطبيق السياسة الديغولية في الجزائر وهي الحرق والهدم لكل ما يمكن للثوار وشعبهم الإستفادة منه، فلم تسلم من شره لا الديار ولا الثمار ولا المواطنين، بحيث ملأ العدو الولاية بمراكز التجمع الإجباري وبمراكز البحث والاستنطاق والتعذيب والقتل، لكن كل هذا الإجرام في حق المواطنين وفي حق الأرض والزرع والضرع لم يزد الثورة إلا إشتعالا ولم يزد الشعب إلا ارتباطا وتلاحما بالثورة والثوار، واستطاعت ولاية الأوراس أن تخرج ظافرة من هجمات العدو بفضل الإجراءات الثورية التي طبقتها الولاية في مواجهة المحتلين ومنها تكثيف عمليات الفداء وعمليات الكمين وعمليات التخريب وتكثيف ميدان الإستعلامات والأخبار ودحض دعايات العدو ودسائسه، وإنتهت عمليات العدو ولم تنته الثورة بل انتصرت.

– أما بولايتنا فإن الوضع لم يتغير بل إستمر جيشنا ينصب الكمائن ويتعقب غلاة "الكولون" ويعدمهم بين الحين والآخر، كما واصل عمليات تخريب " أملاك الدخلاء" ومنشآت العدو الإقتصادية كما واصل الفدائيون عملهم بإنتظام وأن حصيلة أعمال جيشنا خلال العام الأول لعمليات (خطة شال) لتدعو بالفعل إلى الإعجاب وليس هنا مجال لسردها وأحيل القارئ إلى الإطلاع عليها في مجلدات المجاهد.

– والجدير بالذكر أن الولاية الثانية وهي الخبيرة بشؤون التطورات الحربية وخاصة أهداف مخطط شال قد قامت بإعداد أوامر وتعليمات تتعلق بمقاومة خطة شال وأهمها: تخفيف وحدات جيش التحرير الوطني، وتوفير الإحتياجات وخزنها سواء كانت تموينا أو دواء أو ملابس كما أمرت بإعداد أسلحة الصيد لإستعمالها إذا دعت الحاجة إليها، وأمرت بالإقتصاد في الأكل واللباس والدواء والذخيرة الحربية وإهتمت بوحدات الهندسة المدنية الموكول لها بناء المراكز والمخازن وأوصت بإعداد مخابئ (كازمات)، لاستعمالها من طرف عناصر الثورة في المناطق السهلية القريبة من المدن والقرى بصورة خاصة كما أمرت بالإهتمام أكثر بشبكات الأخبار والمواصلات والمستشفيات إستعداداً لمواجهة العدو لتلك العمليات التي قام بها في الولايات الخامسة والرابعة والسادسة والثالثة.

وفي أواخر أكتوبر علمت من ساعي البريد بأن أخي فرحات قد نقل إلى الناحية الثالثة في المنطقة الأولى وهي ناحية فرجيوة– ميلة– العلمة ويوجد في أولاد علوة فطلبت رخصة لزيارته ومنحت لي وذهبت إليه مساء وجلست معه نحو الساعتين ثم عدت إلى مركزنا القريب من أولاد علوة وهو مركز الزويتنة بدوار أولاد عسكر.

القسم الرابع

من الصفحة 118 إلى 144

- حملات العدو بترابه الولاية
- حل الكتابه العامة للولاية
- تهجير السكان من طرف العدو .
- تعيني من جديد في الهيكل النظامي.
- تدابير جديدة لإحباط مخططات شال العسكري.

خريف عام 1959:

– قبل الاحتفال السنوي بالذكرى الخامسة لثورة فاتح نوفمبر، سنة1945–1959، تواردت إلينا الأخبار بأن العدو قد أكثر من قواته عددا وعدة، وتواردت على كل المراكز قوات ضخمة عن طريق البحر وعن طريق البر، كما كثرت قواته الجوية، وكثرت طائراته الضخمة في المطار المخصص، مطار " التلاغمة" كما كثرت الطائرات الصغيرة الكاشفة منها والضاربة بالمدافع الرشاشة (وبالروكيط) كم كثرت أيضا الطائرات العمودية بكل مراكزه، سواء الناقلة لعساكره من نوع الطائرات العمودية المذكورة "لَنَانْ" أو الضاربة بالمدافع الرشاشة من طراز " لَلُوِيط وسيكور سكي".

وفهمنا من هذه الكثرة غير المعهودة والشاملة لكل عساكر العدو من مشاة وطيارين، ومدفعيين، ومرتزقة أن العدو عازم على القيام بعملياته الإجرامية كتلك التي قام بها في الولايات الأخرى، وتأكدنا انه يريد استعادة مراكزه السابقة التي كان جيش التحرير قد طرد منها منذ عام1957.

– في مثل هذا الجو جرت الإحتفالات بالذكرى الخامسة لإندلاع الثورة المسلحة وذلك بتوجيه منشور لجميع المجاهدين والمناضلين يذكرهم فيها المسؤولون بالمراحل التي قطعتها الثورة والتي ستقطعها ومثنية على بطولاتهم وخاشعة أمام أرواح الشهداء، ومذكرة بحصيلة عام كامل من الأعمال الحربية وداعية إلى مواصلة المعركة حتى تتحرر الجزائر العزيزة وتستعيد حريتها وسيادتها.

– وتم الإحتفال كالعادة بالقيام بعمليات حربية يعتبرونها أجمل تحية يقدمونها لإخوانهم الشهداء كلما حلت هذه الذكرى العزيزة على قلب كل ثائر وهي ذكرى فاتح نوفمبر1954.

– وفي هذه الذكرى الحاسمة للثورة، بدأ العدو عملياته الإجرامية في ولايتنا التي كانت تحت قيادة الأخ صوت العرب "صالح بوبنيدر" وجند لها ما يزيد عن 40ألف عسكري، وأطلق عليها إسم (الأحجار الكريمة) وهكذا بدأت المعارك هنا وهناك، من القالة شرقا إلى خراطة غربا، ومن البحر شمالا إلى السكة الحديدية– سطيف– سوق أهراس جنوبا وكثرت الخسائر من الجانبين وخاصة في وسط شعبنا الأعزل من السلاح، وقد كان العدو لا يبالي بالخسائر التي تلحقه بل يواصل طريقه نحو استعادة المراكز المحررة منه

سابقا، بأي ثمن، ومستعملاً في ذلك كل قواته البرية منها والجوية والبحرية وعند ذلك أمرت قيادة الولاية قواتنا المسلحة بعدم مواجهته والإكتفاء بالضربات الخفيفة القاسية الناجحة، وهكذا تم غنم العديد من الأسلحة، أما العدو فقد كان يعوض خسارته بقتل المدنيين وأسرهم وبالتخريب الكامل لدورهم وبالحرق الكلي لكل ما تقع عليه أعينه الخاسئة من زرع وضرع، بل تعدى إلى أكثر من ذلك، وهو البداية في ترحيل السكان من دواويرهم ومشاتيهم وحشرهم وسجنهم في مراكز قصديرية عفنة بالقرب من مراكزه العسكرية وقد كان عمله الإجرامي هذا ذو تأثير سيء جدا على المواطنين وعلى المجاهدين على السواء، إنه الأسر القاتل والفحش الآثم الذي لا يستطيع أي قلم وصفه، لقد ارتعدت له كل الخلائق البشرية والحيوانية وحتى الشجر لو نطق لقال له: كفى بغياً وفحشاً وفجوراً وتنكيلاً؟ ولكن هل يسمح الوحشي ما يقول ويريد الإنسان؟ لقد فر الشعب كعادته واختبأ في الأدغال والكهوف، وجاع وعطش، ومات وجرح، ولكن يد الإثم والعدوان وصلته أينما حل وارتحل، نظرا لكثرة عدده وعدته وجنوحه إلى إستعمال طريقة جيشنا، وهي المكوث بإستمرار في الجبال وإلى مدة تزيد عن صبر المواطنين الفارين بشرفهم وأقواتهم وأطفالهم وهكذا سقطوا بين أياديه الآثمة.

– فحشرهم في محتشداته الإجبارية محاولة منه القضاء على الثورة، مستفزا فيهم بقوله: أين مجاهديكم؟ لحمايتكم؟ أين محمدكم؟ وكان المجاهدون له بالمرصاد، هنا وهناك فنصرهم الله عليه، وقتلوا منه العديد وغنموا منه السلاح الكثير، وكان ربهم معهم، ينصرهم ما نصروه وكان دينهم لهم الآمر على مواصلة الكفاح والناهي عن إرتكاب المعاصي، وكان محمدهم خير قائد، وخير مثال لهم، والجميع بأفعاله وأقواله يهتدون حتى وصل العدو إلى القول وهو يعذب في أبناء محمد، أبناء العرب، أبناء الجزائر، لا، لن أقتلكم لن أبعثكم إلى الجنة، بل أترككم في الجحيم، جحيم الدنيا، بعد أن يأس من استمالة العرب لجانبه وبعد أن يعجز عن الوصول إلى معرفة مراكز الثوار.

ونظرا لسلوك العدو المشين، وقهره للمواطنين ولكل أسير من المجاهدين أمرت الثورة كل المواطنين بالاعتراف للعدو بأنهم يعرفون المجاهدين وبأنهم يدفعون الإشتراك لهم مجبرين وبأنهم يوجدون في كل مكان.

– إن نشاط جيش التحرير الوطني لم يتوقف، بل واصل هجوماته وواصل نصب كمائنه وإبتعد عن الإشتباكات، وعن حرب المواجهة إلا إذا اضطر لذلك، وأن حصيلة

العمليات الحربية لكل سنة لتملأ صفحات المجاهد المطبوع في ثلاث مجلدات، ولمن يحلو له الإطلاع أن يراجع هذه المجلدات الهامة.

– أما نحن الكتاب الذين كنا في هذه الفترة متمركزين في مركز "الزيتونة" بدوار أولاد عسكر، فقد فوجئنا في صبيحة يوم من أيام الأسبوع الأول لشهر نوفمبر 1959 بهجوم جبار للعدو، بعدد هائل من الطائرات على دوار أولاد عسكر وبني افتح، وقنبل عدة مشاتي كما قنبل مركزنا السابق في جبل "مشاون" ولكنه لم يعرف مركزنا بـ "الزيتونة" ولم يقنبله، ولكننا كما هي العادة خزنا وسائلنا "وسائل الكتابة" بسرعة وتأبطنا أسلحتنا وغادرنا المركز وإتجهنا لقمة الجبل الذي نحن متمركزون في سفحه، وبقينا ننتظر وصول العدو ولكنه لم يصل راجلا، بل مكث في المكان المسمى "بلهادف"القريب جدا من جبل مشاون، والبعيد عنا، وفي المساء وبعد غروب الشمس عدنا لمراكزنا، وفي الليل كان المر الجديد المفاجئ لنا وهو توقيف العمل بالكتابة العامة للولاية.

وفي الغد الباكر تم توزيعنا على مختلف المناطق، فإتجه كل الكتاب شرقاً نحو المنطقة الثانية "الميلية" والثالثة "سكيكدة" والرابعة "عنابة" والخامسة "قسنطينة" ولم يبق إلا أنا وأمرت بالإتجاه نحو المنطقة الأولى. وكانت تشمل على ثلاثة نواحي وهي: الناحية الأولى زيامة منصورية، والعين الكبيرة، والعلمة، والناحية الثانية جيجل، الطاهير، والناحية الثالثة، ميلة، فرجيوة.

كما إتجه إلى نفس المنطقة القائمون بمصلحة اللاسلكي واتجهت نحو المنطقة الأولى، مرافقا للإخوة صوت العرب قائد الولاية وسي الحسين رويبح عضو الولاية السياسي وسي محمد التومي طبيب الولاية اتجهنا غربا مارين بدوار تمزقيدة جنوب جيجل، وبعد أيام قليلة غادرنا صوت العرب متجها نحو منطقة الميلية ومعه الأخ سي محمد التومي وبقيت أحمل كيسا ضخما به عدة ملايين من الفرنكات القديمة وبعض الوثائق في المنطقة الأولى مع الخ سي الحسين رويبح، ونحن ننتقل من مشتى إلى آخر والعدو في حالة جنون، يقنبل هنا وهناك، وينزل عساكره من الجو هنا وهناك، والقتال متواصل والنيران مشتعلة، وفي شهر ديسمبر تمركزنا بجبال السطاح وسيدي صالح وسرح الغول الواقعة على مشارف بلدة بني عزيز جنوب جيجل، ثم تحولنا بمعية الأخ "سي احميدة فريخ" عضو المنطقة الأولى إلى جبل بوحنش، الكثيف الأشجار والقريب من مركز "تكسانة" الذي إستعاده العدو بعد معارك

طاحنة والذي لم يبلغه إلا بعد أن أسس عدة مراكز بينه وبين جيجل، حتى صارت المسافة بينهما وهي 21كلم بها 6 مراكز هي قاوس والدردار وكاف المجاهدين، والغريانة، والسقاطة، وتكسانة.

– وبهذا الجبل ذقت طعم الراحة من جديد، وتعرفت على أخ جديد، وكنت أسمع عنه الكثير، وهو عضو بالمنطقة الأولى وإسمه "سي محمد معيزة" وما إلتقيت به حتى قلت دون ضبط الأعصاب " أ هذا هو "سي محمد معيزة" وإنفجر هو وكل الحاضرين بالضحك قائلين: ما معنى تعجبك؟ قلت سمعت عنه كثيراً وعن خصاله فتصورته غولا ضخما بيد أنه ليس أطول مني إلا ببضع بوصات، ومن ذلك اليوم ازددنا حبا وتقديرا له.

– وفي هذا الجبل تعرفت على الكثير من مجاهدي المنطقة الأولى بعد أن كنت أعرفهم عن طريق أعمالهم البطولية من خلال التقارير التي تصل إلى الولاية كما تعرفت على عدد من ضباط هذه المنطقة ونواحيها ومنهم الإخوة سي الصالح بوالحرت والنمر محمد، وسي محمود بن التونسي وسي السعيد بن طبال، وبوريدح البشير "الأكحل" ورابح بوغنوط وحسن بن الشيخ وبن الناصر البشير "كل هؤلاء إستشهدوا" فما بعد والشيخ أحمد الأشهب وأحمد لعبني وبوكبير أحمد وسي صالح بلخلفة وسي مسعود بونعاس "النية" وغيرهم.

الخبر الأليم :

– في أوائل شهر جانفي من عام 1960، والحرب سجالاً بيننا وبين عدونا الذي وضع جل إمكانياته لمحاربة جيش التحرير بالولاية الثانية وبينما كنت منهمكا في عمل كلفني به عضو الولاية السياسي الأخ سي الحسين رويبح "استشهد في 09 نوفمبر 1960"، وهو تحرير بعض الرسائل وبعض التقارير، ناداني أحد الجنود قائلا: أن الأخ سي احميدة يناديك"وهو عضو المنطقة" وكان مرافقاً للأخ سي الحسين، واتجهت في الحين فوجدتهما جالسين تحت أشجار الفلين "البلوط" بالمكان المسمى "خناق الحوط" قرب تكسانة وبالقرب منهما جمع من المجاهدين، ولم يكن يفصل بيننا وبينهم إلا حوالي 200 متر، وعندما وصلت وقدمت لهما التحية بادرني الأخ سي احميدة بقوله: اجلس يا سي لخضر، فجلست بجانبهما على بساط الطبيعة، منتظرا ماذا سيقول أحدهما لي ولم أكن أتوقع منهما إلا الإستفسار عن العمل الذي كلفت به وهل انتهيت منه، وتكليفي بعمل آخر، ولكن توقعي

كان بعيدا كل البعد عن سبب منادتهما لي، فماذا قال لي الأخ سي احميدة الضحوك الباسم بإستمرار وحتى في أحلك الظروف، لقد مهد للنبأ الذي يريد إنبائي به بأسئلة بسيطة عن عائلتي وماهو نوع القرابة بيني وبين العريف بوالطمين فرحات، فأجبته بسرعة عن أسئلته، ومخبرا إياه بأن العريف فرحات أخي فأطرق ناظراً إلى الأخ سي الحسين بطرف عين كأنه يستأذنه في أمر ما، ثم نطق بقوله: الله أكبر، على كل حال لقد إستشهد عدة مجاهدين قرب تمنتوت ومن ضمنهم أخوك فرحات وكلنا إلى الإستشهاد في سبيل الوطن سائرون، فإندهشت للخبر ولم أستطع أن أنطق بحرف وغبت عن الوجود وصرت أبكم أصم لعدة لحظات لم أدري كم كان زمنها، ولم أدري بشيء، حتى سمعت الأخ سي الحسين يقول: الصبر يا سي لخضر منذ عهد الجدود، ثم ردد عبارته المشهورة " السعيد في هذه الدنيا هو اللي عاش ما كسب ومات ما خلى" وهكذا أخوك فرحات قمت محييا والدموع كانت أقوى من صبري ورافقني بعض الإخوة المجاهدين إلى مكاني السابق والتأثر الشديد باد على محياهم، واستأنفت عملي واختلطت دموعي بحبر قلمي وصورة أخي الشهيد تتراءى أمام عيني وهو يقول: الرجل من يموت واقفاً دون الخضوع حتى لقنابل طيران العدو، ولإخراجي من هذا الوضع الأليم فوجئت بقدوم الأخ سي احميدة وكعادته بدأ النقاش معي في مخطط شال وكيف سيفشل وكيف سنرد العدو على أعقابه وكان الهدف منه هو التخفيف علي من شدة الصدمة والألم، وهكذا بقي معنا طوال أمسية ذلك اليوم ثم وصل به سي الحسين وتناولنا طعام العشاء سوية، ثم أعفاني تلك الليلة من الحراسة، وفي الغد تعرضنا لقصف جوي كثيف بحيث قنبل طيران العدو ما شاء له أن يقنبل ولكنه أخفق ولم يصب أحدا منا بأذى، ومكثنا عدة أيام على هذه الحال، نتتبع تحركات العدو، وأخبار الكمائن والإشتباكات بين جيشنا وقوات العدو، وفي أواخر شهر جانفي 1960 عقد إجتماع بجبل بوحنش بقيادة عضو الولاية الأخ سي الحسين ومشاركة أعضاء من المنطقة الأولى ونواحيها، وفي هذا الاجتماع تم تعيني كاتبا لمسؤول الاتصالات والأخبار بالناحية الثانية من المنطقة الأولى "جيجل– الطاهير" وهو الأخ سي رابح بوغنوط الذي كان لا يحسن القراءة والكتابة جيدا.

عملي الجديد القديم في 1960:

– لغاية شهر جانفي 1960 لم أكلف في الثورة بعمل غير الكتابة وهكذا كنت ملازما للأخ سي رابح بوغنوط الطيب القلب الهادئ الطبع الخبير بشؤون الحرب لأنه كان محاربا

في صفوف عسكر فرنسا في الهند الصينية قبل إلتحاقه بالثورة، وكنت أقرأ له كل الرسائل التي ترد عليه من مختلف تشكيلات الثورة في الناحية التي هو مسؤول بها كما كنت أرد على تلك الرسائل بأمر وبتوجيه منه، وكان من شدة تواضعه غير راض على العمل الذي كلف به ويقول أن هذا العمل من إختصاص المثقفين وأن عمله الحقيقي هو ضرب العسكر والمسؤولية القتالية لا غير، وذات يوم وصلت له رسالة من المنطقة تأمره فيها بعقد إجتماع للشعب وتوجيهه إلى الأخطار والشكوك التي بيتها العدو في صفوفه، وتحطيم دعاياته، والرد على أكاذيبه والتأكيد للشعب بأن الثورة باقية وأن جيش التحرير ما زال وسيبقى وسيحطم "مخطط شال" وما هذا المخطط إلا سحابة وستزول.

فهم عمي رابح وهكذا كنا نناديه مضمون الرسالة بالتفصيل وعلق عليه بقوله: الكلام ما يفيدش، الأفعال هي اللي تنفع، وإستجابة للأمر أمرني أن أكتب رسائل للمجالس الشعبية كي تجمع الشعب وحددنا الموعد وبدأنا بعقد اجتماع لسكان نواحي تكسانة وبالضبط على مشارف مشتى "أسلبو" حيث كنا متمركزين وتحت أشجار الفلين العالية والدائمة الإخضرار، وهكذا تجمع عدد لا بأس به من المواطنين بعد زوال إحدى أيام جانفي 1960 الباردة، وكان الجو صحوا، واعتلى "عمي رابح" المنصة، وكانت صخرة تتوسط الجموع، ونظر في الناس وكأنه تائه وكل الحاضرين في انتظار خطابه وتوجيهاته، ونظرت إليه وكأني أقول له: يا لله ابدأ، وبدأ عمي رابح يتكلم وقال جملة واحدة بقيت الألسن ترددها كلما حلت بها كارثة، وجالته المشهورة هي: "إخواني واش نقول لكم رانا روحنا فيها غبرة بينا وبينكم والسلام عليكم".

– تهت أنا الآخر من تصريحه الخطير وتاه الجميع جنوداً وشعباً وأدرك عمي رابح هذا التيه والتعجب منا لخطاب ضابط كبير كعمي رابح ولكنه وبكل هدوء وارتياح وطيب قلب أسر في أذني قائلا: اطلع أنت على الصخرة وقل لهم كلمات، فصعدت إلى الصخرة وخاطبت الحاضرين بمضمون الأمر مؤكدا لهم بأن العدو قد خاب في عملياته الجهنمية التي قام بها في الولايات الأخرى التي يقوم فيها بعمليات الحرق والقتل والتنكيل ولكن الثورة، وجيشها وشعبها قاومت كل إجرامه منذ عام 1830 حتى الآن وإن عملياته ستنتهي كما بدأت، ونحن بجيشنا وشعبنا متأكدون أن النصر في النهاية سيكون لنا والله معنا لأننا نجاهد

في سبيل الله والوطن، والعدو يحارب ضد الدين وضد الإله وضد الشعب وهو ملعون، والله تعالى يقول: ألا لعنة الله على الظالمين، صدق الله العظيم والسلام عليكم، والنصر للثورة.

تفرقت جمع الشعب وذهب كل واحد لداره، أما عمي رابح فقد علق على ذلك بقوله: أن الحرب ستكون أقسى مما كانت، وهكذا كان في لندوشين " الهند الصينية" وقلت له ومع ذلك خسرت فرنسا في لندوشين وهكذا ستخسر عندنا، فأومأ برأسه بالموافقة، وبعد إستراحة كافية أخبرنا عمي رابح بأننا يجب أن نرحل من هذا المركز مؤكدا بأن العدو سيعلم أو سيفهم من تحركات الشعب بأن في الأمر شيء وأنه سيباغتنا بهجوم على هذا المكان الليلة أو غداً، وهكذا انتقلنا بعد العشاء وتمركزنا في جبل "بوحنش" وصدق تخمين "عمي رابح" وقام العدو في الغد بهجوم على مكان عقد الإجتماع فقنبله أولا ثم ألحق به عساكره ولكنه لم يظفر بشيء، وحمدنا الله على خيبته في هجومه هذا وشكرنا عمي رابح على حسن تدبيره وبعد نظرته.

مسؤوليتي الأولى في الجبل

– يتكون هيكل التنظيم الثوري على شكل هرم، تعلو قمته الولاية، فالناحية، فالقسم، وبهذه القيادة القاعدية تم تعييني لأول مرة في مسؤولية داخل الجزائر، وكان تعييني في شهر فيفري 1960 وذلك بواسطة الأخ "سي احميدة فريخ" المسؤول العام للمنطقة الأولى "توفي بعد الإستقلال"، والذي كان بمعية الأخ "سي الحسين رويبح" عضو الولاية السياسي "إستشهد يوم 9 نوفمبر 1960"، في جبل بوحنش، حيث إستدعيت للذهاب عندهما، وعندما وصلت أخبرني سي احميدة بأن القيادة قد عينتني عضوا في قيادة القسم الأول، ويشمل بلديات رقادة، أم الثلاثين، جميلة، وجزء من العوانة ونواحي جيجل، وبالضبط مسؤولاً سياسياً لهذا القسم الذي كان يقوده الأخ سي محمد بوكبير، ورقيت في نفس الوقت إلى رتبة عريف أول وارتفع راتبي إلى 1800 سنتيم. وعلى هامش تعييني هذا علمت من الأخ سي الحسين اروبيح عضو الولاية السياسي أن كل زملائي الكتاب السابقين في الولاية قد عينوا في مراكز قيادية مختلفة والسبب في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى قائد الولاية الثانية الأخ "صوت العرب" – بوبنيدر صالح– الذي أعطى في عهده أهمية كبرى للشبان المثقفين، وأدرك أن تحطيم مخطط (شال) وعملياته الخاصة بالولاية الثانية والتي سماها بالأحجار الكريمة لن يتم إلا بالإعتماد على كل الطاقات الحية في الثورة ومن ضمنها الشبان المثقفون الذين كانوا يقومون بوظيفة كتاب للقادة الذين لا يعرفون القراءة والكتابة رغم كفاءتهم القتالية والنضالية ولا شك أن صوت العرب قام بهذا العمل إلهام للثورة إنطلاقاً من تجربته الطويلة في الثورة، إذ أنه من أوائل الثوار وأسندت إليه عدة مهام وهو القائد الخامس للولاية الثانية والذي لم يغادر التراب الوطني مثل بعض من سبقوه لقيادتها من فاتح نوفمبر إلى مؤتمر طرابلس الذي وقع مباشرة بعد وقف القتال.

وللتذكير أقول بأن ولاية الشمال القسنطيني قادها أولا "مراد ديدوش" الذي إستشهد في معركة بوكركر في 18 جانفي 1955، وخلفه يوسف زيغود الذي إستشهد يوم 23 سبتمبر 1956، وخلفه سي عبد الله بن طبال الذي غادر التراب الوطني إلى الخارج في بحر عام 1957، وخلفه علي كافي الذي غادر هو الآخر التراب الوطني في مارس1959، وخلفه بعد ذلك صوت العرب لغاية الإستقلال. ولكل هذه الإعتبارت والمواقف الوطنية الصارمة

والقيادة الرشيدة التي قاد بها صوت العرب الولاية الثانية، فإن جل مجاهدي الولاية الثانية يكنون له كل التقدير والإحترام.

– بعد هذا التعيين إتصلت بالأخ سي محمد بوكبير مسؤولي الجديد الذي كان من أوائل المجاهدين في هذه الناحية، وقد استقبلني استقبالاً حسناً، وطاف بي على مختلف وحدات المجاهدين (3 فرق) وهياكل النظام السياسي والإخباري والتموين، وكان المسؤول العسكري لهذا القسم هو الأخ سي محمد قليل، "أسره العدو فيما بعد" والمسؤول الإخباري هو الأخ مصطفى العيشاوي (دادا) واستشهد فيما بعد، وكان مركز قيادتنا متنقلاً بين أربعة دواوير كبرى هي: رقادة أم ثلاثين، وبني فوغال، وتمزقيدة، وبني خطاب وتارة أخرى نمركز في دوار بني يجس، وكان لنا ثلاثة كتاب ومنهم الإخوة علاوة قروي، وبوطالب الصديق، أما الثالث فهو غير جدير بالذكر لأنه إستسلم للعدو.

سير العمل:

كانت القيادة جماعية وفقا للمبدأ الذي قررته جبهة التحرير الوطني في مؤتمرها الأول مؤتمر 20 أوت 1956، المنعقد بوادي الصومام بالولاية الثالثة، وتطبيقا لهذا المبدأ فقد كنا نحن أعضاء القسم الأول نجتمع شهريا، وفق جدول عمل مسطر، ووجوباً نتدارس الأوامر السابقة، ما طبق منها وما لم يطبق والأوامر الجديدة القادمة من القيادة العامة للناحية حسب السلم التنازلي، الولاية فالمنطقة فالناحية فالقسم، ثم عرض حال مكتوب يقدمه كل عضو في قيادة القسم وأخيرا الشؤون المتنوعة، وغالبا ما تكون هامة وشاملة لشؤون الثورة والشعب، وبعد نهاية الإجتماع الذي لا يتعدى اليومين في أغلب الأحيان، يتم توزيعنا على دواوير القسم ما عدى المسؤول العسكري فيعطى له الاختيار في أغلب الأحيان نظراً لعمله الذي كان من الصعب تحديده في جهة من جهات القسم، وكل عضو منا كان يشرف على جميع فروع القطاع في الجهة التي كان يذهب إليها ويخبر وجوبا المسؤول المعني عن أي عمل قام به في غير ميدانه.

وهنا لابد من الملاحظة أن رزنامة الإجتماعات تضاربت في أواخر عام 1960 وبداية عام 1961، نظرا لكثرة تحركات العدو وعدم استقرار نظامنا وكثرة تحركاته وجسامة التضحيات التي لحقت جيشنا وشعبنا وترحيل السكان من طرف العدو، وحشرهم في

محتشدات إجبارية بحيث صارت إجتماعتنا تخضع لظروف الحرب التي اتسمت بكثرة الكمائن والإشتباكات.

كان إختصاص الشؤون السياسية وتشمل بالدرجة الأولى: المدخول والمخروج المالي والتموين قبل إضافة العضو الخاص المكلف بالتموين والاقتصاد عموما، والتوجيه السياسي وقيادة اللجان الشعبية (لجنة خماسية بكل دوار متشكل كما يلي: مسؤول عام، فمسؤول المال، فالتموين، فالأخبار، فالأمن)، ولجان العدل ورجال الدرك والشرطة ولجان المرشدات الاجتماعيات والمنظمة النسوية والشبيبة وخلايا الفداء والمستشفيات وكل مراكز الثورة والمكلفون بالتموين والهندسة المدنية، والتعليم. أما الشؤون الأخرى التي يقع اهتمامي بها. في الجهة التي لا يكون مسؤولها المختص حاضرا فهي شؤون المواصلات والأخبار والشؤون العسكرية، فمثلا إذا وجدت فرقة من الجيش في دوار ما وكانت تعتزم ضرب العسكر فيه، فلي الحق في توجيهها في ضربه في الجهة التي أريد حفاظا على أرواح وممتلكات الشعب، وأحياناً أجبر على اتخاذ موقف بإستدعاء فرقة من الجيش أو فوج الإنقضاض لضرب العسكر في دوار ما نظرا لأن العسكر المتمركز بالقرب منه طغى وتجبر وسط السكان الذين هم مجبرون على البقاء في المحتشد الإجباري الموجود قرب معسكره دون الخوف على أعراض المواطنين أو ممتلكاتهم لأنه تعدى كل الحدود قبل أن يضرب، وقد كان هذا الموقف من جانبنا يؤتي ثماره الإيجابية في أكثر الأحيان وان موقفنا تجاه الكابتن (بكمان) في الطاهير لخير دليل على ما أقول، فقد طغى وتجبر هذا المجرم، ونصب له جيشنا عدة كمائن، ولكن عمره كان كعمر القطط، إذ نجا عدة مرات من الموت، ولكنه لم ينج منا فقد جرح جرحاً بليغاً في ساقه مما أرى إلى دخوله المستشفى، ثم نقل من الطاهير إلى ناحية عين البيضاء، ولكنه لم يمت بل عاش حتى انتصرنا عليه وعلى بني جلدته ولكنه عاش أعرج، وعموما فإن أي مسؤول كان يستطيع التدخل في الأمور المستعجلة ويجد الحلول الملائمة لها. أما المسائل التي تتطلب الدراسة والمشورة وتبادل الرأي والإختصاص فتسجل وتقدم إلى المسؤول المختص وهو بدوره يعرضها على قيادة القسم ثم على قيادة الناحية أو المنطقة وربما الولاية وخاصة منها المسائل المتعلقة بقضايا الخونة وما تعلق منها بأي فرد من عائلة نظامي أو بأي أسير فر أو سرح من جنود العدو.

ترقيتي إلى مسؤول القسم الأول:

– في أواخر عام 1960 رقيتُ إلى رتبة مساعد وصرت مسؤولاً عاماً (سياسي عسكري) للقسم الأول من الناحية الثانية، المنطقة الأولى من الولاية الثانية، وبذلك كثرت المهام المسندة لي وارتفع راتبي إلى مبلغ 2000 سنتيم وسبب ترقيتي يرجع إلى وقوع أحداث خطيرة في الهيكل النظامي الذي يعيش ظروفا حربية صعبة: ظرف مقاومة ومحاربة مخطط شال الجهنمي الذي كان يرمي إلى عزل الشعب عن الثورة والثوار، وذلك بترحيل الشعب إلى المحتشدات والقضاء على الثوار بواسطة كثرة هجوماته وتمركزه في الجبال وإستعمال حرب العصابات وحرب المفاجآت الجوية والكمائن وإبادة الغابات والمحاصيل والثروة الحيوانية وقد أدت كل هذه الظروف إلى إستشهاد العديد من الإطارات في مستوى الناحية الثانية وأقسامها، ففي الناحية إستشهد الإخوة رابح بوغنوط المسؤول الإخباري وحسن بن الشيخ المسؤول العسكري،وتم أسر الأخوين أحمد لعبني المسؤول العام والطاهر بوسنه المسؤول السياسي، وقد تم تعويض هؤلاء الإخوة بترقية ضباط من الأقسام وهم :سي محمد بوكبير وصالح بلخلفة وسي مسعود بونعاس (النية) والشيخ أحمد لشهب ومسؤوليتهم على التوالي سياسي، فتموين، فعسكري، فمسؤول عام وفي مستوى الأقسام. ثم أسر سي محمد قليل، وإستشهد مصطفى العيشاوي (زعيط) وجرح كاتب هذه السطور أما عن أعضاء المنطقة فقد إستشهد سي السعيد بن طبال ومن معي الإخوة التالية أسماؤهم: سي فرحات لعبني (سياسي)، وسي محمد بوجريحة (عسكري) وقشاشة أحمد (تموين) واستمر تركيب هذا الهيكل النظامي لغلية شهر جويلية 1961 حيث تم تركيب جديد للهيكل النظامي كما سيأتي تفصيله فيما يلي.

وفي خلال هذه الفترة من نهاية 1960، والسداسي الأول من عام 1961، تواصلت الأعمال بكل جد وكانت الحرب سجالاً بيننا وبين عدونا الذي إستمر في عملياته الإبادية، وكالعادة كثرت الخسائر البشرية في أوساطنا وأوساطه، ولم يكف عن حملاته الإبادية: نصب الكمائن، الهجومات الفجائية المرعبة والمقنبلة بمدافعه الميدانية وطيرانه وبوارجه، تهديم الديار، حرق الغابات والمزروعات، التنكيل بالشعب الذي حشده في محتشداته، والتنكيل بكل مجاهد أسير، والتعسف بكل من يقع تحت قبضته خارج المحتشدات من المواطنين ومنع الرجال دون النساء أحيانا من مغادرة المحتشدات، وكنا يخرجن بغرض جلب الحطب والبقول/ ومن تم الإتصال بالمجاهدين والقيام بالواجب نحو الثورة، كالإدلاء

بمعلومات عن عساكر العدو وعن الجو الذي يعيشه الشعب بها وعن الخسائر التي تلحقه من ضرباتنا وكشف كمائنه وعدد خرجاته الليلية إلخ...

أما نظامنا فكان مسايرا للأحداث وإتخذنا كل الإجراءات والتدابير لمجابهة حملات العدو الإجرامية فلم نكتف بنصب الكمائن له والقيام بشتى أنواع التخريب لكل ما كان صالحا له ولم نكف عن الأعمال الفدائية ومن النشاط داخل المدن والقرى وحتى المحتشدات وعززنا شبكتنا الإخبارية وكثر اتصالنا بالعساكر المسلمين وحتى بالقومية والحركة كما قمنا بنشاط متزايد في خدمة الخنادق والمخابئ الأرضية وأكثرنا من جمع التموين من غذاء ولباس وأدوية وكثفنا نشاطنا الإعلامي لمواجهة حملات العدو الضالة وأكدنا مراراً بأن العدو شاعر بالهزيمة وما كثرة إجرامه وتخبطه في بحار من الدماء والدمار والفحش والدموع إلا دليل على قرب خسرانه الأبدي وقرب ثورتنا من تحقيق هدفها المقرر والمحدد في البيان الأول لجبهة التحرير الوطني وفي منهج الصومام وهو الإستقلال الوطني.

وخلال هذه الفترة وقعت عدة إجتماعات بين مختلف القيادات، وأعطيت فيها أوامر وتوجيهات والهدف منها كلها هو تحطيم عملية العدو (عملية الأحجار الكريمة) ومن ثم الفوز على "مخطط شال" والسير نحو تحقيق الهدف الأساسي المنشود، وهذه مجموعة من تلك الأوامر أسجلها هنا كما وجدتها في إحدى كراساتي الخاصة والتي كانت تلازمني دوما وهي:

- أوامر أعطيت لنا بتاريخ 22-02-1960.
- القيام بتوزيع الإعانة على المناضلين والمجاهدين والمسبلين.
- تنظيم الشعب على شكل خلايا، أفواج، ونصف أفواج.
- إعطاء دروس عن التراخي والتخلي والتنفيذ دون مسامحة ولا عاطفة.
- تقوية السلطة الثورية. كل عاص للأمر يعاقب. كل سارق للنظام ينفذ. السرقة ممنوعة.
- مراقبة أكيدة على المشبوهين والمترددين على العدو. يمنع إستعمال القشر، بيعه وشراؤه.
- نظام المخابئ السرية في القرى والمدن في الجبال والديار. يمنع إهداء أي شيء من رزق النظام. تعقد إجتماعات لرجال الدرك والمنظمات. تنسيق الأعمال بين المسؤولين.

صدور الأوامر

– قوموا بإجتماعات للشعب. نددوا بوحشية الإستعمار. شجعوا الشعب في كفاحه. أشعروه بمسؤولياته في الثورة. بينوا له الحوادث الهامة الداخلية والخارجية.

– الحذر كله من المخابئ العامة الطبيعية. حاربوا العواطف والأغراض الشخصية في الثورة إستعمال جميع الوسائل لتصحيح السلطة الثورية. على المسؤول السياسي أن يعمل حتى يكون وثيق الصلة بالشعب. مضاعفة عدد رجال الدرك بالدواوير. كل عاجز عن العمل في الوحدات يعطى له العمل حسب مقدرته.

توجيهات:

في الإجتماعات مع المجالس يجب على كل عضو أن يقدم تقريرا عن أعماله. في المحاسبة مع المجالس يجب التأكيد على ما يلي:

– تطبيق الأوامر ومراجعة ما تخلف منها وسبب ذلك.

– فكرة الشعب وحالته المادية.

– سلطة النظام وحالته وسمعته وحالة النظاميين.

– الإشتراكات (الإهتمام بجمعها).

– على الأقل يتم جمع مجلسين في الشهر.

– التنفيذ للعاصين أي الحكم بالإعدام على الحصاة.

– يجب إحترام جميع القوانين من طرف النظاميين والشعب.

* كان العمل ثريا للغاية وسط هياكلنا النظامية وجماهيرنا الشعبية وخاصة كلما اقتربنا من مدينة جيجل وبلدة قاوس ودوار ابني يحمد، حيث بقي الشعب غير محتشد، وحيث بقي عدد من (الكولون) في أحسن الأراضي وأخصبها، وأذكر منهم: شبريا وبلان وطرشون، الذين فروا في عام 61 نتيجة ضربات جيش التحرير الوطني الموفقة ضدهم. آه كم كان الوضع مغريا في التفاني في العمل والتسابق في التضحية وتقديم الغالي والنفيس لثورتنا الجليلة بالنفس وبالمال رغم الخطر المحدق بكل مناضل وبكل مجاهد. لقد كنت أشعر بالسعادة وأنا عائد لمقر قيادة القسم الأول، وفي محفظة الكتف ما يبشر بنجاح ثورتنا العظيمة. كنت كثير النشاط كثير التفاؤل وليس هذا فخراً أو إدعاء حتى قال لي أحد

المواطنين ذات يوم: كلما تأتينا يظهر لنا أن الإستقلال قد حققناه ويظهر لنا العسكر كالنمل في إمكاننا أن نسحقه في أي وقت نشاء. وأجبته: "نعم. وهو كذلك، ها أنت ترى بنفسك ماذا فعل "دوقول" وماذا فعل "شال" كلهم خاسرون ونحن الرابحون. هاهي الثورة مستمرة وقوية إذا صعد العسكر للجبال هبطنا نحن للسهول، وإذا هبط للسهول صعدنا نحن للجبال، مرة له ومرات لنا حتى يتم لنا النصر لأن الحق معنا والجزائر لنا وما فرنسا في بلادنا إلى ضيف بغيض غير مرغوب فيه وسترحل وما يبقى في الواد غير احجاروا يا خويا".

كنت فخوراً بعملي السياسي، وكيف لا وأنا ألاحظ بدون عاطفة أن روح الثورة قد تغلغلت في أعماق الشعب، وكأنه لم يخلق إلا للثورة ولم يخلق إلا ليكون ثائراً، فهذا معلم القرآن ينبه أطفالنا إلى مغزى الآية الكريمة (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)، وهذا فلاحنا يعمل عند (الكولون) ويقدم في المساء تقريره التطوعي عن عدد العساكر الذين أتى بهم لحمايته وكم عدد العرب وسطهم وكيف تكلم معهم وكيف أجابوه. وهذا تاجرنا يخادع ضباط الشؤون الإدارية المختص فيبتز منه أكبر كمية ممكنة من الدقيق ومختلف المواد الغذائية واعدا إياه بتزويده بأخبار الفلاقة ليقول له بأن الجبال مملوءة بهم يا "مون ليوطنا"، وقد أتى قسم منهم يريد الهجوم على مدينة جيجل فيزيده خوفا على خوف وأنهم صاروا لا يحتاجون إلا دراهمنا، إنهم صاروا أغنياء ويساعدون كل فقير ويعالجون كل جريح ومريض إنهم يقولون: إن الإستقلال يكون عن قريب. وأولئك عمالنا في مصالح العدو يخربون أكثر مما يصلحون والمجندون قهراً في صفوف الأعداء يزودون الثورة كلما سنحت لهم الفرصة بالملابس والسلاح والخرطوش والقنابل والاتصال بالثورة والانضمام لصفوفها ومن هذه الإتصالات الناجحة على سبيل المثال، إتصال العسكري المسلم: الحاج لعزيب (يعمل بوكالة النقل البلدي بالعاصمة) والذي أدى اتصاله إلى تنظيم هجوم من طرف جيشنا على عساكر العدو بمزرعة المعمر (بلان) بابني يحمد قرب مركز (صبرا) جنوب جيجل، والذي أدى إلى الإستيلاء على كمية هامة من الأسلحة والذخيرة والتحاق الحاج لعزيب بالمجاهدين، وفرار المعمر بلان والعساكر الحامين له، وبذلك رجعة المزرعة إلى أهلها الأصليين وصارت منذ ذلك اليوم ملكا للثورة, وقد سيرت عن طريق الكراء حتى الإستقلال، فلتحيا الثورة التي كانت بالشعب وللشعب.

تجمع للجيش وإشتباك بجبل الماء البارد

– في أواخر شهر فيفري 60 عدت من جولتي العملية الأولى في القسم الأول وقبل وصولي إلى دوار بني فغال التقيت بساعي البريد فسلم لي رسالة من المسؤول العام للقسم الأول يحثني فيها على الوصول لمقر القسم الأول، طبقت الأمر ووصلت فوجدت كتيبة القسم كلها حاضرة ومتمركزة في مكان جبلي مغطى بأشجار الفلين (البلوط) ومعها كل إطارات القسم والمسؤول العسكري للناحية الثانية من المنطقة الأولى وهو الأخ سي أحمد لعبني إذ ذاك (أسره العدو فيما بعد ثم فر من السجن في حالة يرثى لها من التعذيب الذي سلطه عليه العدو وبمراكزه بجيجل)، وعلمت أنه هو الذي سيشرف على التجمع العام للجيش في هذا القسم (في مثل هذه التجمعات تقع التعديلات في القيادات)، وفي الغد ولا أتذكر اليوم نهضنا من النوم مبكرين وغادرنا المنازل التي قضينا بها ليلتنا في مشتى "أسلبو" وإتجهنا صعودا إلى جبل الماء البارد الذي يبعد عن مركز العدو بتكسانه بحوالي 10كلم فقط وتمركزنا فيه، وفي الصباح الباكر وجدنا أنفسنا وجها لوجه مع العدو، وانطلق الرصاص من الجانبين، وما هي إلا لحظات حتى رعد الجو بالطائرات، وشوهدت الدبابات زاحفة نحو الماء البارد الذي تربطه بتكسانه طريق غير معبد، وتوقف إطلاق الرصاص بسب تراجع العدو الذي فوجئنا به يقاسمنا الجبل، إنها وشاية بنا، دون شك، وارتبكنا ووقعنا فريسة لقنبلة الطائرات ومدافع الدبابات فحاولنا الإنسحاب شمال الجبل وكذا غربه بينما كان العدو متمركزاً شرقه وجنوبه، ولم يكن الانسحاب سهلا، كما كانت القيادة غير محكمة (كثرة المسؤولين) في هذا الصباح اللعين وفي هذا التجمع الذي تشاءمت من عقده منذ أن عرفت أنه سيكون في الماء البارد نظراً لكون أشجاره نفضية إذ كلها من شجر الزان وكنت أفضل لو كان مجال لإبداء الرأي أن يكون في جبل (بوحنش) القريب منا لعدة إعتبارات أمنية، وفي هذا الصباح سمعت الكثير من الأوامر المتناقضة من المسؤولين فبعضهم يأمر بالإلتحام بالعسكر حتى لا نبقى عرضة للطيران: وبعضهم وجهوا سلاحكم للطائرات ولم ينج من الموت الكثير منا سواء الذين وجهوا اهتمامهم للطائرات أو الذين إلتحموا بالعسكر وقد كانت الخسارة فادحة في الذين توجهوا نحو الإلتحام بالعسكر، ذلك أنه فر ورفض الإلتحام بهم ووقعوا فريسة لقنبلة الدبابات وقد إستشهد منهم أكثر 20 مجاهداً وفقدت أسلحتهم وكنت في المجموعة التي تصارعت مع الطيران وخاصة الطائرة الصفراء (ت6) والطائرات

العمودية الثلاث: بنان لويط– سيكورسكي، وكانت الأولى والثانية من صنع أمريكي ومن عتاد الحلف الأطلسي وقد جرح المجاهد لخضر تمزقيدة في ذراعه ثم جرح أخ كنا نناديه (الجودان) ثم جرحت أنا بدوري وكلنا بشضايا الروكيط، قمنا بتخبئة الأخ لخضر لأننا لم نستطع حمله ولا الإهتمام به ثم عجزت أنا الآخر عن المشي بعد سقوطي في بركة ماء وبعد ما ابتل جرحي فتأخرت عن الرفاق وتم إنسحابهم غرباً نحو مشتى (المسيلة) فأخفيت نفسي تحت نبات الديس والخنج، وفجأة إنقلب الجو وساد الضباب وسقط المطر فإنسحبت الطائرات وحاولت أن أكون في وضع يساعدني على القتال أن وصل بي العسكر مجتهدا في كتم أنفاسي وألم جرحي، ومزقت أوراقا كانت بجيبي كما لفيت ألف فرنك على قلبي وغرست في تربة بلادي الطرية وبقيت أنتظر ساعة الموت أو النجاة لأن اليأس من طبيعة الثوار، وتوقف المطر عن النزول ففرحت لذلك وأنا آمل أن لا يزول الضباب كي لا تعود طائرات الحلف الأطلسي، نظرت ساعتي فوجدت الوقت قد وصل منتصف النهار، وبعد مدة سمعت العسكر يتكلم لم أكن أسمعه جيداً إلا عندما يصرخ وفهمت أنه سيقضي الليلة بالجبل، وصرت أفكر هل أستطيع أن أغادر هذا المكان؟ نعم ولكن عندما يحين الليل، الليل حبيب الفقير والضعيف والجريح، وحان الليل فوقفت ومشيت قليلا ثم أوقفني الألم فإختبأت من جديد، وتصنت فلم أسمع العسكر يتكلم ففهمت إنه إما نائم أو كامن، وتوالت على ذهني أفكار وأفكار وفي خضمها خطفني النوم ولم أشعر بوجودي إلا في الغد الباكر، حيث شاهدت الجو يسوده الضباب والرذاذ ولم أتحرك من مكاني بل مسكت بسلاحي وبقيت أنتظر ما يأتي به اليوم.

لم أسمع أي حركة أو صوت للعسكر، ففهمت أنه كامن عله يظفر بضحية حتى حلت الساعة الحادية عشر فسمعته يقول: هيا نعود تهيأوا إن الطائرات آتية وكذا الدبابات لحماية عودتنا وكذا الشاحنات لحملنا، وسمعت حركة مشي في اتجاه قمة الماء البارد حيث تصل الطريق، وعند منتصف النهار، بدأت الطيور تطير وتغرد مما يدل على أن أعداء الحياة قد غادروا المكان، بل إن حجلة أتت تزغد أمامي دون خوف مني فتعجبت من مجيئها ومن حركتها إذ أنها لم تطر كعادتها بل أخذت تذهب وتجيء وكأنها تقول لي: لقد زال الخطر. وبالفعل فإن حركة الطيور والعصافير دليل قاطع على خلو المكان من العسكر. خرجت من مخبئي وحاولت تنظيف جرحي فلم أقدر، وحاولت المشي فلم أقدر

أيضاً وشعرت بأني مشلول الرجلين، فقمت بحركات رياضية ثم حاولت المشي فمشيت رويداً رويداً وإستعنت بعصا من خشب يابس، وصرت أفتش عن أخي لخضر تمزقيدة الذي جرح قبلي وشاركت في إخفاءه تحت نبات الديس فلم أهتد إلى المكان وكررت محاولتي فلم أجده وناديته فوجدت أن صوتي قد بح ولا يمكن له أن يسمعني وفتشت عنه كثيراً حتى عييت وسقطت أرضا وأنا أتصبب عرقا من شدة الإرهاق وألم الجرح والجوع، وعندما حل الليل إتجهت نحو المشتى، مشتى "أسلبو" فصعدت الجبل بصعوبة ثم هبطته بمثلها حتى وصلت المشتى وكانت الليلة مظلمة، وقصدت داراً وتجسست عليها فشاهدت بها الضوء من شقوق الباب الحطبية, وسمعت همس أهلها فقمت بدق الباب فكفوا عن الهمس ولكن ضوء النار ما يزال ظاهرا، فأعدت الكرة قائلاً وبصوت مبحوح: افتحوا لي. لا تخافوا إني مجاهد جريح منذ الأمس أو قولوا لي أين أجد المجاهدين؟ لم يجبني أحد. فقلت:إني سأبقى هنا حتى الصباح لأني جريح وعاجز عن المشي. وبعد مدة قصيرة فتح لي صاحب الدار داره وقال: أدخل بينما حل محلي أمام الباب ليتأكد من قولي ثم دخل قائلا لزوجته: إنه وحده إنه مجاهد، أعطيه يأكل ومسكني من كتفي مرحبا بي ومقبلا إياي وهو يقول: تقدم تسخن إنك "سردان" أي مبتل، إجلس لم أجلس قلت: أين المجاهدون يرحم والديك؟ فقال: إنهم هنا في الدار التي كنتم بها أمس. شكرته واتجهت إلى الدار وهو يقول استنى تأكل شويه ووصلت الدار فأوقفني الحارس قائلا كالعادة: أشكون ؟ فأجبته وبسرعة كان مسؤول الحراسة بجانبي وقادني إلى الدار وأجلسني حول كانون النار فشاهدت المجاهدين نائمين كالعادة الواحد جانب الآخر وأيقظ الممرض وأخذ في علاجي وناولني قطعة من الكسرة وفنجان زيت، ثم منحني قهوة وسيجارة وبذلك عاد صوتي وصرت أتكلم بسهولة، لقد زال عني الجوع والألم والخوف وسألت عن الخاوة فبكى الممرض وتكلم مسؤول الحراسة وهو يتقطع ألما فقال: لقد إستشهد أكثر من 20 مجاهدا وضاع سلاحهم كل الذين اتجهوا للإلتحام بالعسكر إستشهدوا، غلطة كبرى يتحملها المسؤولون ما هكذا تكون المعارك. لكن لنا مع العسكر لقاء ولقاء سنعيد الضربة ضربتين. مسكت رأسي بيدي وقلت إن جبل الماء البارد ليس مكانا للتجمع لكن الحرب هكذا يوم لك ويوم عليك، وقافلة الشهداء طويلة وطويلة وسننتصر. وهنا تدارك الممرض نفسه وقال: إسمح لي إني أراك تتألم، ليس عندي غير الدواء الأحمر والدقيق الأبيض والشطية غائرة في لحمك وعليك أن تنام الآن وغدا سنبعث بك إلى المستشفى.

سلمت نفسي للنوم وفي الصباح قادني جندي إلى المستشفى، إلى مشتى (أولاد جبلله) المخربة المهجورة، خربها العسكر سابقاً لأنه تلقى بجوارها عدة ضربات قاسية فإنتقم منها ومن سكانها، وبجوارها وصلت فوجدت ممرض الناحية الأخ " بن عالية" وكنا نسميه الحاج بطاط وهو من جيجل ومعه مرافق له وهو الأخ محمد بن جبلله، استقبلني قائلا: اجلس سأعطيك زاورة، فرشها بجانب التيستو (مجاهد من تكسانه جريح)، إن المستشفى الذي كان في جبل بوحنش حرقه العسكر وحولنا المرضى إلى مستشفى آخر لذلك ترانا هنا تحت الشجر لمدة يومين أو ثلاثة ثم نذهب للمستشفى جلست بجانب أخي الجريح وسألته عن حاله فأجابني بأن جرحه خطير إنه مصاب في جنبه برصاص من نوع" الفنفلاك" وهو رصاص يستعمل ضد الآليات وليس ضد الإنسان أما فرنسا فكل شيء مباح لها كالنابالم– إن الألم لم ينقطع عنه، وقاطعه الممرض بقوله، لا بأس عليك سترتاح، سأفتح بطنك وأخرج الرصاص منها. إنك بخير لأن أمعاءك لم تتقطع وإن تقطعت لما عشت إلى اليوم.

ثم إتجه نحوي وشاهد جرحي وأدخل مقصه في الجرح محاولاً إخراج الشظية وعندما أتألم يقول لي: اسكت يا بوفشول وهو يكاد ينفجر ضاحكاً، وعندما سألته لماذا هذا القول وهذا الضحك، قال: الطبيب الذي لا يضحك للمريض ليس بطبيب، وبوفشول معناها خواف وفاشل، والمجاهد لا يخاف ولا يفشل فضحكت أنا الآخر رغم الألم وقلت له فتش عن الشظية حتى تخرجها وحاول طويلا ولم يخرجها وزادني ألما على ألم، وما تزال بجسمي إلى اليوم. وعند منتصف النهار نادى مساعده قائلاً: هات لنا الغذاء. فأتانا محمد بثلاثة كؤوس من الحليب، حليب نستلي الحلو، وقال لنا الحاج بطاط هذا ما عندنا، وكانت الكؤوس علبا قديمة لنفس الحليب وكان الماء من الشعبة الجارية بالقرب منا وكان بارداً صافياً. وفي المساء ذهب الأخ محمد إلى المركز بمشتى (بلعيدن) عله يأتينا بالأكل فعاد ليلاً وبجيبه عدة قطع من الكسرة فكان جزءاً منها عشاء لنا، وبعد العشاء إزداد ألم أخينا (التيستو) وحاول الممرض التخفيف عنه فلم ينجح، وبعد مده قال علينا الآن أن ننام وغداً سأحاول فعل شيء وأوص مساعده بالنهوض غداً باكراً، ولفني والتيستو في زاويتين فوق التراب وقال ليلتكم سعيدة ونام، أما أخي التيستو فطلب مني أن أدلك له ركبتيه لشعوره بألم حاد فيهما فناديت محمد ليساعدني في دلكهما والتيستو يتألم وواصل محمد الدلك بينما بقيت أنا أخفف عنه بالقول الحسن: لا تخف ستشعر بالدفء وستنام وغدا سيريحك الحاج بطاط ويزول

عنك الألم وشيئاً فشيئاً نام أخي التيستو ونام محمد ونمت، وفي الصباح الباكر أيقضني الممرض وقال لي: أيقض أخاك واتجه نحو محمد الذي ابتعد عنا قليلاً ليقف فوق ربوة لكشف أحوال العدو، فأخذت أنادي خويا، تيستو، تيستو، فلم يجب ولم يتحرك فمسكت بكتفه محركا إياه كي ينهض فإذا به يميل في إتجاه الأرض المنحدرة، وحذلقت فيه فإذا به قد مات إنه ينظر إلي، إن عينيه مفتوحتان، وصرت أصرخ يالحاج، يالحاج، أسرع، أسرع، فأتى مسرعا مستفسراً عن ماذا حدث فقلت انظر انظر إلى التيستو ماذا به؟ فنظر وقال ماذا به لقد مات الله أكبر الله يرحم، وأخذ يقفل له في عينيه والدموع تنهمر على خديه، ودون شعور رأيتني أقبل أخي التيستو، إلى اللقاء يا أخي التيستو. ولحق بنا محمد باكياً وحمل الفأس وبدأ يشق الأرض ليزرع فيها غصناً آخر وعرقاً آخر من عروق الحرية.

من المستشفى إلى العمل

– بعد يومين من علاجي من طرف الأخ الممرض الحاج بطاط وبعد التئام الجرح، وبعد المنظر الرهيب الذي عشته مع الجريح الشهيد (التيستو) غادرت المستشفى واتصلت بالأخ سي بوكبير في مشتى "بلعيدن" فإستقبلني ضاحكا وقال: لقد أعددناك من الشهداء لكن الحمد لله ها أنت ما تزال حيا. ثم سألني عن الأيام الحرجة التي مرت بي أو مررت بها، وهل أنا قادر على مواصلة الدرب، فأجبت بالتأكيد فقال: إذن أكتب ما تم في الإجتماع الذي وقع مع الناحية الثانية يوم أمس. فقلت حاضر. هات ما عندك. وتحت شجرة زيتون أخذ يملي وأخذت أكتب وكان ما كتبته هو التالي:

قوموا بإجتماعات للشعب ونددوا بوحشية الإستعمار وشجعوا الشعب في كفاحه وأشعروه بمسؤوليته في الثورة وبينوا له الحوادث الهامة الداخلية والخارجية، وسألني هل لك علم بالأحداث الهامة الخارجية؟ إننا لم نتعرض لها في الإجتماع فقلت له نعم ولكن بعضها فقط وحسبما أسمعه من الإذاعات العربية وخاصة صوت العرب من القاهرة المعزية فقال: اضرب لي مثلا. فقلت هناك عدة أمثلة منها:

– إعتراف الإتحاد السوفياتي بالحكومة الجزائرية. وإحتجاج " دوغول" على ذلك وقوله: إن هذا الإعتراف تدخل في شؤون فرنسا الداخلية.

– تسجيل القضية الجزائرية وبحثها في الأمم المتحدة.

– تراجع "دوغول" عن مبدأ تقرير المصير وهاهو يطبق في مخططه العسكري الجهنمي ضدنا.

– تمرد المستعمرين في الجزائر على حكومتهم ومن بينهم الجنرال "ماسي".

– إستنكار عالمي لقيام فرنسا بتفجير القنبلة النووية في منطقة "رقان" بصحرائنا الغربية وإستعمال الجزائريين طعماً لهذه التجربة وذهاب الكثير منهم ضحايا لها.

– إحتجاج الحكومة الجزائرية على دول الحلف لسماحها لفرنسا بإستعمال عتاد الحلف الأطلسي ضد الثورة الجزائرية. وهنا أوقفني الأخ سي بوكبير وقال: يكفي هذه الأحداث وهاك بقية الأوامر. فقلت : هات .قال:

يجب تقوية السلطة الثورية وكل عاص للأوامر ينفذ، وكل سارق لرزق النظام ينفذ. تشديد الرقابة على المشبوهين والمترددين على العدو. إلزام النظاميين يصنع مخابئ سرية.

الحذر من المخابئ الطبيعية. تنسيق العمليات على جميع المستويات. محاربة العواطف والأغراض الشخصية. وهنا توقف الأخ سي بوكبير. ثم قال: هذا ما زودتنا به الناحية ثم قال: غدا نذهب إلى مشتى "أكسير موسى" وبها نعقد إجتماعنا الشهري. فاستأذنته بالقيام بجولة هذا المساء في بعض مشاتي دوار "رقادة أم ثلاثين" فأذن لي موصيا إياي بالحذر الشديد لأن العدو مكلوب هذه الأيام فوعدته على أن أكون غدا في الموعد وإتجهت إلى مشتى بني محرز وإتصلت بمسؤولها "عمي محمد" وقد إستشهد فيما بعد ثم بسكانها في مقهى المشتى ثم اتجهت إلى مشتى " بن اعثيمون" ثم الحمادشة وبها إلتقيت بالأخ سي عمار مزيود وكان كثير التدين وكثير الإستغراب من عدم سرعة استجلبة الله لدعواتنا بالنصر على القوم الكافرين وقد إستشهد فيما بعد، ومنها إنتقلت إلى الحدادة ومباشرة إلى دار عمي إبراهيم وهو أب لجندي إسمه فرحات فوجدته منكباً على خدمة الأرض وبعد تحيته أخبرني بأن الأخ عمي محمود بوعموشه مسؤول الدوار يوجد هنا مع المواطنين فذهبت إليه ووجدته في حديث مع المواطنين بقهوة المشتى فشاركته الحديث معهم، وبتنا معا بالمشتى وفي الصباح الباكر ودعته وذهبت إلى (أكسير موسى). والجدير بالذكر أن عمي محمود هذا كان من سياسي الدوار في زمن ما قبل الثورة ثم انظم إليها وصار قائدا لنفس الدوار (مسؤول المجلس الشعبي للدوار) في زمن الثورة، وقد أسره العدو وعذبه عذاباً نكراً فلم يحد عن موقفه وإنتقم منه فخطف إبنه الصغير (عبد العزيز) وقتله ورماه في شعبة أمام منزل والده قرب تكسانه ولكنه لم يمت وعولج من طرف النظام وصار مجاهدا وما يزال على قيد الحياة، وألقى القبض على زوجته وقادها إلى السجن بجيجل حيث يوجد "عمي محمود" تحت العذاب ولكنه لم يهن ولم يضعف وصبر على العذاب حتى صعدت روحه إلى العلي القدير. فالمجد له ولكل الشهداء.

الإجتماع الشهري بمشتى أكسير موسى

– وصلت مبكراً إلى مشتى "أكسير موسى" المخربة المهجورة والواقعة في قلب جبل بوحنش جنوب جيجل وبها وجدت الإخوة أعضاء القسم الأول، جلسنا تحت الأشجار أمام كوخ حطبي، وترأس الإجتماع الأخ سي محمد بوكبير وكان ذلك في أواخر فيفري 60. لم يكن إجتماعنا هذه المرة حول دراسة التقارير بل كان حول الأوامر والتوجيهات الخاصة بمواجهة (مخطط شال) وعملياته الإجرامية، والتي يتتبع فيها الجنرال شال وكل فرنسا باهتمام كبير جدا حتى أنه وصل بنفسه إلى جيجل (اسكلايب) والجنرالين (قاندوي وجانو) وكان الأول نائبا للجنرال (أولي) القائد العام لولاية قسنطينة والثاني قائداً عاماً للشمال القسنطيني، وهم مجرمو عمليات "الأحجار الكريمة" بولايتنا. ونظراً للوضعية الحرجة التي نعيشها فقد تدارسنا بإهتمام بالغ التعليمات الخاصة بالموضوع كما ذكرت ووقفنا عند كل بند منها بقصد فهمها وتطبيقها بكل جدية حتى نفوت الفرصة على أعدائنا وحتى لا نمكنهم من تحقيق الهدف الذي يريدون تحقيقه وهو تصفية الثورة جسدياً وفكرياً. وكانت هذه التعليمات هي:

– فك الوحدات المقاتلة وجعلها فرقا قليلة العدد ليسهل لها التنقل والتموين والقتال.

– العودة إلى استعمال الأسلحة المستغنى عنها سابقا مثل بنادق الصيد والمتفجرات المحلية.

– ارتداء الملابس المدنية فوق الملابس العسكرية.

– محاولة التمركز قرب المراكز العسكرية وإستعمال طريقة الكر والفر بين السهول والجبال.

– إجتناب العيش في أماكن قارة والتنقل حسب الظروف

– خزن الأسلحة الثقيلة لكونها تتطلب كثرة الذخيرة وكثرة عدد الجنود.

– الإقتصاد لأقصى حد ممكن في الرصاص وفي الغذاء واللباس والدواء.

– تجنب مواجهة الأعداء ورفض الإشتباك معهم لأن ذلك يؤذي إلى تبذير الرصاص كما يؤدي إلى ارتفاع عدد الشهداء وسط المجاهدين والشعب، لأن العدو يلجأ دائما إلى الإنتقام من السكان.

– تطبيق حرب الكمين وحرب العصابات، "اضرب واهرب"، وتكثير عمليات الفداء بالمدن والقرى.

– تخريب مصالح العدو وفي مقدمتها: طرق المواصلات، الهاتف والكهرباء، الجسور وأرزاق المعمرين.

– البدء في تكوين الخلايا النظامية بكل محتشد رحل إليه الشعب.

– التموين: يجب الحصول عليه بكل الوسائل ويجب خزن أكبر كمية منه، حبوب زيوت دقيق إلخ.

– الإهتمام الشديد بالإستعلامات والأخبار، وتكثيف الإتصالات بالعساكر المسلمين وبالقومية والحركة، وإستخدام كل أفراد الشعب في هذا الميدان، رجالاً ونساءً وأطفالاً.

– تجنب رفع المال والتقارير من طرف المسؤولين السياسيين والإقتصاديين.

– تنظيم المواطنين الذين كانوا فارين من العدو وإعتبارهم مجندين وتشغيلهم في عمليات التخريب (الجيني) والهندسة المدنية.

– تكثيف الإتصالات بالمواطنين في البادية والقرية والمدينة.

– محاربة طريقة العدو الجديدة: الممثلة في القيام بالعمليات العسكرية الفجائية المعتمدة على نقل العساكر بالطيارات والقيام بالقنبلة ونشر الحرائق.

– كل نظامي يجب أن يكون على أهبة الإستعداد للقتال أو لنجنبه لأن العدو صار يقوم بالبحث والتعذيب لكل من يلقي عليه القبض في عين المكان بقصد المبادرة بالمفاجأة نتيجة كل إعتراف يحصل عليه.

– اليقظة والحذر شعار كل واحد منا، له ولغيره. ويجب التقليل من الإجتماعات على كل المستويات ولكن العمل يجب أن يسير.

وهنا أوقف الأخ سي بوكبير الإجتماع مشيراً إلى غروب الشمس وإلى الاتجاه القربي حيث يتم توزيعنا على أنحاء القسم للنشاط واتجهت كالمرة السابقة نحو دوار المرج ونواحي جيجل وقاوس وبني خطاب ورقادة أم ثلاثين وهي الناحية الشمالية للقسم، وذكرنا مسؤولنا بالمراسلة الأسبوعية تاركاً الإجتماع الشهري القادم للظروف.

جولة جنوب وغرب القسم

– توقفت الإجتماعات الشهرية بسب ظروف الحرب وحلت محلها المراسلات وهكذا تلقيت أمراً من المسؤول العام للقسم بالتوجه جنوب وغربي القسم فغادرت شماله ووجدتني في ناحية تمزقيدة المتكونة من ثلاثة دواوير هي: بني يجس، وأوطى عمر والحاج. وأول مشكل واجهني هو: عصيان أصحاب البغال المكلفين بنقل الحبوب من ناحية بني عزيز وأعرباون خاصة عن طريق جبل سيدي صالح والسطاح، وذلك بحجة صعوبة الطريق وإعتراض العسكر طريقهم والفتك بمن قبضه منهم فضلا عن خسارة البغال والتموين المنقول. وجدت في عصيانهم ما يمكن الوقوف عنده ومعالجته، وهكذا جمعت الكثير منهم وتناقشت معهم وانتهى العصيان بتنظيم حراسة لهم أثناء ذهابهم وإيابهم من طرف جيش التحرير وهكذا تواصلت العملية إلى حين وعندما ضيق الخناق علينا العدو وأصبح من العسير نقل التموين بالبغال صار الجنود هم الذين ينقلونه على ظهورهم لمدة محدودة.

وفي هذه الدواوير قمت بعدة إجتماعات لمسؤولي المجالس الشعبية، والجدير بالذكر أن العدو لم يرحل سكان هذه الدواوير والسبب واضح هو أنها ليست مغطاة بالغابات ومن السهل مراقبتها من مراكز العدو العسكرية البالغ عددها ثلاث هي: لمحد، ووادي الرحى، وقنطرة وادي جنجن، كما يمكن مراقبتها من معسكري تكسانه وسلمى.

وكان موضوع هذه الإجتماعات هو: شرح وتبليغ الأوامر والتوجيهات السابقة الذكر، والتأكيد على تطبيقها. كما أؤكد لهم قرب فشل العدو في حملاته المتكررة وقدرة جيش التحرير على إفشاله، وقد تعرضت وحضرت عدة حملات تفتيشية وإرهابية للعدو (ولم أصب بأذى) والفضل يرجع للمناضلين وللشعب اليقظ الذي كان يعتبرنا إخواناً له.وقد مكثت في هذه الدواوير طيلة شهور مارس وأفريل وماي60، ثم اتجهت غربا نحو دوار "بني فغال" المشهور بجباله وبكثافة غاباته وبفقره ومن مشاتيه: المسيلة وقريولة والجوزات ومرغان وأشهر مراكزه العسكرية "سلمى"، ومعظم سمانه مهاجرون في العاصمة والمقيمون فيه يحترفون الرعي وغرس الأشجار المثمرة والزيتون ثم الخضر، وقد رحل العدو الخبيث بعض سكانه إلى سلمى، وكان جيش التحرير يطيب له المقام فيه لسهولة الإنتصار على العدو كلما سنحت الفرصة لضربه ولكون سكانه يكرهون الرومي كراهية شديدة ولوجود عدد لا بأس به من أبنائه في الجيش.

لقد شعرت في هذا الدوار براحة كبيرة لولا المناظر المؤذية التي أشاهد عليها أبناؤه وهي مناظر تذكرنا وتعيد لذهننا مأساة 130 سنة من إحتلال الفرنسيين لبلادنا ولم تكن تلك المناظر تتعدى أمية المواطنين من جهة وجوعهم وعريهم من جهة أخرى، بينما عدونا الأكبر أو القائد الأعلى لعدونا "الجنرال دوغول" يخطب في عسكره ببلادنا في هذه المدة وهو يدعي كذبا بأنه وجيشه يعمل من أجل أن يعيش الجزائريون إخواناً للفرنسيين وذلك في جولته التي سماها "جولة المطابخ"، فعجبا له ولقواته المسلحة؟ إنه يأمرهم بأن يحققوا له الإنتصار العسكري في الجزائر ويجزم لهم بأن فرنسا ستبقى بالجزائر. ويأمرهم بأن يصدقوه بأنهم ما زالوا هنا في الجزائر لمدة طويلة، وأن المعركة طويلة الأمد ويعيد إلى أذهانهم المقهورة بأنهم يحاربون هنا من أجل بقاء فرنسا بالجزائر؟؟.

– كنت أسمع جل إذاعات العالم من الجهاز الإذاعي الذي كان بحوزتي وأسجل أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي تناسب موقفنا وثورتنا، وكنت أترقب الإطاحة بحكم الجنرال دوقول الذي أكثر من زياراته للجزائر وأكثر من خطبه ووعوده ووعيده، وافتخاره بقواته التي ستجلب له الإنتصار، وكنت أعتقد كل الاعتقاد بأنه لا يكن لنا إلا الحقد ولا يأمل من حكمه لفرنساه إلا شيئا واحدا هو: تحطيم الثورة الجزائرية. ثم إثبات عظمته لأمته بأنه المنقذ لها ماضياً وحاضراً معيداً لأذهان عسكره وكل أمته في غرور بأنه المحرر لبلاده من الإحتلال الألماني وأنه المنقذ "للجزائر الفرنسية" في عام 45، وهو المنقذ لها أخيرا في ثورة 54.

لذلك كنت أتوقع الإطاحة به لأنني مؤمن بأنه يستحيل عليه هذه المرة أن ينقذ فرنسا من هزيمتها في الجزائر، وأن الجزائر ستحقق انتصارها، والفرنسيون لا يقبلون هذا الإنتصار لذلك فمصيره سيكون كمصير حكام فرنسا السابقين، وقد سعدت كل السعادة بتمرد جانفي العسكري ضده (عام60) ولم أكن أخفي هذه الأفكار عن الإخوة المجاهدين والمواطنين لذلك لم يفاجأوا عندما أخبرتهم بأن الجنرال بدأ يقلق ويبتعد شيئاً فشيئاً عن حب الإنتصار العسكري الذي حاول أن يحققه بواسطة "مخطط شال"، وتطبيق سياسة الأرض المحروقة والقيام لأول مرة في تاريخ حكمه لفرنسا بجمع الملايير من الفرنكات من المواطنين الفرنسيين الذين يبخلوا عنه بالمشاركة بالمجهود الحربي للقضاء على الثورة الجزائرية، وهاهو يخطو خطوة أخرى جديدة، إنه يعرض على جبهة التحرير (المفاوضات)، إنه يريد

أن يغير وسيلة الحرب أو يجمع بين الوسيلتين، وسيلة القوات العسكرية ووسيلة الحيل السياسية وكأنه يعيش في القرن19 ومع الداي حسين؟؟؟؟؟ ولكن جبهة التحرير كانت أقوى منه عسكرياً وأدهى منه سياسياً. لم ترفض دعوته، والتقى الوفدان لمدة خمسة أيام في شهر ماي 60 ثم عاد الوفد بعد أن تأكد أن الجنرال يريد أن ينتصر بالمكر السياسي بعد أن عجز عن الإنتصار بالغزو العسكري الذي إستعمل فيه كل ما عنده من عتاد ورجال وحلفاء، وكفي التذكير بهذه الأرقام ليعرف القارئ أن الجنرال لم يدخر شيئاً من أجل القضاء على الثورة الجزائرية وإنقاذ فرنسا من هزيمتها في الجزائر كما انهزمت في الهند الصينية وهذه الأرقام هي:

60جنرالا. 700 عقيد. 1500 رائد. 5300 ملازم ثاني. 6000 ملازم أول. 1000000 مجند. يضاف لها مشاركة الحلف الأطلسي، وعزل الجزائر عن جارتيها تونس والمغرب وتهجير السكان من أريافهم بحيث بلغ عددهم ثلاث ملايين محتشد بالإضافة إلى سجن وإعتقال نصف مليون مواطن، ومليون مهاجر إلى المدن من الأرياف المخربة ونصف مليون من اللاجئين إلى كل من تونس والمغرب.

– في خضم هذه الأحداث كان عملنا الرئيسي هو التصدي بكل الوسائل لتحطيم مخطط شال وفي شهر جوان من عام 60 دعيت لحضور إجتماع قصير جداً بمقر الناحية الثانية الذي كان في دوار بني يجس، وأخبرت فيه بأني رقيت إلى رتبة "مساعد" وصار راتبي2000 سنتيم وصرت مسؤولا عاما للقسم الأول، وفي الحين غادرت الناحية وإتجهت نحو شمال القسم ولكني سقطت في كمين للعدو ليلة 23 جويلية بمشتى شدية فجرحت فيه جرحا بليغا في ذراعي الأيمن بمعية كل من الإخوة بن سويعد الطاهر وبوجرده رشيد وعمار وكلاهما من نفس المشتى ومنعنا من الموت بأعجوبة، وقد توقفنا عن النشاط هذه المرة لمدة حوالي شهر وعالجتني والإخوة السابق ذكرهم الممرضة القديرة "يمينة شراد" في مستشفى جبل "حرمة" الذي كانت مسؤولة عنه.

ويجدر بي أن أقدم صوراً للأوامر والقرارات والتوجيهات الخاصة بالنظام الثوري في الفترة التي تمتد من أكتوبر 60 إلى أفريل 1962 يجدها القارئ فيما يلي.

القسم الخامس

من الصفحة 146 إلى 187

* صور من الحياة التنظيمية لثورتنا
* مظهر من وحشية المحتلين
* حصيلة النشاط السياسي والعسكري
بالناحية 2
* إطارات الناحية 2
* خاتمة المطاف

صور من الحياة التنظيمية لثورتنا المظفرة

يحدد زمن هذه الصور بأول أكتوبر 60 وينتهي بيوم 23 أفريل 1962، وتشمل نشاطات عدة منها الأوامر والإجتماعات ومحاضر جلسات والمشاكل المعاشة نظاميا وشعبيا والصراع الدائم بين عناصر الثورة وقوافل الإحتلال الفرنسي المندحرة. مكانها الناحية الثانية من المنطقة الأولى من الولاية الثانية والتي كانت مكونة من خمسة أقسام هي:

تكسانه . الشحنه . الشقفة . الطاهير . جيجل . (تشمل اليوم بلديات كثيرة مثل: برج الطهر، وبني احبيبي، وسيدي عبد العزيز، والثلاثاء، والأمير عبد القادر، وجيملة).

– وأول صورة أبدأ بها هي مجموعة الأوامر هذه التي أعطيت لنا بتاريخ 60/10/01 من قيادة الناحية الثانية وتحتوي على ما يلي:

– **في الميدان النظامي:** يجب عقد إجتماعات شهرية لكل منظمة. مع تسجيل الأعمال اليومية وأخذ الموقف وقت حصار العدو.

– **في الميدان الإداري:** تكوين الإدارة للاجتماع والعمل لسهولة وسرعة الإتصال ووضع رمز للأوامر.

– **في الميدان السياسي:** تعيين سلاسل بالمدن للإشتراكات عن طريق أشخاص من كل مشتى.

– حصر قائمة الأغنياء وخاصة العاصين عن دفع الفروض. وتكوين المنظمات النسائية، وتوجيه نداء لسكان المدن لأخذ إعانة منهم لسكان الجبال.

– تكوين لجان لتسيير المحتشدات الإجبارية وتنبيه حول تنظيم الشبيبة وعقد إجتماعات لها.

– وضع نظام للقرى على شكل مناسب للظروف.

– فصل الشعب عن العدو بكل وسيلة.

– منع بيع وشراء القشر وأينما وجد يحرق.

– دفع المال شهريا للسلطة الأعلى ولو بغير تقارير (مال الفروض والإعانات) وتقديمه في الحين إذا زاد عن 30 ألف فرنك على أن مسؤولية المال تقع على المسؤول العام لكل منظمة، وكل من رفع مالا عليه أن يدفع وصلا بذلك.

– رزق النظام يقع ويدخل تحت يد المجالس الشعبية.

* أما الإعانة الخاصة بالمجالس الشعبية المقيمين في غير دواويرهم فتكون بين 400 و800 فرنك والمنح العائلية تعطى عشرة أشهر في السنة عدى شهري فيفري وسبتمبر.

الزواج: مطلبان فقط في الشهر للنظاميين. ويقدم في الحين تقرير الزكاة وعليكم جمع المدفوع من كل نوع وجعله تحت يد النظام. الإشتراكات الشهرية من 300 فرنك فما فوق. إشتراك البغال يحذف (كل من يملك بغلا كان عليه أن يدفع سنوياً للنظام 500 فرنك) ما عدى التخلفات. بغال الفارين الذين فروا إلى المدن أو الذين رحلهم العدو تغنم. عليكم بشراء 800 صاع من القمح وخزنها ووزعوا التموين شهريا. يجب ربط السلاسل– الإتصالات مع الأقسام المجاورة. كما يجب أن الإتصال بين جميع المنظمات نظراً للخطر الموجود بين حد قسم وآخر. ويجب دراسة القضايا المشتركة والاجتماع يكون مرتين في الشهر وعليكم بتصحيح مراكز البريد ولو بواسطة النساء ويجب أن نشهر مكاناً خاصاً بالقسم ويجب تصحيح نظام الأخبار في الميدان الإقتصادي.

* رتبة النواب السياسيين والإخباريين ومسؤول المستشفى هي: عريف.

* يجب أن تكون لكل فرقة من الجيش ثلاثة مخابئ لخزن الحبوب وأن تكون في مأمن من العدو.

* يجب الإهتمام بتكوين الممرضين بواسطة تدريبهم في المستشفيات التابعة للجيش.

* يجب تحسين ورشات الأسلحة (إصلاح وتحويل) وشراء أدوات صنع المتفجرات.

* يجب تخريب مصالح العدو بكامل الاهتمام.

* التمهيد لخدمة المخابئ في القرى، سياسية / عسكرية.

وهذه أوامر أعطيت لنا من قيادة الناحية الثانية أيضا في أواخر نفس الشهر– أكتوبر 60 وذلك بمشتى أولاد طاهر وتتعلق بما يلي:

* **خدمة الشعب:** يجب أن تكون في حالة استمرار، وكونوا خلايا وأفواجاً حسب طبقات المجتمع وعليكم بتنظيم المدن والقرى سواء بلجان التسيير بالمدن وبالمجالس الشعبية في القرى مع التوضيح التام لأهدافها ويجب و يجب تقوية وتنمية التنظيم النسائي والعمل على تغلغله في جميع طبقات الشعب.

* يمنع مستقبلا تبديل أي مجاهد من قسم لآخر.

* أعمال التخريب يجب أن تتواصل وبكثرة ويكون القصد منها التوجه لطرقات العدو ومواصلاته، وكل قسم عليه أن يعمل بكل جهوده لإحضار وسائل العمل. ويطلب من كل قسم أخذ جميع الإحتياطات اللازمة لإعدام النواب المسلمين (الخونة).

* برنامج الأعمال العسكرية يجب أن يعمل به في الوقت المحدد من ؟ إلى ؟؟؟.

في الميدان السياسي: يجب أن تتكاثر الأعمال التربوية والتوجيهية في كل طبقة من نظامنا وهي: الجيش. السياسيون. التموين. الشعب. ويجب الإنتباه إلى إرسال الرسائل إلى جميع المواطنين وقدماء المحاربين المسلمين (إتبعوا الأوامر الأخيرة في هذا الموضوع).

في ميدان التموين:

– يجب على كل قسم أن يأخذ جميع التدابير اللازمة لشراء اللباس الشتائي والبطانيات، وكل مجاهد أن تكون له زاوره أي بطانية.

في ميدان المال: يجب إيقاف الحسابات إلى شهر ديسمبر 60 (تأخر نظام المحاسبة في الفترة الأولى لعمليات"الأحجار الثمينة" من نوفمبر 59 إلى سبتمبر60) ويجب أن تعطى الأموال إلى المنطقة يجب بذل جميع المجهودات لتبديل الأموال بالفرنكات الجديدة.

مخصص ذكرى الفاتح نوفمبر:

– يجب إتخاذ جميع التدابير اللازمة لإحياء ذكرى أول نوفمبر بهمة عالية، نذكر بالوجوب على الناحية أن تجعل هذه الذكرى في كل وحدة ويمنع التجمع. وكل منطقة تحتفل في المكان الذي توجد فيه. تعين الناحية 350 ألف فرنك لكل قسم.

– وهذه أوامر أعطيت لنا في اجتماعنا مع الناحية الثانية (وكنت مسؤول عام القسم الأول بها) وذلك بتاريخ 24 مارس 1961 وهي تنص على تنظيم المرأة الجزائرية بشكل أفواج، ومراقبة المرشدات على تطبيق الأوامر الواردة من القسم والناحية والمنطقة وعلى كل أعمالهن.وتنص الأوامر على منع كل من أطلق سراحه العدو من النظام أن يرجع للنظام إلا بعد إختباره ويرجع تدريجيا إذا نجح في البحث، ويمنع عليه حمل السلاح. أما إذا إعترف للعدو بأسرار النظام فإنه يعدم إثر خروجه. وكل نظامي يعطى له العمل حسب مقدرته. والإجراء المتبع في هذا الموضوع يلخص في التالي: يظهر الإعتراف للعدو وبأسرار النظام من طرف الأسير بقرائن ثابتة، إذ أن العدو يجبر الأسير على الخروج معه

ليدله على مراكز النظام وعلى عناصره وعلى مخابئ الثورة سواء للأشخاص أو الأرزاق، فإن أدله فعلا فإن العدو يحدث لنا خسائر في الأرواح والأرزاق، وإن لم يدله على الأشخاص ودله على مراكز مهجورة فإن الخسائر لن تتعدى تخريب بعض البيوت، وعلى قدر الخسائر يحاكم الأسير المسرح أو الفار. كما يلزم صنع مساكن خماسية بكل دوار من دواوير الجبل في الأماكن المأمونة. ويلزم تكوين أماكن المرور. كل مسافر برخصة من النظام أو حشده العدو فرزقه له، وإن احتاجه النظام يأخذه ويعطيه ثمنه. وإن سافر أو رحل بلا رخصة فرزقه للنظام. كل قسم يلزمه محاسبة الناحية شهرياً وترفع التقارير والأموال للناحية بمجرد الإنتهاء من المحاسبة.

– يمنع على الأقسام إعطاء أوامر جديدة دون علم النظام الأعلى أي الناحية. يلزم تقديم قائمة الشعب القادر على دفع إعانة للنظام للتغلب على الصعوبات السابقة. كل من دخل المستشفى يبقى على حاله حتى ينهي تكوينه. العساكر المسلمون: الخارج منهم من ثكنات العدو بإتصال والمعروف بسيرة طيبة يبدل له سلاحه الذي أتى به، وغير ذلك ينزع له السلاح. من إعتدى على نظامي فعقوبته درجات ولكن دون الموت، إلا على مسلح– مجاهد– فعقوبته الموت.

تهمة الزنا: من قدمها فعليه البيان الكافي وإلا فليعاقب هو، العقاب الشديد.

السلف الموجود عند النظاميين يجب أن يدخل أو يقدم تقرير عن حالة المسلفين ومكاسبهم. يقدم تقرير عن الخسائر المادية والإنسانية النظامية والشعبية خلال ديسمبر 60 وماي 61. وتقرير عن العمليات العسكرية خلال نفس الفترة وخلال نهاية شهر مارس 61. وتقرير عن عمليات القسم الأول من أكتوبر 60 فما فوق. يجب إلغاء فوج الإنقضاض وعمله تقوم به الفرق.

النائبان السياسيان: يعملان بالتناوب أحدهما في المحاسبة والآخر في الإرشاد. يفضل جمع مجلسين أو ثلاثة في المحاسبة– الأمر اليومي– مراقبة السلاح والمنح العائلية والرخص. عقد إجتماع لهيئة الدرك ومحاسبتها عن أعمالها. التقارير الشهرية التي يجب تقديمها هي: السلاح، الشهداء، الأسرى، المالية، التقرير الأدبي للجيش وللشعب، الخسائر في الأرواح، التقرير النظامي، الراتب الشهري، أحوال العاصين من دفع الفروض.

وجاء في محضر جلسات الإجتماعات التي تمت بين إدارة القسم الأول من الناحية الثانية للمنطقة الأولى إبتداء من يوم 30 ماي 61 بالمرج، برنامج العمل التالي: إعادة تنظيم المرأة والشباب بشكل أفواج ونصف أفواج. قائمة الأغنياء القادرين على دفع إعانة للنظام. الخسائر المادية والإنسانية النظامية والشعبية كل شهر. عقد إجتماعات للمجالس ومختلف اللجان بالميدان السياسي وكذا للشعب والحضور إجباري وسط الرجال ووسط النساء الانتباه إلى إصدار الرخص للسفر وللذهاب للأسواق، ويجب مراقبتها – ومن خلال عروض الحال التي قدمها الحاضرون في الاجتماع تبين الوضع الحسن للنظام العسكري من حيث اللباس والأغذية والعمليات العسكرية وتخفيف الوحدات منذ بداية عمليات مخطط شال.

الميدان السياسي: تم بناء الهيكل الجديد، وتواصل النشاط، والميدان لا بأس به من جميع الوجوه سواء من حيث جمع الإشتراكات أو الثقة بالجيش.

الميدان الإخباري: من ناحية الأخبار الخاصة نلاحظ ضعفا بسبب الجهل والإحتياج للعمل بالمدن أما من ناحية المواصلات فلا بأس به. والأخبار العامة متوسطة.

الميدان الإقتصادي: اللجنة المكلفة به لا بأس بها والمخابئ متوسطة. وتم تنظيم المرأة الجزائرية وكذا الشبيبة، وتمت مراقبة المساجين المسرحين وكذا مراقبة الرخص.

وجاء في آخر هذه التعليمات ما يلي:

القيام بالأعمال العسكرية ليلاً ونهاراً –كمائن، تخريب– إحترام سلم الأوامر والأمر ينزل عن طريق النظام، مراقبة السلاح، وقائمة الحراسة والدورية. والقيام بالدروس الأخلاقية، تنظيم شبكات إخبارية، الاتصال بالعساكر المسلمين والضباط والموظفين، القيام بتتبع الأبحاث عن المشكوك فيهم، تقديم التقرير الأسبوعي وغيره في الحين، تنظيم السلاسل للمواد الغذائية والملابس والدواء في المدن والمحتشدات، تنظيم رقابة على المخازن والأسعار والشراء والإستهلاك، تخبئة ملابس الشتاء، في الإجتماعات الخاصة الشعبية يفضل جمع مجلسين في اليوم مع تحديد برنامج العمل اليومي وتكون المحاسبة حسب النشرة الخاصة بالمجالس، بذل جميع المجهودات لعقد إجتماعات للمسؤولين ومراقبة مداخلهم، يجب إعطاء توجيه لفصل الحبوب والإعتماد الكلي على الناحية الثالثة (ميلة– فرجيوة– العلمة).

مطلب الزواج والترخيص به: المنطقة ترخص للجنود والناحية للمسبلين والقسم للمناضلين.

الراتب الشهري: رجال الدرك وحراس الغابة ولجان العدل والتموين مقدر بـ1000 فرنك للواحد وكل من يدخل لهذه المنظمات يبقى على حاله لمدة ثلاثة أشهر وبعدها يأخذ الراتب حسب الأمر.

رخصة الراحة: يمكن للقسم أن يوافق على ثلاثة أيام فقط وللناحية على خمسة أيام مفتوحة دون أيام الطريق.

* النظامي الذي أطلق سراحه العدو ليس له الحق في الإعانة والمنحة. أما العودة للعمل فبعد الدراسة.

* الأشخاص القادمون من أقسام مختلفة يرسلون إلى محل عملهم السابق طوعاً أو كرهاً ما عدى جنود الناحية الثالثة وذلك لظروف خاصة.

* العساكر القادمون من طرف العدو يجب تفهيمهم على حسب الأوامر السابقة.

* المشبوهون في المناطق المحررة (المحرمة من طرف العدو) لهم الحق في الأكل والشرب وتنظيمهم على شكل أفواج دون إدماجهم في المنظمات الثورية (المشبوهون من طرف العدو والفارين) كل معفي (عاجز) وهو نظامي لاحق له في البقاء في داره ويعطى له العمل حسب طاقته.

قائمة الهيكل النظامي: تقدم حسب النموذج القديم لجميع الميادين. بعد هذا توقفت الجلسة على الساعة الثانية عشر وتأجلت المسائل التالية: المحاسبة المالية، الشؤون المتنوعة، الإقتراحات، والرغائب، وكان سبب التأجيل هو الأمر الصادر إلينا بالتوجه إلى إدارة الناحية الثانية التي كان يرأسها الشيخ أحمد لشهب والتي كانت متمركزة بدوار بني يجس (بلدية جياله) وعندما وصلنا وجدنا الناحية قد أعدت لنا اجتماعا آخر يحتوي على نقطتين هما:

1- توجيهات عامة واردة من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عن طريق الولاية الثانية.
2- برنامج العمل مع مختلف المنظمات.

بدأنا الإجتماع فوراً وذلك يوم فاتح جوان 61 وكان كالتالي:

– قراءة التوجيهات العامة المذكورة أعلاه ثم توزيعها على الحاضرين وكان الهدف منها توحيد كيفية تنظيماتنا وطرق أعمالنا بالنسبة للجزائر عامة. أما محتواها فهو كما يلي:

– الهتافات الواجبة هي: الجزائر مستقلة، يحيا جيش التحرير الوطني، تحيا جبهة التحرير الوطني، تحيا الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، الجزائر وحدة لا تنقسم، المفاوضات مع الحكومة المؤقتة، ضد كل برنامج مفروض، وحدة المغرب.

– **ما يجب أن نقوم به في الحين**: حملة تضامن مع المساجين، زيارات وإرسال طرود ورسائل.التشهير بالقمع الإستعماري في الصحف الفرنسية والأجنبية. القيام بحملة رمز (أ) المالة على كلمة الإستقلال. وكتابتها على الجدران. عودوا الشعب على التحية باليد والسبابة رمز الحرف الأول لكلمة الإستقلال. تحضير الجماهير من اليوم على القيام بمظاهرات بالدرجة الوطنية وخاصة يوم ترشيح المشروع التنفيذي الديقولي، تنفيذ دوقول للجزائر جزائرية. حكومة باوداي. تحضير الجماهير لتمزيق بطاقات التعريف. يجب تنسيق المجهودات ليقع القيام بهذه الحملة في يوم واحد والمنطقة هي التي تعين ذلك اليوم. تعويد الشعب على الحديث في المشاكل السياسية الخاصة بالجزائر المستقلة وبالجمهورية الجزائرية.

– **كيفية تنظيم الجماهير**: يجب تقوية النظام بأتم معنى الكلمة وهو الجبهة بتراكيبها السليمة والسلمية ومن هذه القاعدة تنظم الجماهير وكل جزائري وجزائرية ينظم إلى اثنين آخرين والتزموا بيمين موداه: (الإستجابة لأوامر الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وتطبيقها حرفيا).

– **ملاحظة:** هذه الأفواج الثنائية لا ترتبط ببعضها ولا تجبر على القيام بعمل نظامي. فائدة هذا التنظيم خلق جو ثقة. ويتحقق هذا التنظيم بدرجة المنزل العائلة، البناية، الإدارة، المصنع إلخ...

– إتصلوا بعمال المراسي ترقبا لعمل موحد في المراسي. ولتحقيق عاطفة التضامن والتعاون يجب على النساء زيارة ضحايا القمع وإستعمالهن لنشر أوامرنا في العائلات.

– **موقف تجاه بعض الأصناف الجزائرية:** يحاول العدو تجنيد الجزائريين ليجد دعوى أن قسمة من الجزائريين معه: حركة، ومرتزقة، هؤلاء خونة ولعبة في يد العدو، فيجب حينئذ نزع هذه اللعبة منه أو على الأقل التخفيف من شأنها.

- **الحركة والمرتزقة:** يجب التغلب على عاطفتنا والإتصال بهم ويوجد من بيتهم من يعين النظام، ويجب إخبارهم بالحالة الراهنة أي بإستقلال الجزائر، ويمكن ربحهم للقضية الوطنية الجزائرية. يجب أن ننزعهم من يد العدو لكي لا يبقى مستعملاً إياهم ويجب وضع حد لهم وإدخال الشك في نفوسهم حتى نرجعهم يعملون لفائدتنا وأنهم ناضجون لهذا ويوجد من بين هؤلاء عدد كبير في فرنسا لهم عائلات معنا وقد اتخذوا بالفعل مواقف معينة اتجاهنا. ومن جهة النظر العملية يجب علينا عقد إتصالات معهم ومنعهم من الذهاب إلى الخارج ونوجب عليهم أن يعملوا في الداخل، وكل منتخب وقع الإتصال به ورتبناه يجب عليه أن يتصل وينظم الآخرين ليتخذوا مواقف نحو نقاط معينة مركزية آتية:

يجب على الشعب أن يسترجع علاقاته مع الميزابيين لتحطيم مناورات العدو الرامية إلى جعلهم كطائفة في الوطن. ويجب إعطاء أمر لكي لا ينتشر أي أمر ضد الميزابيين وأن لا يتبع الشعب أي توجيه يصدر من العدو. وعلى الطلبة خلق إتصالات مع الصحافة أنشر النتائج والهدف الأساسي لعمل الجماهير كما يمكنهم إخبار الصحافة الأجنبية بما فيها الفرنسية بالقمع ويمكنهم أن يجتمعوا ويصوتوا على لائحة سياسية.

المنتخبون: هؤلاء قد إنتخبوا فعلاً إنتخابات مزيفة، ونظراً للحالة السياسية الراهنة ونتيجة عددهم نواب شيوخ، نواب عماليون، نواب عامون، مستشارون، ووجودهم هكذا كان وسيلة في يد العدو ولا نقدر محوهم جسديا لهذا يستوجب اتخاذ طريقة أخرى تجاههم كالحركيين مثلا. ويجب الحكم على سياسة كطائفات والحكم على تقسيم الجزائر (الوحدة الترابية مع الصحراء) ونكون ضد كل برنامج مفروض وضد المشاركة في أية حكومة (دوقولية) والمطالبة بالمفاوضات مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وحدها.

ملاحظة: يجب الإنتباه خاصة أن أعضاء اللجان المنتخبة، وأن آلام شعبنا هي نفسها تأمرنا بالتغلب على عواطفنا وبالترفع عن كل شيء مع إعطاء الأهمية لكل ما هو نافع لخدمة المصلحة العامة فقط.

في الميدان الداخلي: هذه العناصر الأساسية الجديدة: الجماهير، يجب أن تكون فقط عاملا لتغيير عمل العدو وهدفه ولكن يجب أن تصبح عناصر عاملة للكفاح الموحد والدائم.

في الميدان الخارجي: قد وقع القيام بمجهودات كبرى لإستغلال عمل جيش التحرير الوطني والجماهير الحضرية وانتصاراتنا بهذا الميدان في البلدان الإفريقية والعربية والآسيوية والأوربية الشرقية وبعض البلدان الغربية، قد أجبرت العدو على اتخاذ موقف دفاعي والقيام ببعض التنازلات ولم تحدث هذه النتائج إلى بعمل جيش التحرير الوطني ومظاهرات الشعب بالمدن فيجب حينئذ مواصلة عمل الجيش وتوحيد عمل الجماهير لتقوية عملنا السياسي وإجبار العدو على التفاوض حسب أسسنا.

– **كيفيات العمل بدرجة الجماهير:** إن تجارب مظاهرات 11 ديسمبر 1960، بينت أن لعمل الجماهير نتيجة فعالة جدا. ففي الداخل حولت تجاه العدو ووضعت جو ثقة وإنفراج، وفي الخارج بينت حقيقة تمثيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية للشعب الجزائري، لذا يجب القيام بحكمة وفي ظروف دقيقة خاصة بالمظاهرات بحيث يجب أن لا تكون المظاهرات إلا بأمر الحكومة الجزائرية لإظهار تعاون الجماهير مع نفس الحكومة.

الإضرابات: لا ينادى بالإضراب إلا بعد توجيهات خاصة ويجب الإمتناع عن نشر أو توزيع أو تركها على حالها. يجب تجنب معارضة الجماهير بمواقف صارمة، وسيرجع الشعب بصفة تلقائية إلى إستعداده. ويجب إعانة هذا الإندفاع بمواقف ذات مرونة مع تجنب إيقاف هذا الإندفاع بمواقف لا تجيب على رغائبه ولا تتفق مع إمكانياته.

ملاحظة هامة: التجنب الكلي من إعطاء طابع عنصري، جزائري ضد أوربي. أو ديني مسلم ضد مسيحي، يهودي. أو هدام، عند قيام الشعب بمظاهرات أو غيرها. ويجب إعلام الشعب أن العدو يرسل مشوشين في مناسبة المظاهرات لتحويلها عن أهدافها السياسية والأساسية وضياع معناها الأصلي.

عمل العدو في الميدان الداخلي: يعرف العدو أن الجزائر ستستقل، ولكن بعمله يحاول أن ينقص من شأن مواقفنا القوية لإفراغ الإستقلال من معناه فوسع نشاطه في جميع الميادين ووجهه أولا للعنصر الأساسي للثورة وهو جيش وجبهة التحرير الوطني، وقمعه للشعب ثانيا ثم التخويف والترغيب وإعطاء المناصب الخ.. كي يحاول بهذا تقسيم الشعب الجزائري وإبعاده عن الثورة ومن قادته أو على الأقل قسمة منه وبهذا يريد خلق مشكلة (الجزائر مع فرنسا) الشيء الذي يمكنه من إتخاذ الموقف الحكم. لذا يجب تحطيم هذه

المناورة، وأخيرا وبواسطة القمع العام وبأوجهه العمومية يريد كالماضي تحطيم إنطلاق الشعب، ولهذا إستوجب توجيه شعبنا نحو أهداف دقيقة، وهو موضوع التوجيهات.

عمل العدو في الميدان الخارجي: إستنادا على العناصر الجزائرية التي بيد العدو، منتخبين، عساكر، حركه، مجندين، يحاول العدو في الخارج وضع مشكلة تمثيل الثورة الجزائرية وتقليل قيمتها. وبالرغم من فعله هذا وفشله فيه فإنه يحاول إسترجاع نشاطه بنشر التفرقة والشكوك في صفوفنا ومساندة التيارات الجهوية وتحطيم وحدتنا التي هي أساس قوتنا.

عملنا: زيادة على قوتنا العسكرية التي تبقى عنصر قوتنا الأساسي والتي يجب أن تقوم بنشاط في ميادين أخرى للإسراع في هدم العدو، يجب ربح أو جلب الشعب من جديد بتوجيهه وتعيين أهداف له وكذا طرق تنظيمه بدقة مع تنظيم طرق عمله – تحريض–، ويجب تدريب الجماهير على فكرة التضامن العملي في الكفاح مثلا: إذا سلط القمع على مدينة أو حارة، يجب على سكان المدن والحارات الأخرى أن تتحرك سياسيا. ويجب أن تركزوا أعمالكم ضد نية (دوقول) حول الجزائر جزائرية. إن سياسة إيجاد حكومة (بوداوية) نسبة إلى خائن شعبه في الهند الصينية. والتي يرمي بها إلى تقسيم شعبنا وتجزئة ترابنا الوطني، ويجب إفهام الجمهور وتحذيره من المشاركة في حكومة من هذا النوع وتأييدها واعلموا أن تصريحات بعض النواب المنتخبين تؤكد إحتمال ظهور من يقبل (الحكم البوداوي) هذا ويجب أن لا يتصف كفاحنا بصبغة عنصرية أو دينية الشيء الذي يخدم مصلحة العدو وطبقا لهذا يجب أن يدرب الشعب على الإتصال بالأقلية الأوربية والتحدث مع عناصرها على مستقبل الجزائر الحرة وبإدخال الثقة في نفوسهم وحتى إذا لم نربحهم جميعهم نربح قسما منهم وندخل الحيرة في نفوسهم ووسطهم وأن الأمل أصبح حقيقة. متى ؟ وكيف؟ بهذا سنفهم فحوى الإستقلال ونشرع في تحقيقه. أما النقطة الثانية الخاصة ببرنامج العمل مع مختلف المنظمات فتركت للمسؤول السياسي للناحية الثانية الذي كان يترأس اجتماعنا. وقد غادرنا مقر الناحية وذهبنا إلى مقر القسم الأول بالمرج حيث كنا، والمرج دوار ببني فوغال بلدية العوانة، وتابعنا إجتماعنا الأول وأول جلسة كانت بتاريخ 1961/06/08 والموضوع دراسة التقارير وهي:

– التقرير النظامي لشهر نوفمبر 1961، وكان العدد العام به هو 504 بينما كان في أكتوبر /465/6/5 فالزيادة عن الشهر الماضي هي 39 من عناصر جبهة وجيش التحرير الوطني وفي الغد درسنا الراتب الشهري ثم المدخول والمخروج المالي ثم الأعمال العسكرية ونتائج الأخبار والتموين ثم درسنا تقارير شهر ديسمبر 60 بتاريخ 10 جوان 61 ولكننا لم نكملها بحيث توقفنا عند منتصف النهار بسبب أخبار وصلتنا مفادها أن العدو عازم على الخروج في عملية (راتيساج) إلى دوار المرج وقد جمع قواته في الطريق الوطني بين مدينة جيجل والعوانة فقمنا في الحين بتخبئة كل ما عندنا من تقارير في مخابئ خاصة واستعد كل منا وصعدنا القمم تحسباً لأي طارئ ولكن العدو لم يخرج للجهة التي نحن بها بل ذهب إلى ناحية جبال "زيامة منصورية" قرب المكان الذي نحن به.

وفي يوم 61/06/12 إستأنفنا إجتماعنا وكان الموضوع هو دراسة تقرير التموين وعلى سبيل التذكير فقد عجز مسؤول التموين في الإجابة عن سؤال قدمه له مسؤولنا وهو: من أكل 1 كلغ من الزبدة الوارد في التقرير مع أن الأمر يمنع إستهلاكها باعتبارها كمالية وقد تدخلت وأجبت بأنها قدمت لمستشفى الجيش ففرح مسؤول التموين وهو الأخ "قشاشه حمادو"، وأقسم بأنه إشتراها فعلا للجرحى ولكن المسؤول نبهه في غيض وقال له سجل ما تنفق قبل أن تدفع رأسك وإحذر مستقبلاً. وألاحظ هنا بأن جزءاً من التقارير لم تقدم، وأعطيت أوامر صارمة للمسؤولين عنها بتقديمها في مدة لا تزيد عن أسبوعين وكل من لم يطبق الأمر فإنه يعرف مصيره، وبعد هذه الإجتماعات تفرقنا وذهب كل منا لمقر عمله وميدانه.

أوامر داخلية لجميع مناضلي الولاية الثانية: قدمت لنا هذه الأوامر بتاريخ 15 أوت 61 وهي كما يلي:

إن مجلس الولاية الثانية يعلن ويبلغ بصورة خاصة إلى جميع مناضلي الولاية الثانية ويطلب منهم الفهم الكامل لهذه الأوامر الحاضرة والإجتهاد في تطبيقها كاملاً والهدف الأساسي من كل هذا هو إظهار:

1- التطور السياسي.
2- التضامن النظامي.
3- الطاعة المثالية.

4- القيام بعمل مضاد للهجومات والتحديات والمحاولات ومنع الإتحاد وإحداث التفرقة المسيرة كلها من الإستعمار.

إن المظاهرات التاريخية لشهر ديسمبر 60 قد أرغمت الإستعمار وعملاءه على إعادة النظر أمام العنصر الجديد العملي وهذه المظاهرات التي يحاول العدو تحريفها ونشر الكراهية بواسطتها وتحويل فكرة السلم والحرية للشعب الجزائري. وكل هذا ليقلب المظاهرات عن معناها الأصلي وليجعلها مضادة لعقليتنا وتصميمنا وحبنا للعدالة والديمقراطية. وهذا بإعطائه أوامر مغلوطة وبثه دعايات أغلبها مكذب، ويضاعف حركات وتيارات ضد الثورة. ونعلمكم بأن محاولات العدو في وضع ركائز وعملاء هنا وهناك في "حركة وطنية جزائرية" قد فشل في كامل الجزائر وحتى في فرنسا نفسها. هذه الأعمال وهذه الأهداف التي يرغب الإستعمار في تحقيقها ليست بخافية على أحد، ولكن معظم المواطنين يتساءلون كيف يستطيعون مواصلة كل هذه الحالة؟ والطاعة هي أحسن ضمان، وكل مناضل عليه أن ينفذ الأوامر والتوجيهات الآتية عن طريق سلم الدرجات، مثلا قبل الوصول إلى التنفيذ يسأل المشترك المناضل ويسأل المناضل المسؤول الخلية وهكذا دواليك. حرب أو سلم، مفاوضات أو عدمها، ضغط أو تحبب، وكيفما يكون الجو السياسي والحالة العامة في كامل تراب الوطن، فإن المناضل يجب أن يكون حذراً ومتحذراً، وعليه أن يهتم بالسر والحاجز، والعمل في سر وليونة ومرونة، ويتلخص عمله في ما يلي:

- بناء المستقبل، تهديم الماضي، وسيرة المناضل يجب أن تكون حسنة للغاية، لأنه العنصر الفعال في وسط الجماهير، ويجب عليه دائما: تجنب إنتباه العدو وتجنب الجهر في إتصالاته بالمواطنين للقيام بعمل الثورة، والتجنب الكلي للكلام السيئ، وتجنب التهديد بالموت أو الضرب لأن أي حدث من هذا النوع إن حدث فإنه يأتي من السلطة المسيرة، وعلى المناضل أيضا أن يتجنب التهديم والتدخل في أعمال وإتصالات المناضلين الآخرين التابعين لنفس الولاية الثانية، وموقف المناضل يجب أن يكون مطابقاً للمبادئ الثورية النضالية.

- **الطاعة أوالثبات:** على المناضل أن يحافظ على وحدة وأمن الشعب ويخبر بالحقائق ويتطور الكفاح التحريري.

- **الموقف تجاه الأقلية الأوربية:** يجب على المناضل أن يظهر لهم وطنيته بصورة واضحة كما يبين أهدافها الناضجة الرامية إلى قيام جمهورية جزائرية واحدة لا تتقسم،

ديموقراطية وإجتماعية. ويجب عليه أن يظهر الإرادة الطيبة للشعب الجزائري وتصميمه الأكيد على التحرر من القيد الإستعماري والعيش سلمياً مع الأوربيين مهما كان أصلهم، إسبانيون، إيطاليون، فرنسيون والترحيب بأياد مفتوحة لكل من إختار الجنسية الجزائرية ولهذا يجب إجتناب الكلام والعمل التعصبي والحقد الجنسي، وبالعكس يجب إظهار الصفة الشريفة للشعب الجزائري الذي رغم سبع سنوات من الحرب التي لا هوادة فيها ورغم الآلام القاسية، ورغم 130 سنة من الصعوبات والغبن الحتمي فإنه قد صمم أكثر من أي وقت مضى على تكوين الجزائر، أرض الرجل الحر دون تمييز.

إن مجلس الولاية الثانية يؤكد على الفهم الجيد والكامل لهذه الأوامر الحاضرة وذلك عن طريق سلم الدرجات. كل المناضلين ملزمون بالتخبير والإعلام بأنهم طبقوا هذه الأوامر الحاضرة وكل تعد أو تطبيق غير جيد لهذه الأوامر الحاضرة يحاكم ويعاقب من قام به. وكل هذا لكي تحيا الجزائر حرة مستقلة موحدة لا تنقسم وديموقراطية وكريمة.

"إقرأ، وأقرأ على الآخرين وافهم، وإحتفظ بهذه النشرة بإحترام"

إدارة الولاية الثانية، إنتهى.

– ولهذا المنشور ملحق هو التالي:

المظاهرات الشعبية: إتخذوا الإحتياطات اللازمة كي تتجنبوا التحديات وكي لا تفوتكم الفرصة حتى لا يتغلب عليكم الأعداء على إختلاف أنواعهم، وحددوا فترة المظاهرات في المستقبل إجتنبوا المظاهرات مثل التي حدثت يوم 19 و20 و21 جوان 61 في جيجل والطاهير وسطرا سبور (الأمير عبد القادر حاليا)، ويوم 61/07/09 في العلمة (سطونو سابقا). المظاهرات يجب أن لا تكون إلا بدرجة وطنية. في المستقبل وفي ظروف مثل هذه إنتبهوا وإسمعوا إلى تصريحات الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تبث من صوت الجزائر ومن إذاعات الدول الشقيقة والصديقة. وفي المستقبل يمنع منعا باتا وضع منطقة أو ناحية أو قسم عند كتابة أي منشور كما سبق، وكل نشرة يجب أن تكون كما يلي دون كتابة أي تعليق أو تفسير زائد: الجمهورية الجزائرية في وسط الورقة. جبهة وجيش التحرير الوطني على يسار الورقة والولاية على يمين الورقة. بعد هذا يكتب الموضوع.

حضروا في أقرب وقت القوائم التالية: قائمات الشهداء والأسرى في صفوف الجيش والجبهة من 01–11–59 إلى يومنا هذا قوائم العساكر المسلمين والقومية والمنضمين إلى

صفوفنا لنفس الفترة. قائمة الفارين من جبهة وجيش التحرير الوطني. قائمة حسابية إحصائية للأشخاص والأسلحة الباقية لنفس الفترة. وهذه أوامر من المنطقة الأولى الولاية –2– سلمت لنا بتاريخ 15 سبتمبر 61 في إجتماع وقع في نفس اليوم بدوار (المرج) وكان الإجتماع بقيادة الأخ "سي احميدة فريخ" بإعتباره قائدا عاما للمنطقة الأولى التي كانت تمتد من سطيف غربا إلى نواحي شلغوم العيد شرقا ومن سكة الحديد جنوبا إلى البحر شمالا، وتشمل حاليا الجزء الغربي والجنوبي لولاية جيجل والجزء الشرقي لولاية سطيف وكذا دائرتي فرجيوة وميلة، وكانت هذه الأوامر كالتالي:

نظرا للحالة السياسية الحاضرة فإن إدارة المنطقة الأولى تلفت نظر جميع المسؤولين والعناصر النظامية إلى مضادة للأخبار المذاعة من طرف بعض الإذاعات وكذلك ما تكتبه الصحافة اليمينية منها واليسارية والتي يغلب عليها طابع التفاؤل المفرط في نجاح المفاوضات الجارية بين ثورتنا وعدونا.

ولهذا فإن بلاغات الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هي وحدها التي تؤخذ بعين الإعتبار، ويجب على المسؤولين رفع معنويات النظاميين والشعب. يجب أخذ الإحتياطات لتحضير الجو لمظاهرات ممكنة ومحتملة. مبادئنا هي: الجزائر مستقلة. وحدة الشعب. وحدة الوطن. الصحراء جزائرية. وكل هذه المبادئ يجب أن تشرح وتوضح للشعب. ويجب في الحين إتخاذ موقف للقيام بحملة تدريب إبتداءً من 15 سبتمبر إلى 15 أكتوبر 1961 في القرى والمدن والجبال.

أكتبوا بالصبغة وبأحرف غليظة, على لافتات الطرق والمباني العامة وخزانات المياه وواجهات المحلات والقناطر ومحولات الكهرباء، أكتبوا الشعارات التالية: الجزائر مستقلة، الصحراء جزائرية. وحدة الشعب. تكتب هذه الشعارات باليد وبالآلة في أوراق وتوزع على كامل الدائرات.

وفي يوم 61/10/24 وقع إجتماع بمقر إدارة الناحية الثانية، وفيه تم تشكيل الهيكل النظامي لأقسام الناحية الثانية، وشملت الميادين السياسية والإخبارية والعسكرية والتموينية. وسلمت لنا بعد ذلك الأوامر التالية وهي:

– يجب إحترام سلم الدرجات. أخبر مسؤولك بأي عمل قمت به. إلتزم قانون حرب العصابات (اضرب واهرب) ولا تتجمع. يمنع تشغيل الراديو بصوت عال. إن وجد فالمسؤول

عنه هو مسؤول المنظمة الموجود بها. يمنع التجمع حوله. ولا يشغل وقت النوم. الشركة العاملة في القسم الثاني تدفع المطلوب منها. يمنع منعا قاطعا مكاتبة إذاعة العدو. سلف النظام عند الشعب يقدم تقريراً عنه. متى سلف؟ ولمن؟ وكم؟. إدارة القسم تراقب قائمة الإعانة الخاصة مع ملاحظاتها كتابيا. راتب حاملي البريد بالدواوير يحذف، وما يدفع لهم يعتبر إعانة. مسؤول الأخبار في القسم لا يتدخل في مسؤول الأخبار بالدوار، ومداخيله المالية تقدم تفاصيلها إلى المسؤول السياسي لتوحد مع المداخيل العامة. الأدوية بالأقسام: يعين شخص بكل قسم للتسجيل والرقابة. الذين أطلقوا أو فروا من العدو ورجعوا للعمل يكون راتبهم كراتب المنظمة التي يعملون بها. تقدم قائمة الأغنياء إلى المنطقة كي تدرسها بقصد التنفيذ.

السلف الفلاحي: يجب تقديم قائمة العاجزين عن الدفع مع ذكر ما يكسبون بدقة. كراء الزيتون يكون كالعام الماضي، ويجري بحث على النظاميين الذين اكتروا لأنفسهم ثم اكتروه لغيرهم ويقدم.

المال: ينفق الفرنك القديم ويخبأ الفرنك الجديد. وتزود الناحية الأقسام التي ليس لها الفرنك القديم. يجب تقديم قائمة أرزاق النظام شاملة. البريد يجب أن يصل بسرعة إلى الناحية. عليكم بإطلاع الأعضاء الجدد في المسؤولية على الأوامر والتوجيهات القديمة. قدموا تقريراً عن رفع تحية العلم وعن الإحتفال بمرور ذكرى فاتح نوفمبر 61.

الإستعلامات: للحصول على النتائج يجب مراعاة – الحاجز– إخفاء جهود وتضحية المناضلين، الشجاعة والسرية.

المواصلات: يجب مراعاة الشجاعة، والسر، والكتمان. تحديد دور مسؤول المواصلات والإستعلامات، إنه مسؤول مباشر على:

1- الإستعلامات الخاصة.
2- الإستعلامات العامة.
3- المواصلات.

أ- **الإستعلامات الخاصة:** يوضع مسؤول لكل دوار ومركز وقرية, وهو بدوره يكون عناصر له ويكون عددهم حسب الحاجة. شبكة الاستعلامات الخاصة تتمون من عنصر القرية والمحتشد وعنصر المواصلات التابعة للمسؤولين.

ب- **الإستعلامات العامة:** تكون أيضا في المحتشد والمراكز والقرى ولمسؤول لهذا الفرع السلطة على تعيين مسؤول بكل هذه الأماكن وهذا المسؤول يكون شبكة من 3عناصر+ عنصر مواصلات خاص بها كما يكون مسؤول الإستعلامات العامة ذو سلطة تامة على مسؤولي المراكز الإنتقالية بالقسم وعلى سعاة البريد الرابطين للأقسام بالناحية.

ت- **المواصلات الخاصة:** تكون تحت مسؤولية مسؤول الأخبار بالقسم. ومعلوم أن دورها خاص بتسيير البريد إلى المدن والقرى وكذا نتائج أخبار العدو وخاصة تحركاته.

*- **مهام مسؤول الإستعلامات الخاصة:** هو النائب الأول لمسؤول الإتصالات والأخبار وهو المسؤول عن الإتصال بجميع العساكر المسلمين وكذا القومية والحركة، ويرسل لهم الرسائل والمناشير بواسطة عائلاتهم وأصدقائهم، ويقوم بتنظيم شبكات في وسط جيش العدو وفي جميع إداراته مثل: لصاص، الصو، العاملات، البلديات، الدوائر، إدارات البريد، والضرائب، والسجون، والدرك، والشرطة.

وهو المكلف بتتبع المشكوكين وجميع من تعينه له السلطة الأعلى منه. وعليه أن يحاول تحطيم شبكات العدو وكشف الذين يعملون معه ولفائدته، وكل الخائنين للقضية الوطنية.

ملاحظة: جميع من يستفاد منهم في إدارات العدو، يجب أن لا يكونوا مشبوهين من طرفه. وعلى مسؤول الإستعلامات الخاصة أيضا أن يبعث شهريا لمسؤوله التقارير المعروفة، ثم يبعث على حدة قائمة الخونة والمشكوكين.

*- **مهام مسؤول الإستعلامات العامة:** هو النائب الثاني لمسؤول الإتصالات والأخبار وهو المسؤول عن مراقبة الشعب بواسطة عناصره في المدن والقرى والمراكز والمحتشدات، ويبعث بتقرير عن جميع ما حدث، ويراقب عن قرب مراكز العدو، عدده وعدته ودورياته المنتظمة، ويخبر في الحين عن أي تغيير حدث في عدده وعدته ووحداته العسكرية. كما يقوم بكشف الخونة ويبعث بأسمائهم ونشاطهم بسرعة. ويراقب كل الذين يكثرون من التردد على العدو ويخبر في الحين عن أي أجنبي دخل إلى مركز عسكري، ويراقب الخارجين من السجون، ويخبر بكل شخص قام بدعاية تفشيل، ويراقب عائلات

الخونة والقومية والحركة والعاملين لفائدة العدو دوما، وأخيرا يخبر بجميع ما يحدث من العدو، ويبعث بالتقارير إلى مسؤوله شهريا.

*- **مهام مسؤول المواصلات الخاصة:** هو النائب الثالث لمسؤول الإتصالات والأخبار. يقوم بدفع الراتب الشهري والإعانات لعناصر سعاة البريد ويقوم على سرعة تسيير البريد ويراقب مراكزه، يحافظ على سرية البريد، ولا يسير إلا من أتى على طريق سلم الدرجات. يراقب طريق المواصلات، يبدل ما كشفه العدو، أوله رقابة عليها. يزود جميع مراكز البريد بكراريس لتسجيل البريد الصادر والوارد. ويزود كل عامل بريد بسجل مباشر. يقدم لمسؤوله التقارير اللازمة المعروفة شهريا.

- وهذه أوامر تم تبليغها لأعضاء الناحية الثانية في اجتماعهم مع المنطقة الأولى بتاريخ 8 جانفي 62 ولم أحضر هذا الاجتماع بل كلفت بمهمة في القسم الثالث وفي اليوم الرابع عدت لقيادة نفس الناحية وبها إستلمت هذه الأوامر والتوجيهات من طرف عضو الناحية الإقتصادي الأخ سي صالح بلخلفة وكانت كما يلي:

- الإهتمام بتصحيح المواصلات بين قيادة الولاية الثانية والمنطقة الأولى في الناحية الثانية وذلك بخلق مراكز بريدية متعددة بعيدة عن أنظار العدو. منح راتب شهري لجميع المناضلين دون إستثناء محدد بـ1000 فرنك. منح راتب شهري لجميع المسبلات محدد بـ 800 فرنك. ويمنع منادات المسبلات بالعاملات. منح إعانة لكل مناضل لا يتمتع بأخذ المنحة بمقدار 2 قلبات شعير لكل فرد من أفراد عائلتة. قضية الفلين (القشر) يمنع استغلاله. إبعثوا رسائل للموظفين والنواب والمحاربين القدماء على النمط القديم. يجب تخصيص مكان ثان لإصلاح الأسلحة. منح جميع عائلات النظام التي لا تتمتع بأخذ المنحة مبلغ 2000 فرنك لكل فرد من الساكنين في المدن والقرى و1000 فرنك لكل فرد من الساكنين في الدواوير مرة واحدة خلال هذا الشتاء. حضروا التقارير إلى آخر ديسمبر 61. حققوا قوائم الفروض وادرسوا حالة المفروض عليهم المادية ثم اقترحوا الحل.

قضية المشبوهين: اعطوا العمل لجميع المشبوهين من طرف العدو. كل من ذهب إلى الشرق وعاد بدون سلاح يعطى له العمل ويعد في التقارير النظامية (هؤلاء هم الإخوة المتطوعون للذهاب إلى الشرق لجلب الأسلحة ولم يوفقوا فبقوا فارين من العدو وغير

مجندين لعدم توفر السلاح)، أما غير المشبوهين من العائدين من الشرق ولهم عمل خاص بهم فإنهم يبقون على حالتهم الشعبية.

القومية الذين تحكمون عليهم بالإعدام: ينفذ فيهم حكم الإعدام في ناحية أخرى وابعثوا مع كل واحد رسالة تتضمن مصيره. عليكم بالإجتهاد في تكوين وتدريب الممرضين وتخصيص شخص لتدريبهم. بيعوا كل الفضة الموجودة. عليكم بتقديم تقرير عن جميع العدة العسكرية بما فيها أدوات التخريب وأجهزة الإرسال والإستقبال والصاكات وغيرها.

* وهذه أوامر من الولاية 2، سلمت لنا في إجتماعنا بالمنطقة 1، يوم 28 جانفي 62، وكانت كالتالي: يجب على أعضاء النواحي الاجتماع بأعضاء الأقسام في كل شهر، وأعضاء إدارات الأقسام يجتمعون بالمجالس الشعبية وغيرها من المنظمات كل 15 يوما. ويجاب على أعضاء المجالس الشعبية أن يجتمعوا مع مسؤولي المشاتي كل أسبوع. راجعوا نشرة الإجتماعات. يجب على الجميع متابعة الأوامر القديمة التي أعطيت فيما مضى.

الرقابة: أعضاء النواحي يجب عليهم المراقبة المباشرة لأعضاء المجالس الشعبية وعلى القائمين بهذه المهمة مراجعة ودراسة مسؤولية كل عضو من الإدارات ويلاحظون أعمال كل عضو، وكيفية تقسيم أعمال المجالس حسب الأمكنة وأيضا يتفقدون الكيفية والوسيلة المستعملة لإعطاء الأوامر للذين هم تحت مسؤولياتهم . ويجب عليهم أن يراقبوا الحالة المالية لكل عضو – المدخول والمخروج– وأيضا فيما يخص الأنظمة الداخلية. وهذه المراقبات يجب أن يعمل بها حسب الأوامر القديمة المعطاة قبل هذا الاجتماع.

في الميدان العسكري: يجب على كل ناحية أن تدخل – تغنم– 15 قطعة سلاح كل ثلاثة أشهر وعلى كل ناحية أن تسطر برامج للعمليات العسكرية، وستحاسب كل ناحية على هذه العمليات كل شهر أثناء الإجتماع العام للنواحي، ويجب على جميع المسؤولين العسكريين للنواحي مراقبة الحالة العسكرية ومراجعة التعداد العام للفرق –24 جندي في الفرقة وأن ينظموا ويوزعوا الأفواج مع الانتباه للمراجعة والملاحظة. وعليهم أيضا مراقبة نظام الفدائيين وأعمالهم وتوزيعهم في الأقسام والمدن والقرى. وفي الأماكن التي لا يوجد بها الفدائيون اعطونا سبب عدم وجودهم. يجب على المسؤولين العسكريين بالنواحي والأقسام الاتصال بأفراد الجيش وإعطائهم الدروس ومراجعة القوانين الداخلية للنظام الثوري لجميع المجاهدين والأنظمة الأخرى للثورة. ويجب أن تدرس بكيفية مستمرة، ويجب عليهم تأكيد

وتنفيذ واحترام الأوامر والقوانين الداخلية وهي لازمة وعلى جميع المناضلين دراستها. وبعد ذلك تجرى الرقابة وتطرح أسئلة على جميع النظاميين. وكل مسؤول عسكري سيعاقب إذا ديست هذه القوانين أو جهل أحد العمل بها.

الخرطوش والقنابل والأسلحة الصالحة يجب أن تكون تحت المسؤولية والرقابة المباشرة للنواحي والمناطق كل مدخول للخرطوش والسلاح، جديداً كان أم قديماً يجب أن يعطى للمناطق والنواحي وهم الموزعون له. وعلى كل ناحية أن ترسل تقريراً مفصلاً إلى المنطقة حول القومية الملتحقين بجيش التحرير الوطني بسلاحهم منذ سنة وكذا سيرتهم وصفتهم. كل أسير فر من العدو بالإتصال أو بدونه يجب عليكم نقله إلى النظام الذي كان فيه قبل الأسر، وترسلونه حينا إلى وحدته التي كان بها وهي وحدها التي تنظر في حالته.

في الميدان السياسي: كل عضو في إدارة القسم يسمح له بترشيح نائبين له برتبة واحدة – عريف– ثم يعينان من السلطة الأعلى، وله الإجتماع بهما وتوجيههما ليكونا إطارين في المستقبل، ما عدى المسؤول العسكري فيبقى كالسابق. يجب مراقبة المال والذخيرة وكل المدخولات والمخروجات المالية، كما يجب مراقبة المدفوعات التموينية بما فيها الهدايا والغنائم ولو كانت كلغ حمص أو عدس أو عسل أو ماعز أو غيره.

نظام الجماهير: يجب مراجعة النشوة الخاصة بالجماهير وكيف طبقت تلك الأوامر، وفي ميدان الشباب يجب الإهتمام بالذين وصلوا سن الخدمة العسكرية وتكون المسؤولية مباشرة عليهم ويجب إفهامهم في واجبهم الوطني تجاه الثورة والوطن، كما يجب حثهم على الفرار من معسكرات العدو إلى صفوف جيش التحرير الوطني بسلاحهم وعتادهم في أي مكان من الجزائر جندوا فيه، وعليهم وضع الفرار نصب أعينهم في وقت المعارك أوفي غيرها وجيش التحرير يستقبلهم إستقبالاً حاراً.

تنظيم ومراقبة المجالس الشعبية: راجعوا فروعها وزيدوا في العدد لتوفير الإطارات ويسمح لكم بملء أو تعويض الأمكنة التي إستشهد أصحابها أو أسروا، وعليكم المراجعة وإتمام لجان الشؤون الشرعية إذا دعت الضرورة ومكن الحال ذلك.

اللجان الخيرية بالمدن والقرى الهامة: يجب أن تتكون من ثلاثة أشخاص وتكون سرية للغاية وعملها سري جداً، وأن الهدايا والتبرعات من اللباس والصوف والمصبرات

والزيت والدهان إلخ... يجب أن تستمر، وهذه الهدايا تقدم للأقسام وهي توزعها على عائلات الشهداء والأسرى والمنكوبين ويرسل تقرير مفصل إلى أعلى.

نظام المرشدات: يجب أن تجند المرشدات في المدن والقرى الهامة ويجب أن توضع تحت مسؤولية شخص يسمى خصيصاً لذلك من طرف إدارة ذلك القسم، وكل فوج منهن يكون من إثنين أو ثلاثة إلى خمسة، ويكن ممن لا يعلمن شيئا من النظام. وكل فوج منهن لا يعلم بالفوج الآخر، ودورهن يوجد في الأوامر القديمة التي أعطيت لكم في عام 60 من المناطق.

رجال الدرك: يجب أن تراجعوا وتراقبوا الأشياء الناقصة وتكملوا العدد اللازم، وعليكم بتقديم تقرير مفصل عن النقصان والزيادة. نؤكد على ضرورة سير المصلحة.

حراس الغابة: راقبوا وراجعوا هذا النظام في النواحي الريفية وزيدوا على عددهم إذا لزم الأمر ذلك ويجب على النظام ساعدتهم في أعمالهم حسب المقدرة، ويرخص لهم في خدمة الفحم وقص الحطب وخدمة الجدرة ويجب المحافظة على الزيتون والأشجار الصغيرة، ولا تصان الأشجار إلا في وقت قصها.

الميدان الإقتصادي: يجب على كل ناحية شراء 70 معطفا مضاداً للمطر لتوزيعه على سعاة البريد ورجال التموين والمنظمات التي يعمل أفردها في التنقل.

ميدان الإستعلامات والمواصلات: يجب الرقابة على الشبكات الإخبارية في المدن والقرى وفي طبقات الموظفين والنواب والشخصيات والنقابات والشعب وراقبوا كل التنظيمات التي بيد العدو.

ادرسوا وعززوا جميع الشبكات في هذه الجولات الرقابية. سعاة البريد ورجال المواصلات يزاد لهم في الرتبة بعد دراسة تقدم من مسؤوليهم وتحسن حالتهم. المواصلون ذووا السن الكبير والمتعبون والمرضى يحذفون ويخلفون بالشبان، ويجب أن يلبسوا كالمجاهدين الآخرين ويعزز عددهم في الأماكن التي نقصوا فيها كما تختصر لهم المسافات، وزيدوا في عدد المحطات البريدية.

الميدان الصحي: يجب على كل ناحية أن تبذل مجهودها لإخراج الممرضين الذين لهم شهادة التمريض أو ممرضين ناجحين وتطلبهم برسائل. هذه الرسائل تكون مرسولة من طرف المناطق. وإذا كانت الناحية متصلة بطبيب يريد الخروج يجب أن تعطي عنوانه

وإسمه للمنطقة وهي التي تقوم بالبحث عنه ليخرج إذا كان هذا مراده – لم يكن بالولاية الثانية إلا طبيب واحد وهو الأخ محمد التومي ولم تكن إلا ممرضة واحدة بشهادتها وهي الأخت يمينة شراد وقد عالجتني عندما جرحت بدقة–.

يجب على كل ناحية أن تحترم المرضى في المستشفيات والدخول لها لا يكون إلا عن طريق مسؤولي الأقسام بمشاركة مسؤول الصحة. ويجب مراجعة الأوامر الطبية السابقة وكذا قانون المستشفيات. مصاريف المستشفيات، تموين، راتب، من إختصاص الناحية وليس كالسابق. إن كتابة الولاية تطبع صحيفة طبية وعلى كل هيأة أن تأخذ ما تحتاج من هذه النشرة الهامة. كل هيأة صحية لها أن تأخذ ما تحتاج من هذه النشرة. وعلى كل هيأة صحية أن تحترم وتطبق قوانين النظافة وكل مجاهد عليه أن يكون دوما نظيف الجسد والثياب. والمراكز يجب أن تكون نظيفة ويدخلها الهواء والشمس. العيون وعناصر المياه يجب أن تنظف بالجفيل والقريزيل والبيث كل أسبوع. كل مريض جندي أو مسؤول يمنع عليه أن يشتري أدوية أو يعطي ثمنها إلا إذا رخص له المسؤول الطبي للناحية الذي هو فقط يسمح له بشرائها أو الإذن بشرائها. يمنع على كل ممرض في الفرقة أن يعطي أوراقا لشراء الأدوية بدون مشاورة أو ترخيص من المسؤول الطبي للناحية.

* وهذه أوامر سلمت لنا من المنطقة الأولى بتاريخ 6 مارس 62 وهي:

نظرا للحالة الراهنة وبعد القرارات المأخوذة في طرابلس (ليبيا) يوم 62/02/27 من طرف المجلس الوطني للثورة الجزائرية، أطلب منكم أن تمتثلوا إلى ما يأتي:

1- إبقوا نشيطين ولو بعد توقيف إطلاق النار.
2- أعطوا الأمر للأقسام أن ينظموا إداراتهم في المشاتي.
3- أدرسوا كل المواصلات العامة والخاصة بعد انسحاب مراكز العدو من الجبال ونظموا مواصلات خاصة مع إدارة الناحية وتكون سريعة بواسطة حصان، سيارة، دراجة نارية.
4- أدرسوا من جديد مسألة التموين للنظام والشعب وبالخصوص شعب المحتشدات التي إنسحب منها العدو.
5- جمع جيش التحرير الوطني بالأقسام فور توقيف القتال وانتظروا الأوامر الجديدة التي تصلكم تباعا.

6- أوقفوا إعطاء الرخص لجميع النظاميين وخذوا إحتياطاتكم الكاملة فيما إذا صرح بتوقيف القتال من طرف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

7- أوقفوا تسليم اللباس والأسلحة والأحذية وخزنوها في إدارة الناحية وأعطوا أوامر صارمة لكي لا توزع وكل ناحية تخلق مخابئ للباس وأعلمكم بأن وقف إطلاق النار هو: توقيف العمليات العسكرية فقط.

8- إمتثلوا للأوامر التي تأتيكم من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والتي تأتيكم عن الطريق النظامي، إستمعوا إلى إذاعة صوت الجزائر الحرة على موجة قصيرة طولها 26م من الساعة 12-14.

* وهذا آخر إجتماع وقع بالجبل وحضرته قبل نقلي إلى المنطقة الخامسة (مدينة قسنطينة وضواحيها)، وذلك يوم 31 مارس 1962، وكان الإجتماع شاملاً لأعضاء الناحية الثانية والمنطقة الأولى، وتم في هذا الإجتماع الطويل العسير ما يلي:

- المحاسبة المالية لغاية شهر مارس 62. دراسة تقارير التموين. مدخول ومخروج وباقي. تقارير العدد العام والعدة وقوائم الشهداء والأسرى. دراسة قوائم القومية والحركة والعساكر المسلمين. مراجعة الأوامر والتوجيهات السابقة ما طبق منها وما لم يطبق. وإنتهى الإجتماع بتوجيهات شفوية ومواصلة العمل في حذر شديد ويقظة كاملة ومواجهة (منظمة الجيش السري الإرهابي) بحكمة وشجاعة.

كيف كان المجاهدون يحتفلون بعيد فاتح نوفمبر؟

- كان المجاهدون يخلدون الفاتح نوفمبر 54. ويستعدون لهذه لذكرى إستعداد يليق بعظمتها، ونبل أهدافها، وكل ولاية من ولايات الوطن تعد برنامجا خاصا بهذه الذكرى العزيزة على كل مجاهد ويتلخص هذا البرنامج فيما يلي:

1- إعداد برنامج للعمليات العسكرية والتخريبية لمدة أسبوع ينفذه أفراد جيش التحرير الوطني والفدائيين والمناضلين وتعتبر هذه العمليات كأجمل تحية لأرواح شهدائنا الأبرار وتأكيد على مواصلة الثورة حتى النصر النهائي على الأعداء.

2- تجميع عناصر الثورة في أمكنة مختلفة من تراب الولاية، ويقع اللقاء للإحتفال بالذكرى، ويشرف عليها ضباط كبار وصغار حسب موقع كل وحدة على حدة.

3- تخصص ميزانية متواضعة تقدم فيها هدايا بسيطة لعناصر جبهة وجيش التحرير الوطني تشمل أمواس الحلاقة والصابون ومناديل الأنف وتناول عشاء جيد.

4- إلقاء خطاب توجيهي موحد في جميع عناصر النظام الثوري يتضمن التذكير بمبادئ وأهداف الثورة والمراحل التي قطعت والتي تنتظر. وذكر حصيلة عام من النشاط الثوري، وتجديد العهد للشهداء على مواصلة الطريق حتى النصر النهائي.

5- تحية العلم الوطني عند حلول منتصف ليلة 31 أكتوبر، وإنشاد النشيد الثوري الرسمي إذ ذاك والذي مطلعه:

إخواني لا تنساو شهداكم قد ضحوا لحياة البلاد
بالنفوس والدماء أفدوا ترابكم تركوا الأهل والصحبا مع الأولاد
صوتهم من القبور يناديكم إسمعوا لهذا الصوت يا شباب
الإتحاد عنوانا التضحية شعارنا حرية غايتنا يحيا الوطن

وينتهي بما يلي:

هكذا عاهدنا الشهداءكل شيء للوطن
من يخالف طريقهم ليس له عندنا إلا الطعن

وهذا نموذج لخطاب ذكرى فاتح نوفمبر 1961/54 والذي تلي على جميع المجاهدين والمناضلين في الولاية -2-.

الجمهورية الجزائرية

جبهة وجيش التحرير الوطني

القيادة العامة للولاية الثانية

أيها المجاهدون، أيتها المجاهدات، في هذا اليوم ذي الشأن العظيم، نحيي قبل كل شيء شهداءنا الأبطال، ونصمت دقيقة ترحماً على أرواحهم.

أيها المجاهدون، أيتها المجاهدات: في فاتح هذه السنة السابعة للحرب القاسية المريرة، فإننا نتوجه إلى أولئك الألوف من إخواننا وأخواتنا الأبطال الذين سقطوا في ميدان الشرف لحياة الجزائر حرة مستقلة، وأن ذكرياتهم الشريفة لحاضرة دوما في قلوبنا وأرواحنا، وسقوطهم ضحايا من أجل تحطيم الإستعمار والعبودية، وليكونوا على اطمئنان تام وهدوء مريح فإننا مداومون في مواصلة أعمالنا التحريرية المقدسة. وفي هذا اليوم السعيد لهذه الذكرى المباركة نقسم أمام الإله بأرواح شهدائنا الأبطال أننا نتابع خطتهم ولا نخرج عن الطريق الذي سطروه لنا حتى النصر النهائي لندرك مرادهم ومراد شعبنا. وأفكارنا تتجه أيضا إلى إخواننا الصابرين الذين هم يتألمون في أعماق السجون المظلمة للإستعمار الذي لم يراع فيها القوانين الإنسانية لإحترام أسرى الحرب، وآلامهم هي آلامنا جميعا وموقفنا صارم تجاههم، وأهم الشروط الأساسية لكفاحنا هو تحريرهم.

أيها المجاهدون، أيتها المجاهدات: سبع سنوات من الكفاح شاقة وطويلة وفيها تضحيات وآمال، وبكفاحكم البطولي وإرادتكم التي لا تقهر وشجاعتكم المثالية حطمتم الآمال الخيالية التي تريد إستيلاءً جديداً على بلادنا لإستعمار شنيع وأعمى، وعرفتم كيف تبرهنوا للعالم أجمع الذي يتتبع بإمعان كفاحنا التحريري والدرجة العليا لتضحياتنا ضد عدو عنيد ليست له قيم إنسانية، وبقساوتكم ومقاومتكم ومداومتكم المستمرة لتنحية وإزالة الإستعمار الوحشي، وبكفاحكم اليومي كسرتم العتاد الحربي لقوات العدو المتهور الكريه، ومكنتم له ضربات قاضية.

أيها الضباط وضباط الصف: من هذه المعركة الحاسمة التي تخوضها ضد عدو مجرم وشرس، عرفتم كيف تسيرون رجالكم إلى إنتصارات تاريخية، في هذه السنة العبة 60-61 التي إستعمل فيها العدو جميع الإحتياطيين والوسائل الكبيرة إستطعتم تخييب برامجه وأعماله الشيطانية، بضباطه الكبار الذين هم مغمورون إلى أعناقهم في الرشوات والمطامع الخاسرة، وبحضوركم الدائم في وسط وحداتكم وإرشاداتكم المستنيرة وتجاربكم الطويلة المرنة في حرب العصابات، أعطيتم بتوجيهاتكم الجديدة إلى جيشكم الوطني ما حققوا به النصر على العدو، وأنكم إتجاه جيش قوامه مليون عسكري بعتاد قوي للحلف

الأطلسي المجهز لحرب الكتلتين الحاليتين، وقد إستطعتم جلب ومحبة الأوساط العسكرية في العالم،.

أيها المناضلون، أيتها المناضلات: بحضوركم الدائم في وسط الشعب وبدون خوف من الجيش الإحتلالي ومصالحه البوليسية المتوحشة عرفتم كيف ترفعون همة الثورة وخيبتم السياسة الكاذبة للطغاة المتجبرين، وبإقدامكم على الخطر الدائم عرفتم في كل الظروف المحافظة على الإتصال بين الفروع المتنوعة للنظام وبين الشعب، وبفضل مجهوداتكم في أعمالكم الداخلية والخارجية فإنكم قضيتم على جميع الصعوبات وسهلتم أعمال جيشكم، وبفضل إستنارتكم فإن كثيرا من إخواننا الذين هم مغلطون فروا من صفوف العدو وإلتحقوا بجيش العدو التحرير الوطني بسلاحهم وعتادهم.

أيها المجاهدون، أيتها المجاهدات، والضباط، وضباط الصف، والمناضلون، والمناضلات:

بشجاعتكم وصبركم في الكفاح زعزعتم أكبر آلة حرب لعدو خادع غير محترم للقوانين، ومنذ هذه السنة فإن إنتصاراتنا كانت رائعة وهاهو البعض منها:

60/12/25 :كمين على بعد 7كلم من خراطة. 5 قتلى من العدو وغنم جنودنا5 أسلحة.

جانفي 61 : كمين في الجراح في الشمال الشرقي للميلية من العدو، وغنم جنودنا 19 قطعة سلاح.

فيفري 61 : كمين في أخناق الملعب شمال عين قشرة37 قتلى من العدو وغنم جنودنا 22 قطعة سلاح.

مارس 61 : دخل فدائيان إلى مدينة العلمة وقتلا اثنين من العدو وغنما أسلحتهما.

أفريل 61 : وقع هجوم لمركز للعدو شمال تكسانه. 4 قتلى من العدو وغنم جنودنا قطعتي سلاح.

أفريل 61 : وقع إشتباك قرب سوق الاثنين. 13 قتلى من العدو وإسقاط طائرتين.

أفريل 61 : وقع إشتباك بشرق سكيكدة 39 قتلى من العدو وإسقاط طائرة عمودية.

ماي 61 : وقع إشتباك بأخناق الزيتونة قرب الحروش، 5قتلى من العدو.

6 ماي 61 : إشتباك برأس الماء قرب قسنطينة، 6 قتلى من العدو و3 جرحى.

20 ماي 61 : وقع هجوم على العدو بدوار أولاد حايا شرق فج مزاله، 11 قتلى من العدو و7 جرحى وغنم جنودنا 17 قطعة سلاح.

10 جوان 61 : إشتباك 7 من مجاهدينا مع قوات للعدو في الخلوات قرب قسنطينة، 8 قتلى من العدو.

20 جوان 61 : دخلت فرقة من الانقضاضيين– كومندو– إلى بلدة عزابة وإستولت على مكتب الشرطة وغنمت 7 أسلحة و12 قنبلة يدوية وقتلت 8 من العدو.

22 جوان 61 : صعد فدائيان على قطار وقتلا معمرتين أوربيين متطرفين.

27 جوان 61 : كمين على بعد 5 كلم شرقي الميلية، 29 قتلى من العدو، وغنم جنودنا 6 أسلحة وهاتف لاسلكي.

13 جويلية 61 : كمين على بعد 12 كلم شمال الميلية، 29 قتلى من العدو، وغنم جنودنا 22 قطعة.

14 جويلية 61 : كمين قرب بلدة (روبير فيل)، 07 قتلى من العدو.

15 جويلية 61 : هجوم على مركز العدو بفلفلة، 25 قتلى من العدو وغنم جيشنا 20 قطعة سلاح.

26 جويلية : هجوم على مركز العدو قرب القل وغنم جنودنا 3 أسلحة.

30 جويلية 61 : هجم فدائيان على إدارة الشرطة (د س ت) بقسنطينة وغنما 6 أسلحة و20 قنبلة يدوية.

04 أوت 61 : هجوم فوج الإنقضاض على بلدة المنصورية وقتل 17 وجرح 7 من العدو.

04 أوت 61 : رمى فدائي قنبلة يدوية في مقهى أوربي، بمحطة القطار بقسنطينة وهي مركز الجيش السري الفرنسي ونتج عنها 18 جريحا إثنان منهم في حالة خطيرة.

20 أوت 61 : قتل فدائي ضابطا من ذوي القبعة الحمراء وإستولى على سلاحه.

ومن ماي إلى أكتوبر 61 : قتل الفدائيون في مدينة قسنطينة 38 خائنا ومتطرفا وغنموا 29 قطعة سلاح ومعدات حربية متنوعة. وفي هذه السنة السابعة لثورتنا إنظم إلى صفوفنا 215 من الجنود المسلمين والقومية والحركة ويحملون معهم 225 قطعة سلاح ومعدات حربية متنوعة. وفي هذه المدة فإن جيش التحرير الوطني راقب 1019 سيارة أجرة.

وهكذا إستطاعت عملياتكم الفورية إجبار العدو للبحث عن حكومتكم وقد وقع الإتصال بها في : مدينة لوقران، وإيفيان، وبعد كل الوسائل والبرامج الخداعة لإستمرار الحكم الإستعماري، خيبت هذه المفاوضات كما خابت في (مولان)، كما أن الصحراء الغنية بكثرة معادنها فإنها باقية طمعا للرأسماليين الفرنسيين الذين يريدون حوزتهم عليها من أرضنا الوطنية ونحن نقول لهم:

"إعلموا أننا لا نتخلى عن شبر من أرضنا أو – حق من حقوقنا".

أيها المجاهدون والمجاهدات والمناضلون والمناضلات:

في فاتح هذه السنة الثامنة للحرب التي هي محتمة علينا من عدو أعمى وبذيء، يتحتم علينا الإستعداد الكامل لمجابهة كل أنواع الصعوبات. هذا وإن الطريق لا زالت مملوءة بالعراقيل ويجب علينا تضحيات أخرى لأجل تحطيم الأوهام الخيالية التي تدور في ذهن العدو. إلى الأمام لرجوع حريتنا المسلوبة، إلى الأمام لتحيا الجمهورية الجزائرية واحدة لا تتجزأ.

تحيا جبهة التحرير الوطني.

يحيا جيش التحرير الوطني.

وتحيا الحكومة المؤقتة للدولة الجزائرية.

مظهر من وحشية المحتلين

لا أبالغ أبدا فيما أكتب حول هذا الموضوع بل إني أعتذر مسبقاً لأرواح ضحايا وحشية المحتلين لبلادنا لأني لا أستطيع أبدا ومهما حاولت أن أفي بالتصوير الدقيق لما كان يفعله عساكر العدو ببلادنا من تعذيب بدني ومعنوي تجاه أسرانا وتجاه شعبنا الأعزل من السلاح، بل حتى تجاه شهدائنا الأبطال، وباعتبار مسؤوليتي في هذه الفترة القاسية من كفاحنا، فترة 60-62 أو فترة مجرم الحرب "الجنرال دوقول" أو فترة "مخطط شال" الإجرامي، فقد كنت على معرفة دقيقة بكل ما يجري لإخواننا في سجون العدو، سواء كانوا من المجاهدين أو المناضلين أو المواطنين، وفي محتشداته الإجبارية التي كان يحشد فيها شعبنا بالقرب من ثكناته. وذلك عن طريق شبكاتنا للإستعلامات والأخبار والمواصلات دائما وعن طريق الفارين من سجونه ومحتشداته في بعض الأحيان وحتى عن طريق المسرحين من طرفهم أحيانا أخرى، وإن يدي لترتعد أحياناً وأنا أفتح الرسائل التي تصلني بإستمرار لكثرة ما أجد فيها من أعمال وحشية يعجز قلبي عن وصفها بإستثناء ما أجد فيها من أعمال بطولية لجيشنا ومواقف شعبنا ولولا نيل الهدف الذي كنت متطوعا من أجل تحقيقه ومشاركا في العمل من أجل إنقاذ شعبنا من رقبة المحتل، لقلت كفى مسؤولية، ويكفيني العمل كمجاهد بسيط، وكفى إطلاعا على ما يحدث لأفراد أمتنا من إجرام من طرف زبانية الجنرال "دوقول"، زبانية العالم الحر الذي لا حدود لأطماعه وجبروته ولكنني كنت مثل غيري من المسؤولين، أعمل جاهدا على إخفاء هذه الجرائم وعلى عدم نشرها، والتفكير الثوري ضد كبار رؤوس الإجرام من الفرنسيين وأعوانهم من الخونة، وبجدية التنظيم وتجنب الوقوع في الأسر، وتموين الخلايا الثورية في كل سجن ومحتشد ونشر روح التعاون والتضامن والتآزر بين الجميع، وتطبيق الأوامر والقرارات بدقة وسرعة وبتكثيف الإتصال وسرعته وسريته، وكل هذا من أجل التخفيف على عناصرنا من جرم ووحشية الأعداء، وستبقى كلمة "راتيساج" كما يسميها العدو وعملية تمشيط ومداهمة والعمليات الفجائية بالطائرات، ستبقى هذه الكلمات وهذه الأعمال الوحشية عالقة بذهن كل جزائري وجزائرية، لأنها عمليات تحمل في كل حرف من كلماتها وحشية لا حدود لها. وأية وحشية أقسى وأفضع مما يقع في مثل هذه الأعمال، إنها تكون منذ الصباح الباكر إذا كانت عملية (راتيساج) وتحدث كالتالي:

يغادر العدو ثكناته بعدد كبير ليلاً، ويحاصر سكان عدة دواوير، ويهاجمهم منذ الصباح الباكر، فيلقي القبض على الجميع رجالاً ونساءً وأطفالاً ويأخذ في إستنطاقهم بوحشية لا حدود لها: ضرب، وشتم، وإنتهاك حرمات، سلب ونهب لكل ما يجد في بيوتهم من رزق ثم تخريب وحرق للمنازل وقتل للحيوانات، ثم قيادة كل من يريده من الرجال والنساء والأطفال لثكناته ثم لسجونه ومراكز تعذيبه ولعدم الوقوع في هذه المجزرة الوحشية والإرهابية كانت الثورة تقوم بتشديد الحراسة عن تحركات العدو، وتعلم مسبقاً سكان كل دوار يريد العدو مهاجمته، وصار الآذان للصلاة، أذان أيضا بأن العدو سيهاجم غدا دوار كذا وكذا، فيهب كل السكان الكبير منهم والصغير المرأة والرجل بالفرار من مساكنهم ليلاً، والإلتجاء للجبال وقضاء الليل بها سواء كان الجو صحواً أو ممطراً أو مثلجاً، وما أسعد من يجد مكانا له ولطفله الصغير أو لزوجته الحامل أو لوالديه المسنين في إحدى المغارات الطبيعية التي لم تسلم هي الأخرى من إجرام العدو حيث إهتدى لفعاليتها فصار يقنبلها وصار بعضها مقبرة جماعية لضحاياه مما جعل الثورة تمنع الإحتماء بها في مثل هذه الظروف. أما المداهمات الليلية في المدن ففي الغالب لا مراد لما يقوم به العدو من هتك الحرمات وقتل النفس بغير حق، ومشيئة الله هي وحدها التي تكف يد الأعداء أو تحده وتحدد عدد الأسرى والقتلى والمهانين. أما الحملات الجوية المفاجئة فالضحايا لابد أن يكون عددهم كثيراً لأن طياري العدو يقنبلون كل تجمع سكني أمروا بقنبلته ولا يغادرون الدوار الذي حكموا عليه بالفناء ظلما حتى يحرقونه بمختلف أسلحتهم بما فيها المحرمة دوليا مثل النابالم. وقد إتخذت الثورة تدابير أخرى لمجابهة مثل هذه الغارات وذلك بحفر خنادق ومغارات داخل المنازل وبجوارها وذلك للتخفيف من ضحايا مثل هذه الغارات الجوية أو القنبلة من المدافع الميدانية التي لا يعرف لها وقت.

ويدعي العدو بأن عملياته هذه تحدث لتطهير الأرض من الثوار وأنه يقوم بها نتيجة معلومات، وأنه ليس عدو الشعب، الشعب الذي يعتبره (فرنسي مسلم)، ويدعي زوراً بأنه قضى على مجموعة من المجاهدين (الفلاقة حسب تعبيره) وأنه ألقى القبض على الكثير منهم، ولا يستحي أبداً ولا يتعض ولا يعترف ولا يرحم وهو يشاهد النساء والأطفال هاربين من طغيانه وجبروته وهو يحصد أرواحهم الزكية ويقول: قتلت الفلاقة، يهدم ويخرب منازل الشعب ويقول إنها مراكز للفلاقة، يقتل حيوانات الشعب ويحرق مزروعاته وأشجاره ويقول

تموين الفلاقة. عجباً لمنطقه الدنيء ولحيله المكشوفة ولدعاياته السخيفة وعجباً لقائد فرنسا "الحرة ؟؟؟".

ومن أجل تغطية هذه الناحية بالأعمال الإجرامية فقد إستعمل العدو فيها هيكلاً ضخماً من قواته التي يصعب على الذاكرة حصرها أو حصر عددها بالأرقام أما من حيث المقرات وتنوعها فكانت كالتالي:

بتراب الناحية 2 من المنطقة الأولى:

- 111 برجا للمراقبة.
- 62 ثكنة عسكرية.
- 20 مركزا للتعذيب.
- 30 محتشدا للمواطنين.

ومن الأمثلة الحية لإجرامه نذكر ما يلي:

1- الإنتقام من المواطنين، وذلك بشن حملاته الإنتقامية على كل دوار وقع به أو بالقرب منه كمين للعدو من طرف المجاهدين فيقتل وينهب ويسرق ويخرب المنازل.

2- الإعتداء على الكثير من المساجين وقتلهم عندما لا يجد الاعتراف الذي يريد إبتزازه منهم.

3- التمثيل بالشهداء مثل ما أوقعه بالشهداء التالية أسماؤهم: وهم على سبيل المثال لا الحصر:

– ففي 18 فيفري 60 قام العدو بعرض جثتي ("محمود بوسيف" و"لكحل عيسى") بسوق الثلاثاء ببلدية بوسيف أولاد عسكر حالياً. بعد أن حز رأس كل منهما. وسلب جثة "ارويبح الحسين" عضو الولاية 2 في 9 ديسمبر 60 ولا نعرف أين وضعها.

– في مارس 61 أسر العدو المجاهد "بوالمبارك" بمشتى بوالعناب بلدية "ابني حبيبي" حالياً وكان جريحا ثم قطع لسانه وعضوه التناسلي حتى مات من جراء هذا التعذيب الوحشي.

– وفي يوم 61/04/12 وبمشتى أزرار بلدية الأمير عبد القادر حالياً أسر العدو المجاهد (عياش رشيد) وأخذه معه لمركزه وفي الغد عاد به للمشتى ثم قتله وحز رأسه وأخذه معه.

– وفي جويلية 61 مثل العدو بجثة الشهيد (لدرع العربي) حيث رمى بها في النار.

– وفي أوت 61 بمشتى تفراج بلدية سيدي عبد العزيز منع العدو الشعب من دفن جثة الشهيد "بن حموده" لمدة أسبوع حتى أفسدته الذئاب.

إن ما ذكرته هنا من وحشية المحتلين تجاه مجاهدينا الأمجاد ومواطنينا الأحرار لا يعتبر إلا قطرة من بحر، لذلك إعتذرت مسبقاً لأرواح ضحايانا ولشهدائنا، وعزانا الوحيد أننا فزنا بالنصر العظيم الذي حققوه لنا بتضحياتهم الجسام، فالمجد لهم والخلود على مر السنين.

حصيلة النشاط السياسي والعسكري

للناحية الثانية من المنطقة الأولى من جانفي 1960 إلى مارس 1962

– **النشاط السياسي:** ويشمل قسم المواصلات وجمع الإشتراكات والتبرعات والهدايا والخطايا والتموين والإرشاد والدعاية والقضاء والحالة الإدارية والمدنية وغيرها، وسلاحنا في كل نشاطنا، المناضلين والمجالس الشعبية والمواطنون ثم المجاهدون والفدائيين إذا إقتضى الحال. وكانت الإجتماعات هي وسيلة كل هذا النشاط، ولذلك فإن عدد المجالس الشعبية كان كبيراً جداً بحيث يصل معدلها إلى خمسة مجالس في كل قسم وبذلك نحصل على خمسة مجالس × 5 أقسام فيكون المجموع 25 مجلساً، وبما أن الإجتماعات تقع أسبوعياً فإننا نجد عدد الأسابيع في هذه الفترة 60–62 (108) ومعنى هذا أن عدد الإجتماعات بلغت في هذه الفترة 108 إجتماعاً وجدول الأعمال في هذه الإجتماعات كان دقيقاً جداً ويتناول فروع النشاط الذي يقوم به كل مجلس شعبي وهي المال، الأخبار، التموين، الأمن.

ويضاف لكل هذا عقد إجتماعات للجان الخيرية والإرشاد والقضاء والدرك والشرطة ويضاف لها إجتماعات الأقسام والنواحي والمناطق.

– **النشاط العسكري:** ويشمل العمل الفدائي والكمائن والإشتباكات والهجومات وأعمال التخريب لمرافق العدو وإقتصاده، وقد حصرتها معتمداً في ذلك على ما كتبه الإخوة المجاهدون عند كتاباتهم لتاريخ الثورة بهذه الناحية فوجدتها كما يلي:

220 عملية أي بمعدل ثماني عمليات في الشهر، وأذكر هنا لا للفخر أو للإدعاء بأني حضرت في عدد من هذه العمليات ونجوت من الموت عدة مرات وجرحت مرتين جرحا بليغا حتى قال لي الكثير من المجاهدين بأن عمرك عمر القطط وأذكر أني تعرضت لعملية فجائية للعدو بطيرانه قرب الشقفة وسجلت في عدد المفقودين وعندما عدت لتكسانه وجدت أن المخابئ التي أعرفها بدل كل ما فيها من تموين ووثائق فتألمت لذلك أشد الألم ولم أخف ألمي، وصرحت به للأخ "سي محمد بوكبير" وما يزال حياً. أهكذا لا تثقون بي؟ فأجاب: يا أخي لا ثقة في تعذيب العدو، إنه يذيب الحجر، والحذر كما تعلم مطلوب. وفعلا كان الحذر في الثورة أمر يجب إحترامه وتطبيقه، وقد فوت الفرصة على العدو عدة مرات وخاصة في

دائرة تكسانه الحالية والفضل يرجع لشعبها المتضامن مع أبناء الثورة الذين كانوا منه وإليه وكان منهم وإليهم. وهكذا خاب مسعى العدو وطهرت بلادنا منه إلى الأبد.

إطارات الناحية الثانية المنطقة الأولى – الولاية الثانية-

من عام 1960 إلى 1962

عندما بدلت من الكتابة العامة للولاية الثانية بعد بداية العدو في تطبيق (مخطط شال) في نوفمبر 59 بعد أن مهد له بعدة عمليات في الناحية الغربية للولاية منذ نهاية أوت 59 وجدت الناحية 2 تشتمل على خمسة أقسام هي:

القسم الأول: ويشمل حالياً بلديات تكسانه، بني يجس، جيمله، عين لبنه، حمزا، جبرا، قاوس.

القسم الثاني: ويشمل حالياً بلديات الأمير عبد القادر، أجانه، الشحنه.

القسم الثالث: ويشمل حالياً بلديات أولاد عسكر بوسيف، برج الطهر، الشقفة، الكنار، سيدي عبد العزيز، ابني حبيبي.

القسم الرابع: ويشمل بلدية جيجل، أولاد بونار، مزغطان، الجرف.

القسم الخامس: ويشمل بلدية الطاهير ونواحيها.

أما قيادة الناحية فكانت مكونة من الإخوة التالية أسماؤهم وهم:

* أحمد لعبتني. م. عام. وأسره العدو في السداسي الثاني من عام 1960 وفر من سجنه في عام 1961.
* الطاهر بوسنة. م. سياسي وأسره العدو مع سي أحمد لعبني.
* بوريدح البشير المدعو لكحل م. عسكري وقد بدل للناحية الأولى ثم إستشهد وعوض بأحسن بن شيخ الذي إستشهد في 9 نوفمبر 1960.
* رابح بوغنوط م.الإتصالات والأخبار. وإستشهد في 09 نوفمبر 1960.
* أحمد لشهب مساعد عام
* محمد بوكبير م. سياسي.
* مسعود بونعاس مساعد عسكري.
* أحمد كيحل مساعد الإتصالات والأخبار وإستشهد في أوت 1961.
* صالح بلخلفه مساعد التموين.

وإبتداءً من أواسط عام 1961 شكلت نفس الناحية كما يلي:

* محمد بوكبير م عام. خلفاً لأحمد لشهب الذي رقي للمنطقة.

* بوالطمين جودي لخضر مساعد سياسي ثم رقي ونقل للمنطقة الخامسة (مدينة قسنطينة وضواحيها)

* مسعود بونعاس مساعد عسكري.

* الأطرش عمار م الإتصالات والأخبار.

وبقيت الناحية بهذه التشكيلة إلى أن تم لنا النصر النهائي على أعدائنا.

أما المؤطرون للأقسام الخمسة للناحية في هذه الفترة كانوا كما يلي:

القسم الأول: وتعاقب على قيادته عدة أعضاء هم:

* محمد بوكبير مسؤول عام ثم رقي للناحية

* قليل محمد مسؤول عسكري أسره العدو.

* بوالطمين جودي الأخضر مسؤول سياسي ثم رقي للناحية.

* فرحات لعبني مسؤول سياسي. إستشهد.

* محمد بوجريحة مسؤول عسكري إستشهد.

* الطاهر بوحلاسة مسؤول عسكري.

* عبد الحميد بولمهاد مسؤول عام. أسره العدو.

* رابح مليط مسؤول سياسي ثم نقل للناحية الأولى.

* حمادو قشاشه مسؤول التموين. إستشهد.

* رابح كبيش مسؤول الأخبار.

وآخر تشكيلة له كانت كما يلي:

* موساوي حسين مسؤول عام ويدعى محمد بن زغوان.

* عبد الله بوذراع مسؤول سياسي.

* مختار بونقجة مسؤول الأخبار.

* الطيب منغور مسؤول التموين.

* الطاهر بوحلاسة مسؤول عسكري.

القسم الثاني: وتعاقب عليه الأعضاء التالية أسماؤهم وهم:

* كيحل أحمد مسؤول عام ثم رقي للناحية ثم إستشهد.
* أحمد بوالحبال مسؤول سياسي. إستشهد.
* عمار بوغدة مسؤول عسكري ثم بدل للقسم الثالث.
* صالح بلخلفة مسؤول التموين ثم رقي للناحية.
* الياس نيبوشة مسؤول الأخبار ثم إستشهد.
* عبد القادر مزرق مسؤول سياسي.
* عبد الوهاب بوهيدل مسؤول عسكري.
* بن هودة محمد مسؤول التموين.
* تنيو أحمد مسؤول الأخبار.

القسم الثالث: وتعاقب عليه الأعضاء التالية أسماؤهم وهم:

* الطاهر حمرا مسؤول عام ثم رقي للناحية ثم إستشهد.
* بولمهاد عبد الحميد مسؤول سياسي ثم رقي مسؤولا عاما ثم نقل للقسم الأول ثم أسره العدو.
* عمار بوغدة مسؤول الإتصالات والأخبار.
* "إن شاء الله" مسؤول الإتصالات والأخبار، إستشهد.
* مسعود بونعاس مسؤول عسكري ثم رقي للناحية الثانية.
* عبد النور بن خلاف مسؤول سياسي ثم بدل للقسم الرابع وبه إستشهد.
* رابح كبيش مسؤول التموين ثم بدل للقسم الأول.
* عبد المجيد دخلي مسؤول عام.
* عمار الأطرش مسؤول عام ثم رقي للناحية.
* عنصل السعيد مسؤول عسكري.
* رابح لعزري مسؤول التموين.
* الطاهر بوسنة مسؤول الأخبار.

القسم الرابع: وتعاقب عليه الأعضاء التالية أسماؤهم وهم:

* عبد المالك بوالمرقة مسؤول ثم بدل.
* أحمد شاوش مسؤول عام وقد نقل منه و إستشهد.

* محمد بوبزاري مسؤول عام وقد إستشهد.
* مكي بوبزاري مسؤول عام وقد إستشهد.
* مسعود بن زيادة مسؤول التموين وقد إستشهد.
* فاتح بن جمام وقد إستشهد.
* دراعة محمد وقد إستشهد.
* جمال بن عياد مسؤول عسكري ثم بدل للناحية الأولى.
* حفيظ طوبال مسؤول عام.
* عبد النور بن خلاف وقد استشهد.
* الطاهر بوجمعة وقد استشهد.
* موساوي حسين وقد نقل للقسم الأول.
* حسن زيتوني مسؤول عسكري وقد بدل للقسم الخاص.
* عبد القادر بوبنيدر.
* بيوط محمد.
* بونار مولود.
* بوعجيمي يوسف. ثم عبد القادر عبد العزيز.

القسم الخامس: وتعاقب عليه الأعضاء التالية أسماؤهم وهم:

* عبد القادر عبد العزيز ثم بدل إلى القسم الرابع.
* مصطفى تواتي مسؤول عسكري.
* محمد بن عمر مسؤول سياسي.
* حسن زيتوني.
* حسن شتوان.

هذا ما استطعت جمعه من الإخوة الذين ما يزالون على قيد الحياة، وأعتذر لكل من لم أذكر إسمه وكان عضوا في إحدى هذه الأقسام.

والمجد والخلود على مر الزمان لهؤلاء القادة الأشاوس الشهداء، والعزة والوفاء لمن بقوا على قيد الحياة.

خاتمة المطاف

بعد هذه الصور الرائعة من تنظيماتنا الثورية، ونظرتها لمستقبل بلادنا ومصير جهادنا يجدر بي القول أني إستدعيت فجأة ومباشرة بالذهاب لمقر الولاية الثانية الذي كان بالجراح (بتشديد الراء) بناحية القل، وعندما وصلت أخبرت من قائد الولاية الأخ (صوت العرب) سي صالح بوبنيدر بأني حولت إلى المنطقة الخامسة (مدينة قسنطينة وضواحيها) فإتجهت إليها في بداية شهر أفريل 62 لمحاربة العدو الجديد المضاف للعدو القديم وهو (منظمة الجيش السري) والتي كان شعارها رفض قبول حرية الجزائر وإستقلالها أو رفض الهزيمة والتي سلطت أعمالها الإجرامية على الجزائريين وعلى الأملاك العمومية بما فيها المستشفيات والعمارات وحتى مكتبة الجامعة لم تسلم من حقدها، إحداهما تحمل عبارة: نعم للإستقلال والتعاون مع فرنسا، والأخرى كتب عليها: لا للإستقلال. ثم العمل على بناء الجزائر المستقلة من جهة ثالثة.

ويجدر بي ذكر وكتابة المنشور الهام الذي وجهته قيادة الولاية الثانية لجميع مناضليها في شهر ماي 62 وكان معنونا بـ: توجيهات إلى مناضلي جبهة التحرير الوطني:

نص المنشور:

قد دخلت الثورة مرحلتها الحاسمة والصعبة، ألا وهي المرحلة الإنتقالية التي ستقرر مستقبل الجزائر. لقد كان الكفاح المسلح صعبا ومرا، وتحملنا من أجله تضحيات باهضة وآلاما حادة، كما أن الكفاح المسلح أيضا طويلا، ولكن انتهى إلى نتيجته الحتمية وهي الإنتصار. وأن اتفاقيات إيفيان المبرمة بين ممثلي الشعب الجزائري والشعب الفرنسي قد اعترفت نهائيا بـ:

- الوحدة الترابية.
- والوحدة الوطنية.
- والسيادة الجزائرية الكاملة.

تلك هي النقاط الأساسية الثلاث التي- إثر إستشارة تقرير المصير ذلك التصويت الذي هو ليس ببعيد- ستبقى قاعدة لبناء جزائر حرة، ديمقراطية، وإجتماعية بصفة حقيقية.

وإن الجزائر بصفتها بلداً جديداً، منهكة، لأنها تأثرت جد التأثر من جراء سنوات طويلة من الإستعمار والإبادة والإستغلال، محتاجة للإعانة وللتعاون الحر في فائدة المصلحة العليا للأمة.

ونظراً لهذه الكيفيات، وكل هذه المحتملات، أصبح جلياً أن العمل المستعجل لمناضل جبهة التحرير الوطني شاق وعظيم. فيستوجب أن تكون للمناضل سيرة مدققة يتبعها، لينجح نجاحا تاما في مهمته: وهذه السيرة هي:

1- يجب أن يكون هادئ الأعصاب أمام تحرشات الاستعماريين والغلاة: وأن على الشعب تقديم تضحيات أخرى لتحقيق إنتصار قضيته.

2- يجب أن يكون واقعياً ومتحذراً. فعليه أن يتخذ كل حذره لئلا ينقاد إلى فرح متزايد، لا أساس له، ويمكن أن يتسبب في حسرة، لأنه يدل على أن الحرب قد إنتهت. وعليه أن يتجنب تركيز فكره نحو شخصية أو فكرة قارة لأن كفاح الشعب يواصل تحقيق هدف إبتغاء من أسس ثورية موضوعة ومقررة.

3- أن يحبط كل مناورات التفرقة التي مازال الإستعمار بكل أوجهه يستعملها كالفكرة الجهوية والحزبية لأن الجزائري واحد، وجبهة التحرير تجمع كل القوات الحية للشعب الجزائري.

4- أن يحترم (إتفاقيات إيفيان)، ولا يقبل بأي حال عملا يمكن أن يمس بنتائج هذه الإتفاقيات.

5- أن يستعمل كل إرادته الحسنة للسهر على النظام العام يتتبع كل السباحين في الماء العكر وأولئك الذين ينتهزون فرصة الهدوء ليقوموا بالسرقات والنهب والرهينة وخرق الأمانة والإستهتار بالعواطف ويحاولون نشر الفوضى في مدننا وقرانا وأريافنا. فهؤلاء ومهما كانوا فإن جبهة التحرير الوطني تندد بهم لأنهم يعملون ضد مصلحة الأمة.

6- إن مناضل جبهة التحرير الوطني، المكون في الكفاح المسلح، يعرف كيف:

- يخلق قوة موحدة.
- ويحافظ على فكرة التراضي والتسامح وخلق جو هادئ.

– ويتحلى بإرادة جبارة، ألا وهي الإسراع في بناء الجزائر على أسس صحيحة.

7– إن مناضل جبهة التحرير الوطني يدرك أن وضعية جديدة قد نشأت، وأن كفاحه قد دخل في مرحلة بنائية، ولكنها مملوءة بالعقبات. ولذا يجب عليه أن يلتجئ:

– إلى كل قوته.

– إلى طاعته المثالية للأوامر.

– إلى التطبيق التام لأوامر جبهة التحرير الوطني.

وذلك لتشييد: جزائر حرة، ديموقراطية، إجتماعية، أركان حرب الولاية2.

– وهكذا وفي غمرة من الحماس الوطني، النظامي منه والشعبي، وفي جو من العمل والنشاط والحذر الثوري، تم تنظيم الإستفتاء الشعبي، بعد إحباط نشاط (منظمة الجيش السري)، وذلك يوم فاتح جويلية 1962، وكانت نتيجته إجماع الشعب على صيغة الإستفتاء الإيجابية المعروضة عليه والتي كانت:

" نعم للإستقلال والتعاون مع فرنسا".

وفي اليوم التالي صرح رئيس الجمهورية الفرنسية، الجنرال دوقول، بالإعتراف الرسمي والعلني بإستقلال الجزائر. وغمرت فرحة النصر كل المجاهدين والمناضلين وكل أفراد الشعب، وودع الجميع الجراح والمآسي والدموع، وإتجه الجميع في حماس وطني منقطع النظير لبناء الجزائر الحرة المستقلة. أما كاتب هذه المذكرات فقد كانت نهاية حربه كبدايتها، سجن وفرار بسبب أزمة حكم ثم ودع اللباس العسكري وإرتدى اللباس المدني وفضل العمل في ميدان التربية والتعليم، وعمل في هذا الإطار في عدة مدن وهي: البليدة، وقسنطينة، وعين البيضاء، والطاهير، والخروب، ولم يتخل عن النظال في صفوف جبهة التحرير ومنظمة المجاهدين والمجالس المنتخبة، حتى أحيل على التقاعد في 1986/12/31.

ويجدر بي أن أختم مذكراتي هذه بقول الله تعالى: "وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله".

والمجد للشهداء والعزة بعد الله للوطن والرقي والسلم للشعب الجزائري.

فهرس المواضيع

القسم الأول: ***الصفحة***

* البشرى 04
* آخر شهر في بلد الرشيد 09
* في القاهرة 12
* أين مكتب الثورة؟..... 14
* في مدرسة الإشارة 19
* الاستعداد للسفر 20
* نصف شهر في طرابلس 22
* في تونس عجائب وغرائب 24
* بريق أمل 31
* وبقي السؤال..... 34
* المرحلة العملية الأولى 36
* المرحلة العملية الثانية 37

القسم الثاني:

* نحن في تاجروين 41
* قطع الحدود 44
* الدخول في السهول 47
* الدخول في الجبال 46
* مميزات سيرنا 54
* شعوري أثناء الطريق 56
* عزلنا في مكان خاص 59
* المفاجأة الكبرى..... 60

* متابعة الحدث 62
* الغمام يزول 63
* تمت الفرحه 66
* توزيعنا 68

القسم الثالث:

* انطباعاتي عن الثورة 71
* التنظيمات القائمة 72
* عملي في الثورة 74
* تعيني في العمل وتنقلات 78
إلى أولاد صالح وابني احبيبي والميلية
* عملي الجديد 95
* المنطقة المحرمة 97
* اجتماع بالجراح 97
* جولة تفقدية 101
* ملتقى بوالسبع 104
* مدرسة زيغود يوسف 109
* صيف عام 59 112

القسم الرابع:

* خريف عام 59 118
* الخبر الأليم 121
* عملي القديم الجديد 123
* مسؤوليتي الأولى في الجبل 125
* تجمع الجيش بالماء البارد 133
* من المستشفى إلى العمل 138

* الاجتماع الشهري 139
* جولة بالقسم 142

القسم الخامس:

* صور من الحياة التنظيمية للثورة 146
* تحية ذكرى فاتح نوفمبر 148
* مظهر من وحشية المحتلين 174
* حصيلة النشاط السياسي والعسكري..... 178
* إطارات الناحية 2 وأقسامها 179
* خاتمة المطاف 184

حياة المؤلف:

* بوالطمين جودي الأخضر بن محمد

* من مواليد 1931/08/12 ببلدية برج الطهر ولاية جيجل.

* تعلم في مدرسة قرآنية بمشتى الطمامنة على يد الشيخ بوالأحبال محمد (شهيد) يديرها الشيخ محمد الزاهي (استشهد)

* في العام الدراسي 52/51 التحق بجامع الزيتونة بتونس.

* حصل على عضوية أول بعثة لجمعية المسلمين الجزائريين للعراق سبتمبر 1952.

* في جوان 56 انتقل من العراق إلى القاهرة وبها التحق بالثورة وتدرب في مصر وسافر على رأس بعثة من الطلاب المجندين نحو طرابلس ومنها إلى تونس فالجزائر.

* في داخل الجزائر عمل بصفوف جيش التحرير الوطني مجاهدا وتسلم عدة مسؤوليات آخرها مدير ثانوية.

* أثناء مرحلة التعليم قام بكتابة مواضيع شتى في الصحافة والإذاعة.

* ألف 4 كتب هي لمحات من الثورة الجزائرية، وأنصفوني، وفاطمة الأمس، ومسيرة الثورة من خلال مواثيقي. كما شارك في تأليف كتاب مدرسي لطلاب السنة الثالثة ثانوي (التاريخ المعاصر).

* انتخب مرتين في منظمة المجاهدين ومرتين في المجلس الشعبي البلدي لمدينة قسنطينة ومرة في المجلس الشعبي الوطني77 / 82 .

* حصل على التقاعد في 1986/12/31.